الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأميـــر عبد القـــــادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الرقم الترتيبي:.....

رقم التسجيل:.....

مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال بعض الرحالة العرب والأوربيين

– دراسة مقارنة –

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ

تخصص: المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي

من إعداد الطالب: بلعمري فاتح

تحت إشراف الاستاذ الدكتور: أحمد صاري

أعضاء اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
1–الرئيس	احميدة عميراوي	أ.ت.ع	جامعة الأمير عبد القادر
2– المقرر	أحمد صاري	أ.ت.ع	جامعة الأمير عبد القادر
3–العضو	خليفة حماش	أ.م	جامعة الأمير عبد القادر
4–العضو	الطاهر عمري	أ.م	المدرسة العليا للأساتذة

السنة الجامعية: 2009/2008

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

لكي نستطيع تصور الماضي بحقائقه، وندركه كما عاشه أناسه ونتعرف عليه في العديد من جزئياته، لا بد من الرجوع إلى المصادر التي بفضلها يمكن معرفة تاريخ منطقة ما، أو إقليم معين، أو مجموعة بشرية محددة أو مدينة خاصة، ولعل من أهم هذه المصادر: "**الرحلة**" ، التي من خلالها يقوم الرحّالة بتسجيل ملاحظاته و مشاهداته، وهو بذلك في قلب الحدث متمثل له رأي العين، واضح جلي، وذلك نتيجة اتصاله المباشر بالمكان واحتكاكه بالناس وتنقله من مكان إلى آخر أثناء رحلته.

ومن هذا المنطلق اعتبرت كتب الرحلة من المصادر المهمة لدراسة التاريخ ، لاحتوائها على معارف تاريخية، جغرافية، اقتصادية، اجتماعية، عمرانية، ثقافية، دينية وسياسية...وغيرها.

ولكن كيف نتعرف على صدق ونزاهة رحالة من عدمه؟ وخصوصا إذا تعلق الأمر في كتابته عن مدينة؛ في تحصيناتها ومنشآتها العمرانية أو عن مرافقها ومجتمعها إن لم نقارنه برحالة آخر حل بنفس المدينة ونفس الزمان، وهذا ما يعكسه عنوان هذا البحث: **مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال بعض الرحالة العرب و الأوروبيين – دراسة مقارنة-** .

قد يكون من الصعب الإلمام بكامل الرحّالة الذين حلوا بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/ 18م؛ عربا كانوا أو أوربيين، لذلك كان اختيارنا على رحلات دون أخرى وهي: رحلة ابن حمادوش المسماة **لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال، عدتي ونحلتي في تعداد رحلتي وعجائب الأسفار ولطائف الأخبار** لأبي راس الناصر وأيضا **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا** لأبي القاسم الزياني. هذا عن الرحلات العربية، أمّا عن الرحلات الأوربية فهي: **تاريخ مملكة الجزائر** للوجي دي تاسي

Histoire du Royaume d'Alger de *Laugier de Tassy*

و**رحلة في إيالة الجزائر** للطبيب الانجليزي توماس شو

Voyage dans la Régence d'Alger de thomas Shaw.

وكذلك **الجزائر في القرن الثامن عشر** لفونتير دي بارادي

Alger aux XVIII siècle de Venture de Paradis

وهؤلاء الرحالة هم علماء، حجاج، قناصل وأطباء. ممن كانوا شهود عيان على ما جرى في تلك الحقبة بوجه عام وفي مدينة الجزائر بوجه خاص في الفترة العثمانية وبالتحديد في القرن 12هـ /18م – موضوع الدراسة ــ الذي أسال حبر العديد من الرحالة على مختلف اتجاهاتهم وتعدد مجالاتهم. ففي هذه الحقبة شهدت المدينة قدوم رحالة عرب وأوربيين خطوا عنها العديد من الكتابات والمؤلفات، اختلفت في مادتها الخبرية بين المعجب بها والساخط عليها، فمنهم من تصورها على أنها وكر للصوصية و منهم من اعتبرها دار جهاد.

لقد ترك كتاب الرحلة تراثا غنيا وكنزا ثمينا ينبئنا بحالة المدينة وواقعها ، ويلقي الضوء على حياة السكان فيها ، ولقد خص موضوع الدراسة فترة القرن الثامن عشر (1700 ــ 1800) لأنها فترة الركود الاقتصادي للجزائر وبداية تراجع مكانة البحر المتوسط بسبب الاكتشافات الجغرافية وفكرة تطويق العالم الإسلامي من طرف الأوربيين والقضاء على السيادة العربية والإسلامية التجارية في حوض البحر المتوسط التي مثلتها مدينة الجزائر على وجه التحديد.

ولعل من أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع أيضا هو إشارة الأستاذ مولاي بلحميسي في كتابه: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة**، إذ يقول: "... وما خصصوه للجزائر في رحلاتهم جدير بأن يجمع ويدرس ويحلل ويقارن بما في رحلات الأوربيين المعاصرين لهم، وهكذا يكون التكامل النافع..."، وإن كان قصده دراسة مقارنة عامة عن الجزائر وتحليل للرحلات العربية والأوربية ، فهذا عمل شاق قد يستغرق وقتا أطول وتنقل وسفر إلى أماكن تواجد المخطوطات وكتب الرحلة وهذا ما لا تتسع له مذكرة ماجستير وما لا نقدر عليه في الوقت الحالي . لذلك اقتصرنا على بعض النماذج التي هي في متناول الباحثين محاولين الإجابة على الإشكالات التالية:

1- هل الجمع بين هذه المصادر ــ العربية والأوربية ــ يعطينا صورة متكاملة عن مدينة الجزائر و الحياة الحضرية فيها؟

2- هل نستطيع من خلال الرحلة الأوربية خصوصا أن نرسم شكل مدينة الجزائر وتنظيمها ونعطي بذلك إثباتا دامغا لمن ادعى عدم وجود خصوصية إسلامية لهذه المدينة؟

3- هل المقارنة بين مصادر الرحلة المنتقاة وكشف أوجه الاختلاف و التشابه فيها ينبئنا بمدى مصداقية ما كتب عن المدينة؟

وقد اعتمدنا لحل هذه الإشكالات المنهج المقارن مرة والتحليلي مرة أخرى.

و البحث مقسم إلى أربعة فصول، بدأناها بمحاولة إلقاء الضوء على الرحلة والرحلات في الجزائر خلال القرن 12هـ /18م ، وخصصنا الفصل الأول منه للتعريف بمصادر الرحلة بنوعيها العربية والأوربية وكذا إعطاء نبذة عن حياة الرحالة والتعريف برحلته حتى يتسنى لنا معرفة كل العوامل التي أدت إلى كتابة الرحالة لرحلته وظروفها وأهدافه من وراء هذا التأليف، ولكي نستطيع أن نضع كل رحلة في سياقها ونحدد نوعها؛ من رحلة علمية ، حجازية و سفاراتية ومنها ما تعددت أغراضها وأهدافها. لننتقل بعدها إلى الفصل الثاني الذي عنون بمدينة الجزائرمنشآتها وتحصيناتها العمرانية من حيث: أبوابها، خندقها، أسوارها، قصبتها، قصورها ومنازلها وكذلك أحياؤها وأزقتها. وإن تفنن الرحالة الأوربيون في ذكر هذه المنشآت والتحصينات بأدق تفاصيلها، فهم بذلك يريدون تحقيق أغراض عدة، في حين تغافل عنها الرحالة العرب، ولهذا الإغفال ما يفسره. وغايتنا أن نقف على أسباب التشابه والاختلاف والتنوع في الوصف. وفيما يخص الفصل الثالث فكان الحديث عن مرافق مدينة الجزائر في القرن 12هـ/ 18م و المتمثلة في أسواقها، فنادقها، حماماتها، مساجدها، مدارسها وزواياها وأيضا شبكة المياه فيها، ولقد اختلف في هذا الشأن الرحالة العرب و الأوروبيون في ذكر تفاصيل هذه المرافق، فبقدر ما ركز الرحالة الأوربيون على معظم المرافق،

أهمل الرحالة العرب من زاوية أخرى معظمها ما عدا ما تعلق بالجانب الديني والثقافي والنشاطات في المساجد والمدارس ولهذا ما يبرره أيضا.

أما في الفصل الرابع فحاولنا إلقاء الضوء على مجتمع المدينة من خلال عدد السكان والأصول العرقية لهم والفئات الاجتماعية المتنوعة، بالإضافة إلى اللغة المتداولة في مجتمع مدينة الجزائر، وذكرنا بعض العادات والتقاليد التي ألفها مجتمع المدينة بين الحين والآخر في جوانب عدة (كالزواج ، الختان، المولد النبوي، ليالي رمضان " ليلة القدر"). كما ركز الرحالة الأوربيون خصوصا على الأحوال الصحية لمجتمع المدينة، وكانت لهم تفسيراتهم الخاصة في هذا الجانب، اختلفوا تماما مع الرحالة العرب، وهو الأمر الذي صعب من دراسة المقارنة بين هذه النماذج التي تنوعت في مادتها وأخبارها، فكان من الصعب ضبط خطة دون تحديد ما يجب البحث فيه.

ولقد اعتمدنا في المذكرة على قائمة من المصادر والمراجع وبعض المقالات من مجلات متخصصة وكذا رسائل جامعية نذكر منها: **رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس الغرب سنة 1145 هـ/1732م**، التي ترجمها وقدم لها وعلق عليها الأستاذ ناصر الدين سعيدوني، وكذلك **رحلة المكناسي** لمؤلفها عبد الوهاب المكناسي المغربي سنة 1785م، وأيضا **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة** لمحمد بن رقية الجديري التلمساني، التي نشرت في مجلة تاريخ وحضارة المغرب من طرف سليم بابا عمر سنة 1967م.

ولقد استفدت كثيرا من **مذكرات أسير الداي كاثكارت**، الذي أتى على إعطاء أوصاف دقيقة لمجتمع مدينة الجزائر والمرافق والمنشآت باعتباره كان أسيرا في قصر الداي أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، دون أن ننسى **النفحة المسكية في السفارة التركية** لابن محمد علي التمقروتي المغربي، الذي زار مدينة الجزائر في القرن 10هـ/16م، مثله مثل حسن الوزان المدعو ليون الإفريقي في كتابه **وصف إفريقيا**. وحاولت التركيز على مصادر الرحلة الأوروبية أيضا مثل **رحلة في إيالة تونس والجزائر** لبايصونال جون أندري سنة 1724 – 1725

Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger .

وكتاب الأسير الاسباني في مدينة الجزائر دييغو دي هايدو **طبوغرافية وتاريخ مدينة الجزائر**

Topographie et histoire générale d'Alger

بالإضافة إلى مجموعة من المراجع العربية والأوربية ومن أهمها ما كتبه كل من الأستاذ أبو القاسم سعد الله حول الرحالة والرحلات الحجازية أثناء العهد العثماني، والأستاذ ناصر الدين سعيدوني في تأليفه حول **التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم رحالة ومؤرخين وجغرافيين**، وكذلك **ورقات جزائرية**، وأيضا الأستاذ مولاي بلحميسي في كتابيه: "**الجزائر من خلال رحلات المغاربة** و **مدينة الجزائر من خلال مياهها**". وفيما يخص المراجع الفرنسية فقد كان اعتمادنا على ما ألفته دونيس ابراهيمي في **آراء وملاحظات الأوربيين حول المغرب في القرن 17و18.**

Opinions et regards des Européens sur le magreb aux XVII^{ème} et XVIII^{ème} siècle.

وأندري ريمون في كتابه: **مدن عربية كبرى في العهد العثماني**

Grandes villes arabes a l'époque ottomane

ومولاي بلحميسي كذلك في كتابه **Alger la ville aux Mille canons**

كما اعتمدت على مجموعة من المقالات في مجلات متخصصة منها: الثقافة، الأصالة، المجلة التاريخية المغربية والمجلة الإفريقية.... وأثناء قيامنا بهذا البحث واجهنا مجموعة من المصاعب والمشاكل، أهمها كيفية الحصول على مصادر الرحلة سواء العربية أو الأوروبية وكذا ترجمة بعض الفصول من كتب الرحلة ، بالإضافة إلى ابتعادي عن مجال البحث لمدة زمنية طويلة قاربت العشر سنوات،ناهيك عن ارتباطاتي الأسرية باعتباري كفيل أسرة. ورغم هذا حاولنا جاهدين أن نتقدم بهذا البحث المتواضع، تعبيرا عن الشكر والعرفان لكل من ساهم في إنجاحه وإخراجه إلى النور وعلى رأسهم المشرف الأستاذ الدكتور صاري أحمد وبعض الزملاء الذين لم يبخلوا علي لا بكتبهم ولا بنصائحهم ومساعداتهم.

مدخل:

تعتبر الرحلة وسيلة هامة لكتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، لأنها من مصادره الأولية ،ولأن الرحالة قد انتقل من مكان إلى آخر في زمانه ، فقيد ما شاهد ودون ما لاحظ، وها هو اليوم ينقلنا نحن من زماننا إلى زمانه ، وحتى نتعرف على صدق ونزاهة ما كتب أوجب أن نقارنه بشخص آخر في زمانه حل بنفس المكان ، حتى نصل إلى الحالة الحقيقية التي كان عليها ذلك المكان في جوانبه المتعددة ،و الأهم من هذا أن يكون هذا المكان يحتل قيمة عالية، كأن يكون مقرا للسلطة أو دار الإمارة أو مكان تواجد السفراء وكبار التجار ومقصد الغرباء والحجاج و العلماء.....وغير ذلك. وهو الأمر الذي كانت عليه مدينة الجزائر في العهد العثماني حيث استقطبت العديد من الرحالة سواء كانوا عربا أم أجانب.

وسجلت هذه المدينة حضورا قويا في مصادر الرحلة ، و بخاصة الأوروبية منها ولهذا ما يفسره .ونظرا لتشعب ما كتب طول الفترة العثمانية التي فاقت ثلاث قرون ، وقع اختيارنا على رحالة حلوا بالمدينة في القرن 12هـ/18م، وهم : ابن حمادوش في رحلة "**لسان المقال في النبا عن الحسب و النسب والحال**" ، وهي في عدة أجزاء، لكن الموجود منها إلى غاية اليوم هو الجزء الثاني . واشتهر ابن حمادوش بتدوين دقائق الأمور، و في رحلته الكثير عن مدينة الجزائر في جوانب عدة ، وأيضا هناك رحالة آخر هو: "أبوراس الناصر" الذي يعد من الذين أكثروا من الترحال و الكتابة في العهد العثماني، وما يهمنا في هذا المقام هو رحلته التي أطلق عليها "**عدتي و نحلتي في تعداد رحلتي**" و منها **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي و نعمته** وفيها جانب مهم عن مدينة الجزائر فكري، ثقافي وحتى ديني سنة 1204هـ/1790م. كما زار مدينة الجزائر عدة رحالة مغاربة منهم الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي ، وهو أديب و وزير سمى رحلته **بالترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا و بحرا** وهي رحلة إلى اسطنبول ، ضمت أخبار عديدة في مختلف الفنون والمواضيع ، وأفرد عدة صفحات للجزائر ككل و لمدينتها بشكل خاص.

ورغم وجود رحلات أخرى تعود إلى العهد العثماني مثل رحلة أحمد بن عمار المسماة "**تحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب**"، لكن المطبوع منها والموجود في

المتناول هو القسم الأول والذي فيه بعض الأخبار عن مدينة الجزائر كالاحتفال بالمولد النبوي وعادة الأندلسيين في ذلك وذكر بعض العلماء والأدباء. وأيضا هناك رحلة البوني أحمد بن قاسم ابن محمد ساسي الذي ينسب إلى مدينة بونة (عنابة)، حيث قام برحلة حجازية إلى البقاع المقدسة دونها باسم: "**الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**" وهي في عداد المؤلفات المفقودة.

كما تأتى رحلة الورتلاني الحسين محمد بن سعيد في مقدمة كل هذه الرحلات ،إلا أن صاحبها لم يتحدث عن مدينة الجزائر، بل أكثر الحديث عن مناطق عديدة بدءا بمسقط رأسه وصولا إلى البقاع المقدسة، باعتباره حج ثلاث مرات، و كثيرا ما نقل عن الرحالة العياشي (**ماء الموائد**) و الدرعي (**الرحلة الناصرية**) ...إلا أننا اعتمدنا على ثلاث رحلات فقط ،وان كانت هناك رحلات عربية أخرى فحديثها عن مدينة الجزائر يكاد ينعدم، لولا بعض الإشارات، كما أن إمكانية الحصول عليها تكاد تكون مستحيلة.

وإذا ما جئنا إلى الرحلات الأوروبية في مدينة الجزائر فهي كثيرة ومتنوعة إذ ما قورنت بالرحلات العربية، لذلك وقع اختيارنا على رحلة لوجي دي تاسي في سنة 1718 **(Histoire de royaume d'Alger)** ، تحدث فيها بصورة دقيقة عن الحكومة القائمة آنداك، وعن القوات البرية ، البحرية ، العدالة ، الشرطة ، السياسة والتجارة، وخصص آخر فصل للحديث عن الجزائر. واختيارنا الثاني هو : كتاب الطبيب الإنجليزي توماس شو **(Voyage dans la Régence d'Alger)**

إذ دامت رحلته حوالي اثنتي عشر سنة (1720 –1732)، وترجم كتابه إلى عدة لغات، قدم فيه تفاصيل عن مدينة الجزائر؛إدارتها، حياتها الاجتماعية والاقتصادية...، وأما الاختيار الثالث فهو لفونتير دي بارداي المبعوث الفرنسي إلى الجزائر ،فقد ألف في هذا الشأن كتابا بعنوان: **الجزائر في القرن الثامن عشر**، وبالرغم من أنه بقي لمدة سنتين فقط (1788–1790) إلا أن كتابه غني بمادة خبرية عن مدينة الجزائر في جوانب عدة.

وإن كان ذكر الرحالة الأوروبيين يطول ، من أمثال ج أندري بايصونال الذي حل بالمدينة بين سنتي (1724–1725) في إطار مهمة علمية لدراسة طبقات المرجان وكذلك

إتمام أبحاثه عن الطاعون الذي توفي به والده ، فقد ألف هذا الطبيب كتابا سماه "قصة رحلة على سواحل بربارية

Relation d'un voyage sur les cotes de Barbarie .

وشمل عدة ملاحظات ، كما ألف مجموعة من الآباء كتابا عن الجزائر حينما جاؤوا إلى المدينة بغية افتداء الأسرى الفرنسيين سنة 1725م وهم :

Jean de la fay , Denis Mackar, Augustin d'Arsica Henri le Roye

كما زار السيد "طولو **Tollot** " مدينة الجزائر بصحبة الرحالة لاكوندامين يوم 12 جوان 1731م ومكث بها لمدة أسبوع.

وبحكم أن مدينة الجزائر استقطبت عدة شخصيات وكانت وجهة العديد من المثقفين من أمثال الألماني ج.أو هابنسترايت الذي جاء في إطار بعثة علمية (1732) والتقى بالطبيب الانجليزي توماس شو، وقد ترك هذا الطبيب الألماني رحلته المسماة "**رحلة العالم الألماني ج.أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)**، وقام مؤخرا الأستاذ ناصر الدين سعيدوني بترجمتها.

وسنعرض في هذا المقام قائمة لأهم الرحلات التي تتحدث عن مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م بذكر اسم المؤلف وعنوان كتابه وسنة تأليفه وكل ما يتعلق بالكتاب، وهي مرتبة ترتيبا كرونولوجيا من1700م إلى1799م . وقبل أن نتعرف على مدينة الجزائر من خلال الرحلات الأوروبية و العربية يجدر بنا أن نتعرف على كل رحالة ونعطي نبذة عن حياته ثم ظروف رحلته و أخيرا تأليفه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:التعريف بمصادر الرحلة العربية و الأوروبية

أولا: لسان المقال في النبأ عن الحسب و النسب و الحال

ثانيا: الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا

ثالثا: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته

رابعا: تاريخ مملكة الجزائر

خامسا: رحلة في إيالة الجزائر

سادسا: الجزائر في القرن الثامن عشر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخـــل

انفردت مدينة الجزائر في العهد العثماني بعدة ميزات وخصائص جعلت منها عاصمة لإيالة الجزائر ومقرا للسلطة، لذلك ولأسباب عديدة سجلت حضورها في مصادر وكتابات متعددة منها مصادر الرحلة بنوعيها العربية والأوربية.

ونظرا لما كتب عنها خصوصا من طرف الرحالة الأوروبيين وعلى امتداد الفترة العثمانية، حاولنا أن ننتقي بعضا منها في القرن12 هـــ/ 18م ، ونقارنها كلما أمكن ذلك مع ما كتبه الرحالة العرب حتى نقف على أوجه التشابه والاختلاف حول مدينة الجزائر من عدة زوايا، ولذلك وقع الاختيار على ثلاثة مصادرعربية هي:

أ- **لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال لابن حمادوش** (رحلة ابن حمادوش).

ب- **الترجمانة الكبرى للزياني** (رحلة الزياني).

ت- **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي و نعمته (عدتي ونحلتي في تعداد رحلتي)** و كذا (**عجائب الأسفار و لطائف الأخبار**) لأبي راس الناصر.

وثلاثة مصادر أوربية هي:

a- Histoire du Royaume d'Alger (Laugier de Tassy)

b- Voyage dans la Régence d'Alger (Thomas Shaw)

c- Alger aux XVIII siècle (Venture de Paradis)

و قمنا في هذا الفصل بالتعريف بهذه الرحلات وبأصحابها ثم اقتبسنا منها ما يخص مدينة الجزائر في القرن12هـــ/ 18م.

أولا)- لسان المقال في النبأ عن الحسب و النسب و الحال:

من بين أهم المصادر التاريخية التي تحدثت عن الجزائر خاصة و المغرب الأقصى عامة في القرن12هـ/18م رحلة ابن حمادوش، والتي تعرف باسم "**لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب و الحال**" .

وقبل أن نتحدث عن هذا المصدر لا بد من إعطاء نبذة عن حياة المؤلف ، حتى يتسنّى لنا معرفة العوامل والظروف التي أدّت إلى تأليف هذا الكتاب، ونستنتج أسباب رحلته وكل ما له علاقة بموضوع الدراسة؛ "**مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال بعض الرحالة العرب والأوروبيين**"، ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن هذا الكتاب معروف بـــ "**الرحلة**".

التعريف بالمؤلف:

هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف باسم "ابن حمادوش الجزائري"، ولد في مدينة الجزائر حوالي 1107هـــ / 1695م ، وعمّر طويلا حيث يقال بأنه تجاوز التسعين أي أنّ وفاته كانت بين 1197هـــ - 1200هـــ[1]/1782م- 1785م.

ترعرع ابن حمادوش في مدينة الجزائر وسط أسرة تعرف بأسرة الدباغ، و على ما يبدو أنها حرفة والده، كما تتلمذ على يد عدة مشايخ خاصة محمد بن ميمون[2]، وكان علمه وتكوينه في الغالب يعتمد على القراءة، فأصبح بذلك موسوعيا يملك معارف في عدة علوم ، كما جالس الكثير من العلماء سواء في الجزائر أو خارجها[3] .

([1]) عبد الرزاق بن حمادوش، ***رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال***، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص 09.

([2]) محمد بن ميمون(... بعد 1120هـــ/1708م) هو محمد بن ميمون الزواوي الجزائري وكنيته أبو عبد الله، فقيه صوفي، له مشاركة في الأدب والتاريخ أصله من الزواوة، من آثاره: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية**.لمزيد عن حياته ينظر: عادل نويهض، ***معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر***، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص 113و محمد بن ميمون، ***التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية***، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

([3]) ناصر الدين سعيدوني، ***من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين***، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 432.

تزوج ابن حمادوش مرتين، الأولى بابنة عمه والثانية من عائلة حرفتها النحاس وتلميعه ، فأما في الزواج الأول فقد كان ابن حمادوش حديث السن يقطن ببيت عمه، إلا أنّ حياته الزوجية هذه كما يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه" **تاريخ الجزائر الثقافي**" مجهولة القيمة عنده بسبب الفقر الذي كان يعيشه، مما أدّى بزوجته إلى هجره وطلب الطلاق. ورغم هذا فقد كان كثير الملازمة للكتب، وقد حاول مرارا الجمع بين العلم والتجارة، إلا أنّه ظلّ في حالة شقاء وبؤس حسب استنتاجات سعد الله[1]، لكن على ما يبدو أن حالته المعنوية كانت عكس ذلك، وهذا ما جعله يؤلّف ويلازم الكتب وحتى التجارة فيها لينفّس عن فقره المادي. وهناك عدة عوامل صقلت شخصية ابن حمادوش وجعلته في طليعة علماء عصره نذكر منها:

- الموهبة وحبّه للعلم جعلا منه شخصية متميّزة في عصره.
- قد تكون حالة الفقر دفعت به إلى ملازمة الكتب ونسخها.
- تتلمذه على يد عدّة مشايخ فطاحل وهم على سبيل الذكر لا الحصر: المفتي محمد ابن نيكرو، القاضي مصطفى بن رمضان العنابي، الأديب محمد بن ميمون، أحمد الورززي المغربي ، محمد البناني ، أحمد بن عمار و ابن علي...الخ.
- الرحلة شرقا وغربا إلى الحجاز والمغرب الأقصى، لأنه كان شغوفا بالتنقـــــل والرحلات، وشديد الاهتمام بطبائع وعادات الناس وغرائب الأمور[2]، وكذا التوجه إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج أولا والتزود بالعلم ثانيا.

ولا يفوتنا ونحن بصدد الحديث عن حياته وشخصيته أن نذكر مؤلفاته المتنوعة كما وجدناها في بعض الكـــــتب والدراسات التي أنجزت عنه وهي: **شرح على قصيدة الربع على كردفر، الجوهر المكنون في بحر القانون، شرح على منظومة ابن غرنوط، بغية الأديب في علم التكعيب، فتح المجيب في علم التكعيب، تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج،** وكتابات في مجالات عدة؛ في

([1]) أبو القاسم سعد الله، ***تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)***،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بـــيروت، 1998. ص 425 .

([2]) المرجع نفسه ، ص ص 425-426 .

الروزنامة، الأعشاب، علم الفلك، علم البلوط (الطرق البحرية)، عمل البونبة، الرخامة الظلية والقوس الذي يعتمد عليه النصارى "الأوربيون" في حركة الشمس، كما قدّم تعليقا على ألفاظ الديباجة الواردة في منظومة ابن سينا وخارطة اتجاهات رياح البحر.

ومن خلال هذه الكتب المتنوعة التي سال فيها قلم ابن حمادوش في الفلك والرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا... يبدو جليا أنه كان رجلا موسوعيا حاول أن يلج عدة علوم لم تكن معروفة في بيئته، ومعظم كتبه لا تزال غير معروفة ودون عناوين، وهذا أيضا من بين أهم النقاط الغامضة التي تستحق البحث والتمحيص.

لكن أهم عمل قام به في مجال الرحلة هو كتابه المعروف بـــ: " **لسان المقال**"، الذي نحن بصدد استخلاص ودراسة ما يتعلق منه بمدينة الجزائر في القرن 12هـــ/18 م.

التعريف برحلة ابن حمادوش:

طبعت هذه الرحلة سنة 1983 بالجزائر من قبل المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (ورشة أحمد زبانة) [1]، وحققت قبل هذا من طرف الدكتور أبو القاسم سعد الله، معتمدا على النسخة الموجودة في مكتبة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم "ك 463"، وهي في شكل مسودّة، ويذكر في بداية النسخة أنها الجزء الثاني من الرحلة، لأن هذا الجزء لا يحتوي على الديباجة المعروفة في التآليف التي تعود إلى هذه الفترة وليس فيها بيان الغرض من التأليف والدافع إليه وخطته وسبب اختيار العنوان، وقد تكون عليها عبارات –حسب ما ذكر محققها– " تملّك الشيخ المفتي أحمد العمالي" و لكن الشيخ عبد الحي الكتاني أزال هذه التسمية وكتب اسمه لأنه ملك النسخة أيضا[2].

وقد استغرق أبو القاسم سعد الله في تحقيقها مدة زمنية قاربت العشر سنوات، وهو بذلك قدّم مساعدة قيّمة للباحثين والمهتمين بمجال الرحلة وتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني والمغرب الأقصى في القرن 12هـــ/ 18م.

([1])عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق.

([2]) المصدر نفسه، ص ص 13–14.

وتعتبر هذه الرحلة وثيقة هامة لمعرفة الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية في كل من الجزائر والمغرب الأقصى في القرن 12هـ/ 18 م. ونتلمّس فيها الوصف الدقيق للحياة اليومية في المناطق التي زارها وأقام بها[1].

والرحلة مكوّنة من عدّة أجزاء، لكن الموجود منها لحد الآن هو الجزء الثاني، والبقية لا تزال في عالم الغيب[2]. ولا نودّ أن نتحدث عن المخطوطة أو من أشار إليها أو نهل منها من أمثـــال: عبد الحي الكتاني ومحمد داود، بقدر ما نريد أن نستخلص منها ما يتعلق بمدينة الجزائر .

كانت بداية الجزء الثاني من الرحلة هو غرّة عام 1156 هـ الموافق لـ 1743 م، وهي بداية انطلاق الرحلة إلى المغرب الأقصى، وآخر تاريخ كتب فيها أيضا هو1160هـ/1747م [3]، و بالتالي فإنّ إطارها الزمني هو النصف الأول من القرن 18م.

أما فيما يخص محتواها فابن حمادوش يتحدث عن مدينة الجزائر وعن سكانها في نقاط من الرحلة، منها مثلا: عادة أهل مدينة الجزائر في المولد النبوي، قضية التهرب من المكس في ميناء الجزائر، وبعض القضايا العائلية كفراق زوجه له وختان ابنه وكيفية حدوث ذلك، وكذا نوع القماش المستخدم والرائج في تلك الفترة، كما لم يغفل الحديث عن الظواهر الفلكية وبعض الأمور السياسية كقضايا افتداء الأسرى ورفض الداي استقبال السفير العثماني، ويعرج أيضا على بعض الظواهر الثقافية كعادة قراءة "صحيح البخاري" في الجامع الكبير وحادثة الحجر الصحي بالميناء لسفينة قادمة من الإسكندرية[4]... وغيرها من الأحداث والوقائع والشواهد التي تستحق فعلا التوقف والذكر والتمعن، وتفيدنا في معرفة بعض المواقع وكذا الشخصيات الفاعلة في الميادين السياسية و الثقافية... وغير ذلك ، وهذا ما نسعى إلى توضيحه.

([1]) الشيخ أبو عمران وآخرون، ***معجم مشاهير المغاربة***، منشورات دحلب، الجزائر، 2000، ص 139.

([2]) أبو القاسم سعد الله، ***أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر***، المجلد 1، ط5، دار الغرب الإسلامي، بـــــيروت، 2005، ص ص 182-183 وأبو القاسم سعد الله ، ***الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته وآثاره***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982، ص56.

([3]) أبو القاسم سعد الله ، **الطبيب الرحالة...**، المرجع نفسه، ص 129.

([4]) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق ، صفحات متفرقة.

وإذا تصفحنا الرحلة نجدها مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

أ- قسم خاص بالمغرب.

ب-قسم عن سيرة المؤلف نفسه في الجزائرحيث ترد أخبار متفرقة في قالب قصصي، بمعنى أنه عبارة عن مذكرات وحوادث يومية عن قراءاته وملاحظاته ونشاطاته.

جـــ- قسم يتضمن النقل من كتب قديمة، وبعض عقود الزواج على عادة أهل مدينة الجزائر وبعض الأسانيد والإجازات و القصص[1].

و مما يلاحظ عن هذه الرحلة أنها رتبت ترتيبا زمنيا للأحداث وجاء ذلك عن طريق السرد الحولي حسب ما وقع له وشاهده، وهي بالسنين الهجرية في الغالب مؤرخة بالتاريخ الاسكندري، ولقد تحرّى ابن حمادوش الدقة والأمانة في الكتابة كقوله: " لم أدر كيف كتب ولا ما صنع وإنما بلغني..."، كما نجده أحيانا يفتخر بعلمه وحلّه لبعض النوازل خصوصا في الجامع الكبير مع أقرانه.أما عن مصادر رحلته فهي إمّا النقل من الكتب السابقة أوالمشاهدة الشخصية[2].

ومن الكتب التي تشكل مصدرا لرحلته نذكر: **صحيح البخاري، تاريخ الكردبوس، القانون** لابن سيناء، **تاريخ الملطي، مقالات إقليدس ومنطق السنوسي**، وأما المشاهدات فهي جليّة في كتابه من خلال الأحداث التي شاهدها والعادات التي ذكرها، غير أنّ الأخبار التي يوردها ثقافية واجتماعية أكثر منها سياسية، كما يثري موروثنا بعدة شخصيات بارزة وفاعلة في جملة من الاختصاصات والجوانب (قضاء، فقه، فتوى، قراءة صحيح البخاري في الجامع الكبير....).

([1]) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء...**، المرجع السابق، ص 231.

([2]) المرجع نفسه، ص 232.

تقييم الرحلة:

إن أهمية رحلة ابن حمادوش تكفي أن نضعها في قائمة المصنفات الهامة من تراث الجزائر العربي الإسلامي، نظرا لما تحويه من أخبار دقيقة [1]. وعلى الرّغم من أنّ رحلته كانت غربا إلى المغرب الأقصى وشرقا إلى الحجاز، إلا أنه بين الفينة والأخرى يكتب عن مدينة الجزائر في جوانبها الاجتماعية والثقافية ومرات السياسية، ويعقد المقارنة بينها وبين مدن أخرى زارها.

لقد انفرد ابن حمادوش عن معاصريه بكتاباته المتميّزة وابتعاده عن الوظيف الحكومي، حيث قال: " كان من فضل الله علي أن لم أجعل علمي سلما للدنيا، ولم أنل به شيئا، ولم أمدح أحدا لطمع" [2]. وكان إلى حد كبير موضوعيا إذا ما قورن بمجموعة العلماء الذين كتبوا في القرن 12هـ/18م.

وهذه الأهمية لرحلة ابن حمادوش هي التي أدت بنا إلى اختيارها كإحدى نماذج الرحلة التي تتحدث عن مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، ولو في جوانب دون أخرى. و بالإضافة إلى كتاباته السالفة الذكر برع في فن المقامات والشعر ويؤكد على أنّه رحّالة فيقول [3] :

قطعت بحارا موهـــلات ودونها قفارا لا تاويها الوحوش مع الطــير
وجبت بلاد الترك والعرب والعجم على قدمي طورا وطورا على الحمير.

---

(1) **أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء... ،المرجع السابق، ص 239.**

(2) **أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة...، المرجع السابق، ص 07.**

(3) أبو القاسم سعد الله، "أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائري"، ***مجلة الثقافة***، العدد 49، يناير–فبراير 1979. ص38.

ثانيا)- الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا:

جاب الرحالة أبو القاسم الزياني المغربي عدة مناطق، وقادته رحلاته إلى مدينة الجزائر فكتب عنها في مؤلّفه الذي يحمل عنوان: " **الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا وما تخللها من الأمصار والمدن والقرى والقفار والبحار والجبال والأنهار والعيون والمعادن و الآبار، وغير ذلك من عجائب خواص الحيوانات والأحجار وما يزيد ذلك من تفسير والآثار ونوازل الفقه ولغة العرب وشواهد الأشعار**"[1]. وقبل أن نتحدث عن الرحلة يجدر بنا التعريف بصاحبها.

التعريف بالزياني:

هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الزياني من قبيلة صنهاجة، ولد بفاس في 1147 هـ/1734م. تتلمذ- كمعظم أبناء عصره- على يد شيوخ أمثال: محمد بن حسن البناني، أبو حفص عمر الفاسي...وغيرهما، ودرس عدّة علوم كالتفسير، الفقه، الحديث، النحو والمنطق بجامع القرويين ومسجد الأندلس ومدرستي الصهريج والعطارين[2]، إلى غاية 1172هـ/ 1758م وهو في بداية العقد الثالث من عمره. انتقل بعد ذلك إلى البلاط الملكي ليعيّن كاتبا بالقصر، وأثناء مهمته هذه أظهر حسن التسيير والتدبير حتى تمّ قربه من السلطان مولاي محمد بن عبد الله (1171هـ-1205هـ/1757م- 1790م)، وأسندت له عدة مهام[3].

ونظرا لتضلّعه في عدّة علوم وحسن تدبيره، أصبح يترقّى في المناصب، منها الدبلوماسية حيث عيّن سفيرا باسطنبول أيام السلطان عبد الحميد (1188هـ-1204هـ/ 1774م-1789م) لفترة قصيرة دامت ثلاثة أشهر، ليعزل بعدها أيام مولاي اليزيد بن محمد (1205هـ-1207هـ/ 1790م- 1792م) ثم يعاد مرة أخرى أيام مولاي سليمان

([1]) أبو القاسم الزياني، ***الترجمانة الكبرى***، تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، نشر وزارة الأنباء المغربية، مطبعة فضالة، 1967.

([2]) الشيخ أبو عمران وآخرون، المرجع السابق، ص 234.

([3]) مولاي بلحميسي، ***الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني***، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجـــزائر، 1981، ص 20.

ابن محمد(1207هـ-1237هـ/ 1792م- 1822م) [1]. وبعد عمله في البلاط والسفارة عزل نهائيا من الوظيف والخدمة حاملا معه الخـــــبرة والمعرفة ليتفرغ بعدها للتأليف.

ويذكر أن مؤلفات الزياني تقارب العشرين، لكن ناصر الدين سعيدوني ينسب له ثلاثة كتب رئيسية هي: **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، البستان الظريف (الروضة السليمانية)** والترجمانة **الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا**[2].

أما التصانيف الأخرى فما هي إلا اقتباسات من الكتب الرئيسية الثلاث السابقة الذكر وهي: **رسالة السلوك فيما يجب على الملوك، رحلة الحذّاق لمشاهدة البـــلدان والآفاق، تحفة الهادي في نسب شرفاء المغرب والدّرّة السّنيّة الفائقة في كشف أهل البدع والزنادقة.** أما مواضيعها فتراوحت بين التاريخ العام وتاريخ الدولة العلوية، وما يهمنا في الرحلة خاصة ماله علاقة بمدينة الجزائر في القرن 12هـ/ 18م وهو بلا شك **"الترجمانة الكبرى".**

التعريف برحلة الزياني:

إن رحلة الزياني " **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا**" تعتبر من أطرف كتبه لأنه تحدث فيها عن معظم الوقائع والأحداث التي شاهدها، وكذا الشخصيات التي تعرّف إليها في قالب قصصي، وكانت كتابتها في سنّه المتقدم (فوق الثمانين) أي بعد اعتزاله الوظيف حيث استراح فأفاد وألّف، وفيها يذكر رحلاته الثلاث خارج المغرب الأقصى وهي كالآتي:

1- الرحلة الأولى إلى البقاع المقدسة وذلك لآداء مناسك الحج (1169هـ/1171هـ) (1755م/1757م) وفيها يذكر بعض المدن الأوروبية كبرشلونة، مرســـــيليا وليفورن....

2- الرحلة إلى اسطنبول (1200هـ/1785م): وذكر فيها تونس، اسطنبول ومالقة....

([1]) مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 21 والشيخ أبو عمران، المرجع السابق، ص 235.

([2]) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 477.

3- الرحلة إلى الحجاز (1206هـ/1791م): في هذه الرحلة مرّ الزياني بعدة قرى ومدن جزائرية وأقام في مدينة الجزائر وتجول فيها وكذلك الشأن بالنسبة له في تونس والشام.

وقد التقى الزياني بشخصيات مهمّة وفاعلة في مجالات عدّة من أمثال المؤرخ المصري الشهير عبد الرحمن الجبرتي. وإذا ما عدنا إلى المضمون، **فالترجمانة** احتوت على العديد من الأخبار، منها ما يتعلق بشخص الزياني ومنها ما هو معلومات وأخبار تاريخية منقولة عمن سبقوه في مجال الرحلة كالبكري في كتابه "**المسالك والممالك**" والعياشي في مؤلفه " **ماء الموائد**"[1] **(الرحلة العياشية)**.

كما قدّم في الترجمانة وصفا لمعالم أثرية ومظاهر عمرانية مثل وصفه لمسجد بالجزائر العاصمة، وقال فيه وفي بانيه أبياتا شعرية لا تزال شاهدة عليه.

ويجدر بنا أن نشير إلى أنّ الزياني كانت لديه رغبة في الاستقرار بالجزائر وبالتحديد في مدينة تلمسان، إلا أنّ عوامل لا تزال مجهولة جعلته يعدل عن هذا القرار ويستقر ببلده المغرب ويتم كتابة رحلته في ربيع الأول 1233هـ/20 جوان 1818م [2]. وبعد تاريخ حافل وافته المنية في رجب 1249هـ /نوفمبر 1833م [3].

لقد تحدث الزياني في **الترجمانة الكبرى** عن مدينة الجزائر، فذكر الأشخاص والمساكن والمأكولات وحتى الفنادق، كما ذكر شخص القاضي أبو عبد الله محمد بن مالك، وأشار إلى أن المحكمة الشرعية كانت تعقد في المسجد الجامع ولعله يقصد الجامع الكبير وسط المدينة، كما لاحظ الزياني أن نسخة البخاري كانت رائجة في تلك الفترة (القرن 12هـ/ 18م).

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 480.

(2) مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 236.

(3) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 477.

ونقل لنا أيضا وصفا لجامع كتشاوة[1] (المسجد الجديد)، وهو لا يعني بهذا المسجد الحنفي بقدر ما كان يعني جامع كتشاوة لأنّه جدّد ورمّم أثناء إقامته في مدينة الجزائر.ومع اهتمامه بالأمور العمرانية والدينية كان له اهتمام أيضا ببعض الأمور الاقتصادية فتحدث عن ظاهرة كراء الأحمرة وكذا العملة المتداولة آنذاك ألا وهي "السلطاني دورو".

وما يستوقفنا في رحلته أنه مدح حسن باشا وبعث إليه برسالة أورد فيها جانبا من رحلته وكيف استفاد منها حيث يقول في مطلعها:

" الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ... وتقدمت أسماؤه وصفاته ... رجوعنا من الحرم الشريف ودخولنا إلى ثغر الجزائر الشهير عن التعريف وإقامتنا به للمانع الذي حصل ... كنت أجتمع مع أفراد من الأخيار وجماعة من العلماء الأحرار وأتفاوض معهم في سيرة سلطانهم الأعظم، الماجد الأكرم، حامي بقبضته الإسلام وناصر سنة سيد الأنام، الذي قمع أهل الكفر وقادهم بلا رس المنصور المؤيد السلطان حسن..." [2].

([1]) يقصد الزياني بجامع كتشاوة، الجامع الجديد الذي رممه ووسعه حسن باشا عام 1209هـ/1794م طيلة أيام وجوده في الحكم وقد بني من أموال مؤسسة "سبل الخيرات".

A. Devoulx, " Les édifices relegieux de l'ancien Alger " in ***R. A***. N 07, 1863, N 14, 1870, pp 166-192 et pp 102-113.

([2])مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 192.

ثالثا)- فتح الإله ومنّته في التّحدّث بفضل ربّي ونعمته:

لقد كانت الجزائر في القرن 12هـ/ 18م شغوفة بشخصية علمية، دينية وثقافية أكثرت من التّرحال والتّنقّل وكذا الكتابة، وهي شخصية "أبي راس الناصر" فقد كان من أهم المؤرخين أيام العثمانيين، ولا يمكن لنا أن نكتب فصلا عن الجزائر العثمانية دون أن نعود إلى كتابات أبي راس الناصر [1]. ولا بأس أن نستعين هنا بمصدرين في الرحلة لهذه الشخصية لثرائهما، وهما " **فتح الإله ومنّته في التّحدّث بفضل ربّي ونعمته**" و"**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**" [2].

التعريف بأبي راس الناصر:

يقول الحفناوي عن أبي راس: "هو العلامة المحقق، الحافظ، البحر الجامع، المتدفق اللافظ سيدي محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي" [3]، ولد بضواحي جبل كرسوط[4] حوالي 1150هـ/1737م من أسرة فقيرة، عرف بالتّرحال منذ نعومة أظافره، فتـــــنقل بين متيجة وحوز مجاجة (نواحي الشلف) و استقر أخيرا بمعسكر [5]، ورغم الاختلاف الوارد في سنة ولادته (بين 1150هـ-1165هـ /1737م-1751م) إلا أنّه من أبناء جيل القرن 12هـ/ 18م.

بدأ حياته بتعلّم القرآن وحفظه، ثم تتلمذ على يد عدة مشايخ كان لهم الأثر الكبير في العلم والورع أمثال الشيخ عبد القادر المشرفي بمدينة معسكر، وبعدها رحل إلى الريف أين تزوج ودرس وقلّد القضاء، ثم عاد مرة أخرى إلى مدينة معسكر واستقر بها

([1]) أبو القاسم سعد الله، ***تاريخ الجزائر الثقافي***...، المرجع السابق، ص 376.

([2]) محمد أبو راس، ***فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته***، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990 و***عجائب الأسفارولطائف الأخبار***، ج1، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.

([3]) أبو القاسم الحفناوي، ***تعريف الخلف برجال السلف***، ج2، موفم للنشر، الجزائر،1991، ص 167.

([4]) محمد أبو راس، **فتح الإله ومنته...**، المصدر السابق، ص 18.

- كرسوط: يقع هذا الجبل غربي بلدية وادي التاغية على بعد 50كلم من مدينة سعيدة .

محمد أبوراس، **عجائب الأسفار...**، المصدر السابق، ص 10.

([5]) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 460.

وأصبح يقيم حلقات العلم ويشرح ويفسّر ويفتي لطلبته الذين زاد عددهم عن العشرات ووصل مرات إلى المئات. وهذا كله بإذن من شيخه عبد القادر المشرفي، ودام على هذه الحالة ستة وثلاثين سنة [1]. وتذكر المراجع والمؤلفات التي اهتمت بأبي راس ورحلاته أنّه حجّ مرتين على الأقل، الأولى سنة1204هـ/1790م والثانية سنة 1226هـ/1812م.

لقد ألّف أبو راس العديد من المؤلفات، واستوقفتنا رحلته التي أطلق عليها عدة أسماء منها: "**عدّتي ونحلتي في تعداد رحلتي**" والتي منها "**فتح الإله ومنّته في التّحدّث بفضل ربّي ونعمته**"[2]. ومهما كانت نوعية الأخبار التي يقدمها، ففيها ما يتعلق بمدينة الجزائر ولو في شقّها العلمي والثقافي كما سنرى فيما بعد.

لقد زوّد أبي راس المكتبة بجملة من الكتب وفي عدّة أنواع من العلوم، ولا بأس في هذا المقام أن نذكر بعض تآليفه بالإضافة إلى المصدرين السابقي الذكر[3]: **درء الشقاوة في حروب درقاوة، زهرة المشاريخ في علم التاريخ، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية** وروضة السلوان المؤلفة **بمرسى تطوان**، كما ترك تأليف **در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة**، بالإضافة إلى **الوسائل في معرفة القبائل، ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، الزمردة الوردية في الملوك السعدية، الزهرة السماوية في أخبار الملوك العلوية، العز المتين في ذكر ملوك بني مرين ، القصص الفتانة في ذكر البربر وزناتة وما رواه الواعون في أخبار الطاعون...**[4]. وغير ذلك من المؤلفات، ويبدو جليا أن هذه الكتب كانت إمّا في التراجم أو السير أو التاريخ أوالأخبار أو الأنساب.

توفي أبو راس الناصر عام 1238هـ/1823م ، وترك تاريخا حافلا ضمّنه آراءا حول الأحداث التي وقعت في عصره والتي أثرت في شخصه سواء ما تعلق منها

([1]) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، المرجع السابق، ص 378.

([2]) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء...**، المرجع السابق، ص 185.

([3]) **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**: توجد نسختان منه في المكتبة الوطنية تحت رقم (1632) (1633) وقمت بتصويرها على قرص مضغوط وهما تختلفان في نوعية الكتابة، كما اقتنيت له كتابا أخر بعنوان ***الدرة الأنيقة في شرح العقيقة*** تحقيق وتقديم أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، وهران، 2006.

([4]) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 462 و أبوراس الناص، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص ص 179-182.

بالجـــــزائر أو بالمغرب الأقصى أو بالعالم الإسلامي والتي نذكر منها[1]: حملة أوريلي على مدينة الجزائر(1189هـــ/ 1775م) ، فتح وهران الثاني (1207هـــ/ 1792م) ، ثورة درقاوة ضد العثمانيين في القرن 12هـــ/ 18م، ظهور الدّعوة الوهابية في شبه الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن 12هـــ/ 18م والحملة الفرنسية النابوليونية على مصر (1213هـــ/ 1798م).

لقد أضاف الجزائريون إلى أدب الرحلة عدة مؤلفات، وكان لهم حضور فيها خصوصا في العهد العثماني إلا أنها قليلة إذا ما قورنت برحلات المغاربة، فمنها ما هو رحلة علمية وأخرى حجازية[2]، ورحلة أبوراس الناصر لا تخرج عن هذا السياق وتوجد مخطوطة منها في الرباط، كان قد اطلع عليها الدكتور أبو القاسم سعد الله كما جاء في كتابه " **تاريخ الجزائر الثقافي**".

ورحلة أبوراس تضم خمسة أبواب[3]: ففي الباب الأول كان حديثه عن طفولته منذ الولادة ثم نشأته وتعلمه وترحاله وحتى زواجه...، وأما في الباب الثاني فكان حديثه عن شيوخه الذين نفضوا عنه قشب أوساخه كما قال [4] ، وفيما يخص الباب الثالث الذي يهمنا و له علاقة بمدينة الجزائر هو رحلته إلى المشرق والمغرب ولقاؤه في هذه المدينة بعدة علماء أعلام، وتحدّثه على ما جرى له معهم من المراجعة والكلام حول بعض المسائل الفقهية والثقافية.

وقد تعرف أبو راس بالجامع الأعظم على العديد من أبناء المدينة من فقهاء وأدباء وشعراء وقضاة وغيرهم ويذكر كل شخصية على حدى ويبدي رأيه فيها، أما الباب الرابع فقد تطرق فيه إلى نوعية الأسئلة التي عرضت عليه وما يتعلق بها، وفي الباب الخامس يذكر تآليفه ومصنفاته، وأطلق على هذا الباب عنوان: "العسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز".

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، المرجع السابق، ص ص377-381.

(2) المرجع نفسه، ص 382.

(3) أبوراس الناصر، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص 185.

(4) المصدر نفسه، ص 41.

وإذا ما عدنا إلى كتابه "**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**" الذي اقتبسنا منه الأخبار العامة التي ميزت مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، فقد تناول الحملات الأوروبية على الجزائر، تحرير مدينة وهران على يد مصطفى باي (1120هـ/ 1708م) واستعادة الأسبان لوهران (1145هـ/ 1732م).

وبالرغم من أنه يذكر الجزائر سبعا وعشرين مرة، إلا أن معلوماته ليست دقيقة، ومع ذلك حاولنا أن نقتبس منها ما يتعلّق بهذه المدينة في القرن 12هـ/18م قدر الإمكان.

لقد نال الكتاب اهتمام المنشغلين بالتاريخ، وترجم إلى اللغة الفرنسية من طرف "آرنو" تحت عنوان[1] : **Voyages extraordinaires et nouvelles agréables, Alger 1885** وطبع في الجزائر سنة 1885م، كما نشرت **المجلة الإفريقية** عدة فصول منه[2].

وما يهمنا في هذا الكتاب وقائع الحملات الصليبية على المدينة وتأثيراتها وكذا بعض الإشارات إلى الأمكنة كمقبرة عين الربط(ساحة أول ماي اليوم)، المساجد، الدور وبعض الشخصيات مثل: رمضان باشا، حسن باشا[3]...وغير ذلك، وكان استعمالنا لهذا الكتاب بغية الإلمام بالموضوع لأن الرحالة العرب يكاد حديثهم ينعدم عن المدينة لولا تلك الإشارات الطفيفة التي حاولنا جاهدين البحث عنها لغرض المقارنة مع ما قاله الرحالة الأوروبيون.

وإذا ما جئنا إلى الرحالة الأوربيين فلقد توفرت الظروف للبعض منهم وساعدتهم على الكتابة عن الجزائر، ومن جملة هذه الظروف:الظرف التجاري، الظرف الدبلوماسي، الظرف الديني وحتى السياسي (الحربي) [4].

([1]) ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي...**، المرجع السابق، ص 465.

([2])Arnaud (M.A)" Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohamed Bouras Ben Ahmed Ben Abdelkader En-nasr ",IN ***R.A*** , N 22, 1878, pp 434-443.

([3]) أبو راس الناصر، **عجائب الأسفار** ...، المصدر السابق، ص ص 163-165.

([4]) احميدة عميراوي، ***الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجا)***، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص04.

من أهم الكتّاب الأوربيين الذين اهتموا بالجزائر العثمانية في القرن12هـ/18م وبعاصمة الإيالة بالتّحديد الديبلوماسي "لوجي دي تاسي"، الطبيب "شو" والرحالة "فونتير دي بارادي".

رابعا)- تاريخ مملكة الجزائر: Histoire du Royaume D'Alger

لوجي دي تاسي « Laugier de Tassy » رحّالة غير معروف لا متى ولد ولا متى توفي ولا حتى كيف نشأ وترعرع، إلا أنّه عرف بتأليف كتابه "**تاريخ مملكة الجزائر**" الذي صدر سنة 1725 بعاصمة هولندا أمستردام، وهو يمثل مذهبا فكريا ساد في أوربا في النصف الأول من القرن 18م، وتمثل نشاطه في الدفاع ضد الأحكام المسبقة التي كانت منتشرة في أوربا ضد الأتراك وسكان شمال إفريقيا [1].

لقد كان دي تاسي مسؤولا في القنصلية الفرنسية بالجزائر، وزيادة على هذا كان قد عمل في هولندا في بعثة ملكية إسبانية ولكنه عمل معتم[2]. إلا أنّ كتابه الذي قدّمه للقرّاء بصفة عامة والذي يتحدث فيه عن الفترة التي عاشها بمدينة الجزائر يعتبر جديرا بالاهتمام والدراسة وحتى الترجمة نظرا للأخبار والمعلومات التي يحويها، وهو ما نحاول توضيحه هنا. جاء "دي تاسي" إلى الجزائر سنة 1131هـ/ 1718م ومكث بها خمسة أشهر ونصف، تقلّد خلالها عدة مهام بعد العمل في السفارة الفرنسية بالجزائر[3] .

لقد احتفظ الفرنسيون بأحكام مسبقة تخص سكان شمال إفريقيا، وهي أحكام لا تخرج عن صفات الازدراء والاحتقار والحط من قيمة الإنسان، ووجود ذلك التمييز العرقي الكبير، كل هذا كان في اعتقاد كاتب "**تاريخ مملكة الجزائر**" يعود إلى الرهبان أي الآباء الكاثوليكيين الذين قاموا بهذا الإشهار والادّعاء الكاذب بغية استمالة شعور المجتمع

---

(1) Denise Brahimi, ***Opinions et regards des Européens sur le Magreb aux XVII ème et XVIII ème siècles***, société nationale d'édition et de diffusion, Alger , 1978, p 121.

(2) جون ب. وولف، ***الجزائر وأوربا (1500-1830)***، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، 1986، ص 462.

(3) زكريا العابد، ***الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية***، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2007، ص 07.

كي يقدّم الصّدقات من أجل فدية الأسرى المسيحيين في السجون الجزائرية، وكان التركيز خصوصا على الرهبان الإسبانيين [1] .

نظرة عامة على كتاب " تاريخ مملكة الجزائر":

من الوهلة الأولى وحسب العنوان يبدو لنا أنّ الكتاب يتحدث عن تاريخ المملكة، لكن في حقيقة الأمر هو بمثابة رحلة قام بها هذا الدبلوماسي الفرنسي سنة 1131هـ/ 1718م إلى مدينة الجزائر وسجل خلالها ملاحظاته وانطباعاته. ظهر الكتاب لأول مرة في أمستردام (هولندا) سنة 1725م، والكتاب الذي اعتمدنا عليه ليس النسخة الأصلية.

يتكون هذا الكتاب من 207 صفحة من تقديم كل من "نوال لاقو" **Noel Laveau** و"أندري نوشي" **André Nouschi** وصدرت هذه الطبعة عام 1992 عن دار «**Loysel**». وهو مكوّن من جزأين[2]، يتحدث في الجزء الأول عن مملكة الجزائر في أحد عشر فصلا من حيث ثورات هذه المملكة، السكان من عرب، يهود، أتراك ومسيحيين، وكذا الديانة، وبعض العادات والتقاليد وحكومة الديوان...

ولقد حاولنا ترجمة هذا الجزء وفق ما يناسب الخطة أي سكان مملكة الجزائر وعادات وتقاليد مجتمع دار السلطان، أما الجزء الثاني – والذي له علاقة بموضوع الدراسة – فتطرق فيه إلى موقع وموضع مدينة الجزائر، مؤسساتها، الحمامات الساخنة بها وكذا الخزينة وميليشية الجزائروحكومتها وقواتها، كما تحدث عن الآغا، الضباط، الداي، البايات، نواب الملوك، الخوجة، القاضي، الخزندار، النقود والمحكمة المدنية والجنائية.

ولخدمة موضوعنا قمنا بترجمة عدة فصول منه ، ويبدو أن دي تاسي وبحكم عدم إقامته الطويلة فقد أخذ عن كتّاب سبقوه[3]، ومن مصادر أخرى، وقام بجمع الوثائق

([1]) Denise Brahimi, OP. Cit, p 123.

(2)Laugier de Tassy, ***Histoire du Royaume d'Alger, avec l'Etat présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer , de ses revenus, police, justice, politique et commerce,*** préface Noel laveau , André Nouschi, éditions Loysel, OP. Cit, p 13.

([3])Denise Brahimi, Op. Cit, p 121.

والمعلومات التي أطّرت كتابه وهيكلته، به حوالي خمسون صفحة من تفكيره أي تفكير دي تاسي، والدارس لهذا الكتاب يجد جدلية تتمثل في إعادة الاعتبار لحكومة الأتراك في الجزائر و الجزائريين بصفة عامة [1]، لأن صورة الجزائر في القرن 12هـ/ 18م في نظر الأوربيين لم تكن واضحة جيّدا الأمر الذي حاول من خلاله الرحالة، الأسرى والقناصل إزالة هذا الغموض حسب رأي احميدة عميراوي[2]، غير أن المصادر الأوروبية في معظمها كانت تصف مدينة الجزائر بأبشع الأوصاف مثل: عش اللصوصية، مدينة الرعب وعش العفاريت[3]، لكن وبالرغم من هذا فإن كتاباتهم كلها كانت لأغراض وبرامج مسطّرة.

لقد اقترح دي تاسي اتجاها مرتبطا بالأخلاق، وعرف بعمق ما يسمى بأزمة الإدراك الأوربي، كما اقترح أيضا على المواطنين بصفة عامة قلب الأوضاع لرؤية آراء الآخرين حتى يكون الحكم شخصيا دون اللجوء إلى الآخر. ويقول في هذا الشأن أن كثيرا من الناس –يقصد الأوروبيين– لا يفرقون بين سكان البربر(المتوحشون) ويسمونهم بكل بساطة "حيوانات"، ويتصورون بأن هؤلاء الناس ليس لهم عقل ولا يستطيعون فعل أي شيء، والحيوانات يرجى منها الخير الكثير أكثر من سكان البربر[4].

وهذه الصورة السوداوية في أذهان الأوربيين في تلك الفترة ترجع حسب دي تاسي إلى ادعاءات و افتراءات رجال الدين، إلا أنّ العامل الأكبرهو قوة الجزائر وبحارتها وأسطولها الذي سيطر على البحر الأبيض المتوسط، وكان هذا الأسطول يفرض ما يراه مناسبا لمملكة الجزائر وفق ما يمليه منطق الصراع في تلك الحقبة.

([1])Denise Brahimi, Op. Cit, p 121.

([2]) احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 09.

([3]) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص 321.

([4]) Denise Brahimi, OP. Cit, P 123 .

خامسا)- رحلة في إيالة الجزائر: Voyage dans la Régence d'Alger

إنّ الرّغبة في ولوج أبواب المجهول أدّت بالإنسان إلى التّرحال المستمر بغية اكتشاف الجديد وإماطة اللثام عن الخبايا والأسرار، وعلى ضوء هذا حلّ بمدينة الجزائر عدّة رحالة دوّنوا مشاهداتهم ومغامراتهم وكذا ملاحظاتهم ، ومن أشهر هذه الرحلات[1] **التي** تحدثت عن الجزائر بصفة عامة وعاصمتها بصفة خاصة: **رحلة الدكتور "شو"** وهو عالم وطبيب ولد بكيندال بإنجلترا حوالي 1104هـ/ 1692م، تقلد منصب رئيس كلية الطب بأكسفورد، وهو من أشهر رحّالة أوربا، قام بزيارة المغرب الأوسط في بداية القرن 12هـ/ 18م ومكث فيه مابين سنتي 1133هـ-1146هـ/ 1720م-1732م، وكان كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر، وعند عودته إلى إنجلترا استقر بإكسفورد وتوفي بها سنة 1165هـ/1751م، كما قام سنة 1140هـ/ 1727م برحلة قصيرة إلى منطقة تونس وزار بعض بلدان المشرق ومصر وسوريا... وما يميز هذا الرحالة أنه ذو دهاء وعقل علمي[2].

درس الدكتور "شو" أثناء رحلته -التي دامت اثني عشرة سنة- الجغرافيا القديمة للجزائر وأتمها على ضوء المعطيات الجديدة المعاصرة سواء من خلال مشاهداته هو أومن خلال وثائق رجال الدين الفرنسيين وأسئلة الاختصاصيين بأكسفورد [3]، أما في مجال العلوم فقد درس "شو" المناخ والمنتجات الطبيعية والمميزات الثقافية وحتى الحيوانات التي كانت تعيش في المملكة.

ومجمل القول أن الدكتور "شو" قدّم عملا وتأليفا يشكّل مصدرا هاما استوحاه من تجربته ، مبتعدا عن التضليل والخرافات مما يعطيه قيمة خاصة ، وهذا حسب ما جاء في

([1]) محمد حمام وآخرون، " *الرحلة بين الشرق والغرب* "، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2003، ص 09.

(2) Thomas Shaw, ***Voyage dans la Régence d'Alger par Docteur Shaw*** traduit de l'anglais par J. Mac Carthy. 2eme édition, édition Bouslama, Tunis,1980.

و ج. أو. هابنسترايت، ***رحلة العالم الألماني ج .أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ/1732م)***، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي،تونس، 2008، ص 54.

([3])Denise Brahimi, op.cit, pp139-140.

الواجهة الأولى للكتاب على حد ذكر الناشر، ونريد أن نقف على حقيقته بالإثبات أوالنفي فيما يخص مدينة الجزائر في القرن 12هـ/ 18م من خلال رحلة هذا الدكتور الكاهن الإنجليزي. وما يزيد من قيمة الكتاب أنه تحدث عن الجزائر خلال النصف الأول من القرن 18م ورسم لها خريطة موضحا عليها الحدود [1].

نظرة عامة على كتاب " رحلة في إيالة الجزائر":

هذا الكتاب في الأصل محرر باللغة الإنجليزية تحت عنوان[2]: **Traveles or observation relating to several parts of barbary and levant** ونشر بأكسفورد عام1738، وترجم بعدها إلى اللغة الفرنسية في لاهاي عام 1743 تحت عنوان **Voyage de monseigneur SHAW M.D.**، وعلق عليه مترجمه جون ماك كارتي **J.Mac Carthy** عضو الجمعية الجغرافية لباريس، ثم صدرت طبعات أخرى من بينها واحدة بالهولندية [3]. وهناك من يذكر بأن الطبعة الثانية للكتاب بالانجليزية وقد صدرت سنة 1757 بلندن، وصدرت الطبعة الثانية بالفرنسية سنة 1830 وهي في 405 صفحة بعنوان:

Voyage dans la Régence d'Alger traduit de l'anglais par J.Mac Carthy, Paris ,1830 [4].

والتي يحدد من خلالها النصوص التي تتعلق بالمقاطعات الجزائرية متممة بإضافات ونقاط للمترجم[5].

وفي اعتقادنا أنه لولا القيمة العلمية لهذا الكتاب لما أعيدت ترجمته وطبعه أكثر من مرة بلغات متعددة، وما يسترعي انتباهنا هو ما ذكره هذا الطبيب الرحالة حول مدينةالجزائر وضواحيها وأرباضها وفحوصها، فكما يقول مؤلف **كتاب الجزائر وأوربا**

([1])احميدة عميراوي، ***علاقات الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي***، مطبعة البعث، قسنطينة، 2002، ص ص 15- 16.

([2]) thomas Shaw,op. cit.

([3]) Denise Brahimi, op. Cit, P 139-140 .

([4])احميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر**، المرجع السابق، ص09.

([5])جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 466.

(1500-1830):" باستثناء توماس شو الذي برهن على أنه كان ملاحظا لا يقل نباهة عن الرجال الذين أرسلوا إلى الجزائر ليبحروا في أحوالها لفائدة وزراء الملك" [1].ومايهمنا في هذا الشأن دقة الملاحظة و العقل العلمي لهذا المؤلف.

وإذا ما عدنا إلى الكتاب فنجده يحوي 401 صفحة، وهو صادر عن مطبعة بوسلامة بتونس سنة 1980، قسّمه الدكتور "شو" إلى عشرة فصول ، وهي طبوغرافية مملكة الجزائر (أرضها، مناخها، إنتاجها)، الحيوانات ذات أربع أرجل، طيورها، حشراتها وأسماكها، العلوم، الفنون، الورشات، العادات والتقاليد واللباس، كما تحدث عن حكومة الجزائر(الداي، الآغا، الضباط) وميليشيا الجزائر (قوتها، تكويناتها، ثكناتها وطريقة قتالها)، وأعطى وصفا لمقاطعة الجزائر، مقاطعة التيطري، مقاطعة قسنطينة ومقاطعة الزاب . ومن خلال هذه الفصول يبدو جليا أن الدكتور" شو" قام بمسح شامل لكل المملكة، كما قدم معلومات وأخبارا في ميادين شتى؛ جغرافية، اجتماعية، سياسية، عسكرية، إدارية واقتصادية ...

وما نقلناه كان على وجه التحديد ما ذكره حول مقاطعة الجزائر من أوصاف، والمعلومات عن مدينة الجزائر أكثر دقة وتفصيلا في الصفحة 288 وما بعدها. إنها فعلا أوصاف دقيقة وتفاصيل عن كل المملكة وخاصة عن ريفها ومنتوجاتها وآدابها العربية، وتتضمن نزرا قليلا عن الحياة السياسية والإدارية[2]، وبالرغم من هذا العمل الضخم الذي أنجزه وأقدم عليه إلا أنه لم يول أهمية كبيرة للعلوم الإنسانية والاجتماعية بسبب الازدراء الذي خص به العرب [3].

([1]) جون ب وولف، المرجع السابق، ص466.

[2] احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر، المرجع السابق، ص 10.

[3] Denise Brahimi, op. cit, p 140.

سادسا)- الجزائر في القرن الثامن عشر : Alger au XVIII ème siècle

جون ميشال فونتير دي بارادي من الذين زاروا الجزائر في القرن 12هـ/ 18م وكانت لمؤلفاتهم لمسة مميزة وحضور قويّ على عدة مستويات.

ولد جون ميشال فونتيردي بارادي يوم 8 ماي 1739 بمرسيليا من أم يونانية وأب كان يعمل كترجمان في العديد من القنصليات الفرنسية بالمشرق ، ولم يكد يبلغ سن الثالثة عشر حتى استفاد من منحة دراسية إلى باريس ليتعلم التركية والعربية إضافة إلى اللاتينية بمعهد اللغات الشرقية، وبعد خمس سنوات عين بمكتب الترجمة بالقسطنطينية وتلاها بوظائف في: صيدا، القاهرة، تونس...مما مكّنه من التكلّم بلغات هذه البلدان[1].

أرسل دي بارادي إلى الجزائر سنة 1203هـ/ 1788 م حيث مكث سنتين، فاستفاد من أوقات فراغه في متابعة بحوث حول اللهجة البربرية، وأثمرت جهوده بكتاب في قواعدها ومفرداتها.

شارك دي بارادي في حملة نابليون بونابرت على مصر عام 1798، حيث عهد إليه بكتابة بلاغاته الرسمية للشعب المصري، كما جعله مستشارا لعلاقاته مع وجهاء البلد. توفي دي بارادي بين عكا ويافا، بعدما أصيب بمرض خطير أثناء انسحاب فرق الجيش التي كانت تحاول الانضمام لحاميتها بالقاهرة، وكان ذلك قبل 15 ماي 1799، وقد رثاه بونابرت قائلا: " لقد مات فونتير إنها لخسارة كبيرة لنا "[2]. إنّ العمل الذي أقدم عليه دي بارادي ذو قيمة علمية خصوصا بالنسبة لتاريخ الجزائر في العهد العثماني[3]، وبالضبط بالنسبة للقرن 12هـ/ 18 م (1203هـ- 1205 هـ/ 1788م-1790م)، وقد نشر الكتاب في **المجلة الإفريقية** بعنوان: "**الجزائر في القرن 18م**" في عدة أعداد[4].

---

(1) Venture de Paradis ,***Tunis et Alger au XVIII siècle*** (Mémoires et observation rassemblés et présentés par Joseph cuoq Sindbad ,Paris, 1983 . p p 13-14 .

(2) Venture de Paradis, op. cit, P 14.

(3) احميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر**، المرجع السابق، ص 12.

(4) Venture de Paradis. Alger au XVIII siècle in ***R.A***.N 39, 1895, pp 265 – 314 et N 40 ,1896, pp 33-78 et 256-277.

ويعتبر دي بارادي أحد أكبر مستشرقي القرن 12هـ/ 18م، إذ نادى بضرورة دراسة اللغات الشرقية. كما أنّ مشاهداته وملاحظاته وانطباعاته القيّمة حول سكان الجزائر والحكام الأتراك وكذا الحضر (سكان المدينة) والبدو (سكان الريف) والمعلومات التجارية والمالية وكذا العسكرية والدبلوماسية قد ساهمت إلى حد كبير في الاستعداد للسيطرة على دول المغرب[1].

لقد كان كتاب دي بارادي غنيا بالتفاصيل حول الجزائر في كل جوانبها، ويركّز على لغة الأرقام، إذ يستدل بالأعداد فيما يخص البساتين، المنازل، السكان اليهود، سكان الإيالة وعدد الأسرى... بالرّغم من وجود تعارض وتفاوت كبير في ذكر هذه الإحصائيات مع كتّاب آخرين والتي سنتعرف عليها فيما بعد. وتجدر الإشارة هنا أننا اعتمدنا على طبعة أخرى تخص الجزائر فقط[2]، وفيها 232 صفحة بالإضافة إلى الفهرسة والتي يحدد فيها مدة إقامة هذا الدبلوماسي في مدينة الجزائر بين 1203هـ-1205هـ/ 28 سبتمبر 1788م وأفريل 1790 م ، أي فترة حكم محمد بن عثمان باشا التي تعتبر من أطول فترات الحكم في الجزائر في العهد العثماني (1180هـ-1206هـ/ 1766م-1791م). لقد أقام دي بارادي سنتين في مدينة الجزائر، درس خلالها نظمها وتراتيبها، وكتب عنها المذكرات القيّمة[3].

نظرة عامة عن كتاب "الجزائر في القرن الثامن عشر"

ضم الكتاب عدة عناوين: مدينة الجزائر، ميناؤها، ديوانها، دفاعها، وكذا حصن الإمبراطور، العادات والتقاليد، إقليم الداي والشعوب (قبائل زواوة وفليسة)، المصالحة بين الحكومات، صناعة وتجارة الجزائر، التجارة الداخلة إلى الجزائر، تجارة صادرات الجزائر (المدينة)، الضرائب المسددة إلى الجزائر بالإضافة إلى القناصل، القراصنة

([1]) زكريا العابد، المرجع السابق، ص 112.

([2]) Venture de Paradis. ***Alger au XVIII siècle (1788-1790) Mémoire, notes et observations d'un diplomate- espion***, présentation et notes par Abderrahmane Rebahi, Edition G.A.L, 2006.

([3]) أحمد توفيق المدني، ***محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791م) وأعمال نظام الدولة و الحياة العامة في عهده***، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 161.

والمداخيل الثابتة، وبين مالطا والجزائر، الزاد والمؤونة (الصيد)، اليولداش (الجنود)، تحرير الأسرى، خوجة الأوجاق، الخروج أثناء الليل، تشكيل حكومة الجزائر، المساجد، المدارس، الدستور، أوزان الشرطة، منزل الداي، الضباط المكونين للحكومة، الاستعداد للحرب ومعلومات مختلفة. ورغم زخم المعلومات إلا أننا انتقينا ما يخدم موضوعنا بدءا بمدينة الجزائر ودفاعها إلى مؤسساتها ومرافقها والتي منها قصر الداي، المنزل، وكذا ذكر بعض العادات والتقاليد في مجتمع المدينة، دون نسيان مساجدها ومدارسها وكذلك فئاتها الاجتماعية وحالتها الاقتصادية ... وغير ذلك. ومهما يكن فإن دي بارادي قدم عملا لا يقل أهمية عما قدم في عصره، ورغم الغرض من كتابة هذا التأليف فإنه من المصادر الأساسية التي تخدم فترة التاريخ العثماني في الجزائر[1] أواخر القرن 12هـ/18م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) احميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر**، المرجع السابق، ص 13.

نستنتج مما تقدم حول هؤلاء الرحالة وما كتبوه عدة نتائج تخص هذا الفصل وهي:

1- لا زال الغموض يحيط بالعديد من هذه الشخصيات التي كتبت في هذا النوع من أدب الرحلة أو بعض المحطات سواء تعلق الأمر بالرحالة العرب أو الأوروبيون من حيث سيرتهم الذاتية أو بعض المحطات التاريخية في حياتهم.

2- وجود ثراء معرفي وعلمي كبير تركته الأقلام العربية الجزائرية والمغربية ، وحتى لا نتهم بالتقصير في جانب هؤلاء يجب أن نلفت الانتباه إليهم ونبحث عما تركوه وألّفوه.

3- التقاطع الزمني في هذه الرحلات فمنها ما تحدث عن الربع الأول من القرن 18م (1132هـ/ 1718م) ، ومنها ما هو في الربع الثاني منه (1145هـ/ 1732م)، وآخر تحدث عن أواخر القرن 18م (1203هـ-1206هـ/ 1788م-1790م).

4- تغير مدة الإقامة بمدينة الجزائر من رحالة إلى آخر فمنهم من أقام لمدة شهور وآخر لعدة سنوات .

5- مقصد الكتاب الرحالة، فالأوربيون كانت وجهتهم الشمال الإفريقي عموما ومدينة الجزائر خصوصا، وبالتالي فكتاباتهم جاءت أكثر وصفا ودقة وتفصيلا من كتابات العرب أنفسهم.

6- تنوع أهداف الرحلة خاصة الدبلوماسية منها، أي أنها عبارة عن بعثات سفارية وقنصلية، فنجد فيها الكثير من الدقة والتوضيح، أما الرحلات العربية فركزت على الجوانب الثقافية والدينية ، رغم الإشارات الطفيفة إلى الجوانب الأخرى.

الفصل الثاني: مدينة الجزائر تحصيناتها ومنشآتها العمرانية

أولا: أسوار المدينة

ثانيا: خندق المدينة

ثالثا: أبواب المدينة

رابعا: قصبة المدينة

خامسا: قصور المدينة ومنازلها

سادسا: أحياء المدينة وأزقتها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

بقدر ما تحصّنت مدينة الجزائر طبيعيا، فقد تحصنت أيضا بمجموعة من المنشآت والتحصينات تتم عن هندسة دفاعية، ولولا أهمية تحصينات المدينة من أسوار،خندق، أبواب وقصبة... وغيرها ما ذكرها الرحالة وعلى وجه الخصوص الأوروبيون منهم الذين أسهبوا في ذكر هذه التحصينات بأدق تفاصيلها، وكما يقول المثل: " **عين الزائر حاذقة** "، فقد سجل الرحّالة أوصاف سور المدينة من حيث العلو، الارتفاع والعرض في كل الجهات وكذا مادة البناء... كما لم يهملوا الخندق وحالته وعرضه وحتى عمقه الذي دعّم السور في حماية المدينة، و ذكروا كل الأبواب التي كانت موجودة في سور المدينة خلال القرن 12هـ/18م، ومواقعها وفي بعض الأحيان سبب تسميتها والاتجاهات الموجودة فيها شمالا أوجنوبا، شرقا أوغربا، وهذه الأبواب تعتبر هي الأخرى جانبا من جوانب التحصين و الحماية، كما قدموا من زاوية أخرى معلومات قيّمة عن قصبة المدينة و قصر الداي، بدءا من الناحية الخارجية وصولا إلى غرف الداي وجناحه، وانفردوا بذكر خصائص دور وقصور المدينة وأزقتها وأحيائها مقدّمين في كل هذا بعضا من آرائهم مستحسنين تارة ومستهجنين أخرى لما شاهدوه، وهذا ما نود أن نتعرف عليه في **هذا الفصل.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا)- أسوار المدينة:

يقول ابن خلدون:" فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن دفع المضار وجلب المنافع، فأما الأولى فتستوجب أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار" [1]. ورغم أنّ ابن خلدون عاش بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين أي الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين(733هـ-809هـ/ 1332م-1406م) [2]، إلا أنّ هندسة بناء الأسوار حول المدينة بقي معمولا بها إلى غاية القرن 12هـ/18م، وعلى هذا الأساس فمدينة الجزائر كانت محصنة بأسوار تحميها خطر الأعداء.

ولقد أسهب الرحالة الأوروبيون في وصف أسوار المدينة، فذكروا ارتفاعها وطريقة بنائها وحالتها في كل الجهات، ويتفق كل من دي تاسي و شو حول هذا الموضوع فيذكر كلاهما بأن أسوار المدينة أسفلها بالحجارة المصقولة وأعلاها بالآجر، أما ارتفاعها فحوالي أربعون قدما من جهة البحر وثلاثون قدما من جهة البر. غير أنّ شو يضيف سمك الأسوار الذي يقدر باثني عشر قدما [3].

ومن خلال هذا يتضح بأنّ عملية تحصين المدينة كانت مستمرة خصوصا جهة البحر، لأنها كانت مقصد المراكب الحربية ومعرضة لاعتداءات الحملات الأوروبية الكثيرة، وهذا ما أكده المكناسي الذي زارها سنة 1200هـ/ 1785م، إلا أنّه يذكر سورين يحيطان بالمدينة "ومن دون الحفير (أي الخندق) سور آخر [4] "، ومن المحتمل أن هذا الرحالة المغربي لم يدخل المدينة بسبب وباء الطاعون الذي انتشر هناك أيام مروره بها، ولهذا أتى على ذكر ثلاثة أسوار، ولعله يكون قد شاهد أسوارا داخل المدينة فحسبها لهذا الغرض.

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، ***المقدمة***، تحقيق إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص362. (إن مدينة باريس في ق 19م كان يحيط بها سور. عبد المجيد القدوري، ***سفراء عرب في أوربا (1610م- 1922م) الوعي بالتفاوت***، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية، 2006، ص 144)

(2) ***المنجد في اللغة والأعلام***، ط17، دار المشرق، بيروت، 1991، ص 07.

(3) Laugier de Tassy, op. cit, p 100 et Thomas Shaw , op.cit ,289.

(4) عبد الوهاب المكناسي، ***رحلة المكناسي***، ط1، حققها وقدم لها محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، 2003، ص 330.

أما الرحالة العرب الذين تحدثوا عن سور مدينة الجزائر فهم قلة، لكن ما يهمنا هنا ونود أن نبرزه أنّ السور كان موجودا فعلا في القرن 12هـ/ 18م، وهو يحيط بكامل المدينة حتى قيل أنها أصبحت أمنع من عقاب الجو [1]. ورغم موضع مدينة الجزائر المتضرّس، وتواجدها و تأسيسها على منحدر جبل، لم يمنع هذا من إقامة السور أو الزيادة فيه وتحصينه كل مرة.

وإذا أردنا أن نحدد موضعه فنقول إنّه ينحدر من القصبة إلى البحر وينتهي عند باب الواد، وفي الجهة المقابلة ينحدر من نفس المكان وينتهي عند باب عزون، وبالتالي فإن مدينة الجزائر كانت محصورة بين أسوارها [2]، ولكن ما لفت انتباهنا أنّه بقدر ما كان الاهتمام بالتحصين البحري أهمل التحصين البري أو قلّ، لأنّ المدينة كانت في غالب أوقاتها في مأمن من العدو الداخلي الذي تخشاه وتهابه.

وقد استمر الدايات في عملية تحصين سور المدينة بالأبراج، وكذا إقامة الثكنات دون تناسي فتحات الرمي حتى بلغ ارتفاعها بين الأحد عشر والثلاثة عشر مترا ومحاطة بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم [3].

غارات الأوربيين على المدينة:

تعرّضت مدينة الجزائر لمجموعة من الغارات شنّها الأوروبيون عليها طوال فترة الحكم العثماني عموما والقرن 12هـ/ 18م خصوصا، حيث شهدت في هذا القرن عدة غارات منها ما كان من الدانمرك ومنها ما كان من الأسبان أو حتى من دول أوروبية أخرى، لهذا تحتّم على مسيّريها وسكانها أن يقوموا بتحصينها وبناء أبراجها وحصونها وكذا الاعتناء بسورها، وطبيعي جدا أن تتعرض هذه التحصينات والمنشآت العمرانية إلى

---

(1) ***دائرة المعارف الإسلامية***، المجلد السادس، يصدرها بالعربية أحمد الشناوي وآخرون، يراجعها من قبل وزارة المعارف، د. محمد فهري علام، ص 412.

(2) عبد القادر نور الدين، ***صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي***، نشر كلية الآداب الجزائرية،الجزائر، 1965، ص ص 127-128.

(3) عبد القادر حليمي، ***مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830***، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي،الجزائر، 1972، ص 231.

الضرر جرّاء قذائف الأعداء أو جراء العوارض الطبيعية ولذلك عمد حكام المدينة إلى ترميمها وإصلاحها مباشرة بعد توقف القصف، ويتعاون الجميع على ذلك بحضور أمين البنائين [1].

لقد سجلت السنوات الأخيرة من القرن 12هـ/ 18م غارات عديدة على المدينة فسنة 1770 كانت غارة الدانمرك وسنة 1775 كانت غارة الأسبان بقيادة أوريلي[2]، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر بأن مدينة الجزائر آنذاك كانت تسمى "المحروسة" و" دار الجهاد" وإن هذين الاسمين يحملان عدة معان ومدلولات تنم عن التحصين والمناعة من جهة والقوة من جهة أخرى، كما تدل على حالة اللاأمن التي كانت تعرفها المنطقة (أي منطقة البحر الأبيض المتوسط وشطره الغربي بالتحديد وعلى وجه الخصوص هذه المدينة) والتي كما أسلفنا الذكر كان الأوربيون يسمونها "عش اللصوصية" و "رعب المسيحية " وشتان بين الاسمين " دار الجهاد" و" المحروسة " من جهة "وعش اللصوصية ورعب المسيحية " من جهة ثانية، وبناء عليه تصبح النظرة للآخر مقولبة أو معكوسة [3]، وفق ما يراه الطرف المعاكس وما يرغب هو في النظر إليه، وكل ذلك وفق مرجعية متعددة الجوانب والأطراف غذّتها عدة أحداث ووقائع فصار الحكم مغايرا بل وعدائيا.

وباعتبار أنّ مدينة الجزائر إحدى الثغور المعرّضة للخطر، فقد أولتها السلطة العثمانية الرعاية الخاصة بها وبسورها[4]، كما أضيفت إليها تحصينات جديدة.

([1]) محمد بن رقية الجديري التلمساني،" الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، نشر سليم بابا عمر، مجلة **تاريخ وحضارة المغرب**،عدد 3، كلية الآداب، الجزائر،1967، ص28.

([2]) محمد أبوراس، **عجائب الأسفار...**، المصدر السابق، ص ص 163-164.

Genéral Félix Geronimo buch," *Expédition du comte Orelly contre Alger en 1775*" in ***R.A.*** N 09 ,1860, pp 39-43.

و مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص115.

([3]) عبد الفتاح الزين، " النظرة للآخر مقارنة بين نظرة الرحالة المغاربة لأوربا والأوربيين للمغرب "، ***منبر الحوار***، العدد 38، ربيع 1999، مؤسسة الفلاح، لبنان، ص 69.

([4]) مهمة دفتري 360/22.

نقلا عن مصطفى بن حموش، ***المدينة والسلطة في الإسلام (نموذج الجزائر في العهد العثماني) ط1***، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1999، ص 236.

و أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء...**، المرجع السابق، ص 325.

ولا يهمنا هنا تاريخ بناء السور- هل كان قبل توسع المدينة أو بعدها ؟- فهذه الفكرة طرحت من طرف **(A. Devoulx)** وناقشها مصطفى بن حموش وخلص إلى أسبقية بناء السور على توسيع المدينة وبالتالي يوضح فكرة إرادة توجيهية من جهة، وإرادة دفاعية تحصينية من جهة أخرى[1].

والأهم من هذا أن المدينة في القرن 12هـ/ 18م كانت محاطة بسورها، الحاجز المنيع والسد الواقي لها ولساكنيها ردحا من الزمن، ولولا أهميته لما ذكره الرحالة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص 236.

ثانيا)- خندق المدينة:

لقد كان للخندق حضور في تاريخ المدينة، خصوصا العربية الإسلامية منها، وليست غزوة الخندق[1] إلا مثالا وتأكيدا ساطعا على معرفة هذه الآلية الدفاعية والهندسة العسكرية، وما يؤكد هذا ذكر الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مدينة الجزائر وأسهبوا في وصف خندقها، في حين أنّ الرحالة العرب كادوا يصمتون عن صفته ووصفه. فبمثل الأسوار التي كانت تقام لغرض دفاعي، كانت تقام في بعض الأحيان أيضا الخنادق كسد أو عائق يحول دون وصول العدو لهدفه ويقف حجر عثرة أمامه.

فلوجي دي تاسي والدكتور شو يحددان عرض خندق مدينة الجزائر وعمقه بنفس المقاييس وهي عشرون قدما للعرض وسبعة أقدام للعمق[2]، وبحكم أن الدكتور شو كان يقتبس كثيرا عن الديبلوماسي دي تاسي، فإنّه من الضروري البحث عن شهود عيان زاروا المدينة في القرن12هـ/18م وكتبوا عنه، لأن نماذج الرحلة العربية المنتقاة لا تتكلم عن خندق مدينة الجزائر، ماعدا الإشارة إليه والتي وجدت في كتاب المكناسي باسم"الحفير" [3]، ولكن يورده بعد ذكر السورين اللذين يحيطان بالمدينة، ولا نعتمد كثيرا على هذا الرأي بحكم أنّ هذا الرحالة المغربي لم يدخل مدينة الجزائر إطلاقا.

غير أنّ من يؤكّد على وجود الخندق هو "وليم كاثكارت" قنصل أمريكا وأسير الداي في أواخر القرن18م (1785) حيث يذكر في كتابه ما يلي: " وأما الخندق الذي يحيط بالمدينة سابقا... فقد أصبح الآن مهملا ومليئا بالقاذورات والأوساخ التي تخرج من القصبة ومن باب عزون وباب الواد[4]." وهذا ما رآه كاثكارت بنفسه. وإذا ما سلمنا بهذا الرأي فإن الخندق كان يستحق إعادة الاعتبار والاهتمام والأهم من هذا التنظيف، ويعاود

([1]) غزوة الخندق: كانت سنة 4هـ ضد الأحزاب (بني قريضة)

محمد عبد السلام الشافعي، ***غزوة الأحزاب***، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. س.ط، ص ص 116-132.

[2] Laugier de Tassy, op.cit, p 100 et Thomas Shaw ,op.cit ,p289.

([3]) عبد الوهاب المكناسي، المصدر السابق، ص 330.

([4]) وليم كاثكارت، ***مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب***، ترجمها وعلق عليها وقدم لها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 82.

كاثكارت الحديث عن الخندق ويذكر بأنّ امتداده على منحدر لمسافة نصف ميل وتسيطر عليه المدافع [1].

ورغم حصانة موقع مدينة الجزائر طبيعيا ووجود السور الحصين الدائر بها إلا أنّها كانت محاطة أيضا بنصف حلقة هي "الخندق" وهو بمثابة الأساس الثاني في الدفاع عنها وعن سكانها، و حالة هذا الخندق أيام بنائه ليست كحالته في القرن12هـ/ 18م.

يتراوح عرضه بالأمتار ما بين 11.50 و 14.50 مترا وعمقه بين 6 و8 أمتار، وقد شرع في بنائه أيام حسن آغا (941هـ/1534م) [2]، ومن الطبيعي جدا أن تنشأ جسور متحركة فوق الخندق والتي بواسطتها تكون حركة الخروج والدخول من وإلى المدينة، كما ترفع وقت الحاجة، وعلى هذا الأساس فهو خندق يصعب عبوره محكم البناء[3]. وإذا كانت بعض الشخصيات تعظّم هذا الخندق وتفخّمه، فإن بعضها الآخر يحقّره ويستهين به، ولكل غرضه وأسبابه. ففي حملة أوريلي سنة 1189هـ/ 1775 م على المدينة حماها بشكل جيد ليلا ونهارا[4]، وكانت آثار هذا الخندق تمتد حتى مسافة ميلين من المدينة [5].

ومما تقدم فمدينة الجزائر في القرن 12هـ/ 18 م كان بها خندق، وإن حالته كانت أسوأ من أيام إنشائه، ، وإن كان الغرض من إنشائه حماية المدينة والدفاع عنها، إلا أنّه أصبح مكبّا للقاذورات والأوساخ – التي تأتي عادة من الأفران والورشات المحاذية لسور المدينة وحتى أنها حملت اسمه، كما وجدت كلمة " كوشة الخندق" في بعض الوثائق[6] ،

([1]) وليم كاثكارت، المصدر نفسه، ص82.

([2]) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 231.

([3]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([4]) بسام العسلي، ***الجزائر والحملات الصليبية (1547-1791)***، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 144.

([5]) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص 84.

([6]) عبد الجليل التميمي، " وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر"، منشورات ***المجلة التاريخية المغربية***، العدد 5، تونس، 1980، ص 24. نسخة رقم 118، الدار الكائنة قرب كوشة خندق، تحبيس قمير بنت ابراهيم.

وقد أثرت هذه العوامل زيادة على الهزات الأرضية على حالة هذا الخندق لمدة تزيد عن ثلاثة قرون أو تقل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا)- أبواب المدينة:

لقد تحصنت المدينة بسورها وخندقها، لكن ولكي تنظّم حركة الدخول والخروج استحدثت أبواب جديدة لتفي بالغرض ، وقد خصص لها الرحالة الأوروبيون عدة صفحات في تآليفهم و كانوا يذكرونها بين الفينة والأخرى، أما الرحالة العرب فمروا عليها مرورا سريعا حيث ذكروها في سياق الحديث دون دقة أو تفصيل . ولنا أن نستدل على هذا القول بما ورد في كتاب " **تاريخ مملكة الجزائر**" الذي يقول فيه صاحبه بأن للمدينة خمسة أبواب مفتوحة من الصباح إلى المساء (أو من الشروق إلى الغروب) وهي:

1-**باب البحرية** (البحر): وهو بمواجهة الشرق، حيث ترى في المدخل خمسة أجراس جيء بها من مدينة وهران سنة 1120هـ/ 1708م، ولها قيمة كبيرة، والأتراك يحتفظون بها (ربما للإخبار أو التنبيه والإنذار).

2- **باب الجزيرة:** وهو يمتدّ قليلا إلى جنوب باب البحر ويطلّ على الميناء، ويسمى أيضا باب الصيادين لأنهم يأتونه بسفنهم، وفيه ورشة لصناعة السفن.

3-**الباب الجديد:** ويوجد في الجهة الجنوبية الغربية، ومنه الطريق المؤدي إلى حصن الإمبراطور.

4- **باب عزون:** قريب من الباب الجديد، وهو مكان إعدام أين يعلق المجرمون على الكلاليب التي وضعت خصيصا لهذا الغرض [1].

5- **باب الواد:** ويقع في الشمال، وتوجد خارجه مقابر الدايات السبع ومقابر المسيحيين واليهود.

أما الدكتور شو فيذكر ستة أبواب [2]، دون ذكر تفاصيل أكثر عن مكان التواجد أو سبب التسمية، بينما المستشرق الفرنسي دي بارادي لم يخصص لها ولا صفحة وإنما ذكرها في سياق الحديث، مثله في هذا الشأن مثل ابن المدينة الرحالة ابن حمادوش الذي

([1]) Laugier de Tassy, op. cit, pp 101-102.

([2]) Thomas Shaw, op. cit, P 289.

ولعله يضيف الباب الثاني الموجود بعد باب الجزيرة لأنه استحدث وهو رواق في بدايته موجود باب وفي نهايته آخر.

أتى على ذكر عدة أبواب وهي: باب الجزيرة، باب الواد، باب السوق، وفي صفحات متفرقة دون تفاصيل أكثر، وكذا باب عزون [1].

والحقيقة التي يجب أن نقرّها هنا هي أنّ تحصينات مدينة الجزائر قد أهملت تماما من طرف الرحالة العرب ما عدا بعض الإشارات المحتشمة لها، ومن هذه التحصينات الأبواب، كما لوحظ اختلاف كبير في تسمية الأبواب وكذلك الخلط بينها خصوصا باب الجزيرة وباب البحر.

أما وليم كاثكارت فيذكر خمسة أبواب؛ باب الصيادين، باب البحرية، باب الشمال (باب الواد)، الباب الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة (الباب الجديد) والباب الجنوبي أو باب عزون[2].

ومن خلال هذه الرحلات فإن المدينة كانت لها عدة أبواب، وفي كل الاتجاهات، فباب عزون يوفد منه القادم من الشرق والجنوب والسهل المتيجي عن طريق الحراش وكان له جسر متحرك يرفع وقت الحاجة (الغزو)، أما الباب الجديد فيدخل منه القادم من الغرب ومن البليدة ، وباب الواد كان نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة في الشمال وفيه جسر متحرك مثل باب عزون، ورابع الأبواب هو باب الجزيرة الذي كان مخصصا لدخول وخروج العاملين في البحر وهو مقابل الجزر القديمة الأربعة، وفي الأخير باب السردين أو باب الديوانة ومنه يلج الصيد البحري للمدينة[3].

أما وليم سبنسر فيقول أن هناك ثلاثة بوابات تنغلق بأبواب حديدية ثقيلة عند نهاية كل منها[4]، وهذه الأبواب هي: باب الواد، باب عزون والباب الجديد.

([1]) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص236،254،253،....

([2]) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص 82.

([3]) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 232-234.

([4]) وليم سبنسر، ***الجزائر في عهد رياس البحر***، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 41.

ويذكر التمقروتي –الذي زار المدينة في القرن 16م – أن لها ثلاثة أبواب.

علي بن محمد علي التمقروتي، ***النفحة المسكية في لسفارة التركية***، تحقيق سليمان الصيد،د.م.ط ، د.س.ط.

ويظهر جليّا بعد ذكر التسميات المتعددة للأبواب أن لكل باب صفة خاصة به وهي إما طبيعية أو تاريخية أو مهنية أو اقتصادية، فالتسمية التي جاءت من الصفة الطبيعية هي باب الواد بحكم وجود واد قريب منه، وهو اليوم يسمى بحي باب الواد، أما الصفة التاريخية فتخص باب عزون وفيها قولان أولهما أنه أحد المتمردين ضد الحكم التركي[1]، وثانيهما أنه – أي عزون– هو اسم المهندس المعماري الذي بنى الحصون بجنوب المدينة. أما التسمية المهنية فهي باب الديوانة أو الصيادين نسبة إلى الذين يمتهنون حرفة الصيد...وهكذا. أما باب الجزيرة و الباب الجديد فهناك اختلاف في التسمية، خصوصا الباب الأخير، حيث تراوحت التسمية بين الجديد أو "سديد" "**Cedid**" باللغة التركية.

وإذا ما أخذنا بالاعتبار أن الأبواب لها أهمية في حماية المدينة بحكم أنها تغلق ليلا وتفتح نهارا، فمن الواجب أيضا حراستها على مدار الأربع والعشرين ساعة، وعلى هذا الأساس فكل أبواب المدينة كانت في غاية الإتقان والصلابة، مصنوعة من الحديد وكبيرة الحجم بها عدد لا بأس به من الحراس والمراقبين [2]، حتى قيل أنه من وصل ليلا إلى باب من أبواب المدينة يبيت خارجها وينتظر الصبح للدخول[3]، وفي كل طريق مؤد إلى أبواب المدينة وضعت مجموعة حصون[4]، تحمي المدينة بخط دفاعي أمامي، وأول ما ترابط فيها عناصر الانكشارية، وتحرص المدينة بما زودت به من مدافع وأسلحة خفيفة بالإضافة إلى وجود اثنان من خوجة أبواب المدينة[5].

ولقد جاء ذكر هذه الأبواب بصورة معمقة في عدة وثائق وصور ندرجها ضمن الملاحق لنؤكّد على الحركة والنشاط اللذين ميزاها خصوصا أثناء النهار من الشروق إلى الغروب.

([1]) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 232.

([2]) المرجع نفسه، ص ص 234–235.

([3]) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 133.

([4]) Moulay Belhamissi, ***Alger la ville aux mille canons***, entreprise nationale du livre , 1990, pp 23-28.

([5]) Thomas Shaw, op. cit, p 230.

لا زالت الذاكرة الشعبية الجزائرية تحتفظ بأسماء هذه الأبواب إلى حد الآن و التي بقيت تعج بالحركة و النشاط سواء جهة باب الواد أوجهة باب عزون و كذلك ناحية باب الجديد، أما باب الصيادين فقد بقي مكانه يختص بالثروة السمكية بينما باب البحر المقابل للجزر الأربعة فهو اليوم مدخل قيادة القوات البحرية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا)- قصبة مدينة الجزائر:

لقد اتخذ الولاة الأتراك مركزهم الإداري بحي باب الجنينة [1]، وهو في الحقيقة يقع في المدينة السفلى وليس العليا، لأن ما يهمنا في موضوع الدراسة هو مقر الحكم الأول أي قبل أن ينقل "علي خوجة " في أوائل القرن التاسع عشر المركز الإداري إلى القصبة العليا في أعلى المدينة.

إن الرحالة العرب لا يتحدثون عن قصبة مدينة الجزائر بالتفصيل، ولا يذكرون حالتها العمرانية ومكان تواجدها ولا الأشخاص الذين يعملون فيها، بقدر ما يلمّحون فقط إلى هذه المنشأة العمرانية وهذا كله يأتي في سياق الحديث، وإن وجدت فتسمى "دار الإمارة" وفي بعض الأحيان" القصر" ولنا أن نسوق مثالا أو اثنين؛ فابن حمادوش يسمي مقر الحكم بدار الإمارة في قوله: " ... ويطوفون بهم البلاد وأقله إلى دار الإمارة..."[2] ويقصد هنا عادة أهل الجزائر ليلة القدر من حمل للشموع و الطواف بها في الليل كله حتى الفجر، وأما أبوراس فيقول : "... ثم غزاها أيضا الفرنسيون... ورموا بالبونبة في ثالث الأيام من قدومهم فأتت قدرة البونبة بدار الإمارة [3]... "، ويضيف عليهما ابن رقية الجديري:" رأى السيد محمد باشا من قصره[4]...".

وإذا كانت كلمتا قصر الداي أو دار الإمارة لم نعثر لهما على أي أثر أو إشارة في كتاب الزياني فإنهما وجدتا بكثرة وتفصيل دقيق عند الرحالة الأوروبيين الذين كتبوا عن مدينة الجزائر سواء من الناحية العمرانية أو مكان التواجد، وحتى الأشخاص الذين كانوا بداخلها، وذكروا كل ملحقاتها وصفاتها.

([1]) يحيى بوعزيز، ***موجز تاريخ الجزائر***، ج1، ط1، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، د. س. ط، ص 154.

([2])عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 125-126.

([3]) محمد أبوراس، **عجائب الأسفار...**، المصدر السابق، ص 146.

وأحمد الشريف الزهار، ***مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر (1168-1224)/ (1754-1830)***، تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 23.

"دار الإمارة" هو قصر الجنينة وكان يوجد في ساحة الشهداء اليوم، ونقلت الساعة الكبيرة من فوق بابه ووضعت في منارة المسجد الجديد". لمزيد من المعلومات ينظر أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 53.

([4]) محمد بن رقية الجديري، المصدر السابق، ص 24.

فلوجي دي تاسي لم يخصص وصفا دقيقا عمرانيا لقصبة وقصر الداي لكنه تحدث قليلا عن الناحية البشرية، في حين أن دي بارادي أدرج في هذا الشأن ما أسماه "منزل الداي" غير أنه لا يتحدث إلا عن عدد الأشخاص ووظائفهم ومكان تواجدهم، والذي من خلاله نستنتج بعض المرافق والملحقات وهي:

- الخزندار: الذي يراقب المداخيل والمصاريف.
- شخصان من المور يلقبان باسم "خوجة العرب" يقومان بقراءة الرسائل المكتوبة بالعربية التي ترد من الخارج ويردّون عليها، واثنا عشر شاوشا موريا ذوو علامة خاصة فوق رؤوسهم.
- طباخان اثنان" أوش باشي" الأول رئيسا والثاني نائبا له وهما من الأتراك.
- أربعون عبدا مسيحيا مقسمون بين الطابق الأول والأسفل.
- أربعة بساكرة يقومون بحمل البضائع والسلع إلى الخارج.
- عشرة سيّاس لديهم قائد يشرف عليهم وهم مسؤولون عن الخيل في الإسطبل وبعض البغال [1].

ونستنتج مما سبق اللواحق التالية: الخزينة، المطبخ، الطوابق، الإسطبلات...

كما نضيف إلى هذه الشخصيات : كاتب حراسة الداي، وهو موجود دائما ليلا ونهارا ولا يستطيع مغادرة المنزل واثنان وثلاثون نوباتجيا يختارون على رأس قائمة العسكر ومسؤولون عن النظام، يحرسون البوابة وكذا رئيس فرقة الموسيقى [2].

ومما يلاحظ العدد الكبير للأشخاص الموجودين في القصر والحراسة الدقيقة للبوابة، بالإضافة إلى التنوع في العرق (من أتراك، كراغلة، مور، مسيحيين، عبيد...)، وهذا كله لأغراض وأهداف من المحتمل أنها كانت مدروسة عندهم، للنّظافة ما يليق بها وللحراسة كذلك ، كما للطبخ نفس الشيء...، ولا بد أن نشير هنا إلى أن

([1]) Venture de Paradis .op .cit , pp 212 -214 .

([2]) Ibid .pp 212 -214.

بالقصر" دار الإمارة " قسم خاص بالداي يتكون من غرف وجناح للحريم وحدائق خاصة [1].

وإن كانت الجنينة هي مجموعة من القصور والثكنات[2]، فإنها كانت موجودة في أكبر نهج في المدينة، وهذا النهج يسمى" السوق الكبير" ويحوي أكثر الحوانيت[3].

وكما هو معروف فإن مركزية المدينة الإسلامية هو المسجد وبجواره السوق وبينهما دار الإمارة، ومن أهم صفاتها الخارجية وجود الراية فوق الباب بالإضافة إلى وجود القنديل " المصباح " الذي يتدلى من الطابق الأعلى، ووجود باب ضخم من الحديد[4] (وهو الباب الوحيد)، كما توجد مصطبتان خارج الباب يجلس عليهما اليولداش للحراسة (مقاعد النوبتجية) أو حرس القصر وعددهم اثنان وثلاثون حارسا[5].

وفي الطريق إلى باب الواد وفي وسط المدينة تقريبا يقع قصر الداي وعلى يسار السائر يقع الباب، ومن خلاله أيضا يكون الدخول لجميع حيوانات النقل التابعة للقصر، ويوصل هذا الباب إلى جناح الداي وباقي الأجنحة التي يسكنها كبار رجال القصر[6] .

وإذا كان هناك اختلاف كبير بين القصبة والقصر فالثاني هو جزء من الأول أو جناح من أجنحتها، لأن القصبة احتوت عدة مرافق إدارية، مهنية وسكنية وملحقات

([1]) علي خلاصي، ***قصبة مدينة الجزائر***، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 218-252.

([2]) دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 130.

([3]) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 130.

و وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 41. ويسمى السوق الكبير باسم " **Buyukçarsi** " بيوك كارسي.

([4]) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 130.

([5]) وليم كاتكارت، المصدر السابق ، ص 90.

([6]) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

أخرى على سبيل المثال: الحمامات، النادي، المسجد، القصور،خزانات المياه، المخبزة، إسطبلات الخيول، وحتى الدهاليز[1].

لقد ذكر دي بارادي بأن واجهة قصر الجنينة (دار الملك) مغطاة بالزليج اللماع، وأمامها ساحة صغيرة فيها نافورة ويظلّل الساحة عريش كبير وحواليها مكاتب يعمل بها إداريون حتى صلاة العصر، بالإضافة إلى حراس القصر الذين يشرف عليهم ما يسمى بخوجة النوبتجية وينام في السقيفة ولا يفارق مكانه إطلاقا لأنه يملك مفاتيح دار الملك [2].

وقصر الجنينة أو دار الملك كباقي دور مدينة الجزائر تحوي فناءا في وسطها بالإضافة إلى عدد من البنايات أنشئت على فترات زمنية مختلفة يربط بينها دهاليز[3]، وشرفات خارجية وأقواس مفتوحة، وبعض الأبواب غير المنتظمة وضعت دون مراعاة قواعد الفن المعماري على حد ذكر كاثكارت، والمساحة التي يتربع عليها تبلغ حوالي 4000 م^2 بما في ذلك الحديقة التي يحيط بها سورها الخاص[4].

ومما تقدم نستنتج أنّ الشخص الأجنبي الذي لا يدرك حقيقة هندسة مجتمع ما في دوره ومنازله يؤوّل ما يراه على حد فهمه، ونقرّ هنا بوجود النقائص في القصور التي بنيت وهي تختلف في طولها وعرضها، لكن صحنها في الغالب كان مربعا وهي جملة تتبع نفس النسق المعماري الفني مع بعض التغيّرات الطفيفة بين قصر وآخر، وبقدر ما كانت المدينة محصّنة فإنّ قصبة وقصر الداي كانت لهما نفس الميزة والخاصية حيث احتوتا على كل ما من شأنه أن يدافع ويحمي هذا الزخم والتكوين المتعدد المادي والبشري.

([1]) محمد الطيب عقاب،" قصبة الجزائر (القلعة وقصر الداي)"، ***مجلة معهد التاريخ***، جامعة الجزائر، د.س.ط، ص ص 150-153.

([2]) Venture de Paradis, op. cit , p 112.

([3]) **الدهاليز** : يستعمل هذا المصطلح بالسقيفة في مرات أخرى. محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 68.
كما يستعمل هذا المصطلح في تونس باسم" **الداموس**"، خليفة حماش، ***الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني***، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 465.

([4]) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص 90.

خامسا)- قصور مدينة الجزائر ومنازلها:

تكتسي مدينة الجزائر مظهرا أكثر روعة حين ينظر إليها بانحراف في طرف بساط من الخضرة، وتغرس هذه المدينة ذات البياض الناصع جدرانها في البحر المتوسط[1]. هكذا استهل مؤلف كتاب "**رحلة طريفة في إيالة الجزائر**" كلامه في التحدث عن منظر المدينة التي كانت دائمة البياض، لأن جدران منازلها وقصورها كانت تطلى بالجير مرة أو مرتين في السنة[2].

فإذا كانت ميزة الرحالة الأوربيين التفصيل والدقة في شأن وصف بيوت ودور مدينة الجزائر وقصورها، فإن الرحالة العرب لا يهتمون بهذا الشأن وإن وردت عندهم بعض الإشارات فهي مجرى العادة وواجب الذكر لا للتفصيل ولا للتدقيق. وإذا ما تصفحنا ما ذكره دي تاسي نجده مطابقا لأقوال الدكتور شو فيما يخص منازل مدينة الجزائر التي أسست بالحجر والآجر وهي قوية ومربعة، وهناك ساحة مرصوفة بالحجارة في الوسط، مربعة وكبيرة بالنسبة للمنزل، ويحيط بهذه الساحة أربعة أروقة مدعمة بأعمدة ، وهناك الغرف السفلى، وفي الطابق الأعلى نفس ما في الطابق السفلي من أروقة وأعمدة وغرف، وأما أبواب الغرف فهي بعلو الأروقة تلامس الألواح في الأعلى، وهناك نافذتين صغيرتين يدخل الضوء منهما للغرف مع الـــباب أيضا، ومن هذه الأروقة يتم الصعود إلى الطابق العلوي[3].

أما ابن حمادوش فيذكر بأنه قام بختان ابنه في منزله وبالتحديد في الطابق العلوي[4]. وهذا المكان عند البعض يسمى"المنتزه" أو"المنزه". ومما يلاحظ عدم وجود أماكن للراحة أو حدائق في المدينة[5]. لأنه إذا بحثنا عنها فإننا نجد أن حديقة ساكن المدينة

([1]) ليسور و ويلد، ***رحلة طريفة في إيالة الجزائر***، تعليق وتحقيق وتقديم محمد جيجلي، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2001، ص 02.

([2]) Venture de Paradis, op .cit, p 20 et Laugier de Tassy, op.cit, p 98.

و دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 415

([3]) Thomas Shaw. op.cit, p 290 et Venture de Paradis, ibid, p 104.

([4]) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 118.

([5]) Laugier de tassy, op.cit, p105 et thomas Shaw , op.cit, p 289.

إنما في فناء المنزل الذي توجد به النافورة أو الصهريج والذي تطل عليه كل الغرف، وإما في فحوص المدينة أين كانت لبعض العائلات دور وبساتين، دون أن ننسى ما للطابق العلوي أو (العلي) من دور كبير في هذا الشأن أين يكون الجلوس والتحدث وتجفيف الثياب. وبعض الجزائريين جعلوا حدائق صغيرة في جهة من السطح هذا الأخير الذي يمكن أيضا من خلاله مشاهدة البحر [1].

وتكاد كل دور مدينة الجزائر تكون على هذا النمط ، كما وجد سلّم تصعد من خلاله النسوة، ويتم التخاطب مع الجيران، لأن الجانب العلوي مفتوح، لكن مع هذا لا نكاد نسمع عن حوادث السرقة وكل من يجد غريبا في منزله يعاقب حتى الموت[2].

وبالرغم من الانفتاح وسهولة التنقل بين أسطح منازل المدينة إلا أن الأمان وحرمة الجار هي السائدة. فإذا كانت هندسة الدور في مدينة الجزائر مبنية طبقة فوق أخرى على سند الجبل كدرج " سلّم " بتأثير طبوغرافي، بحيث أن البحر يرى من سطح الدور السالفة الذكر لأنه قلما يكون لها طابقان، وهذا ما يعاكس رأي الدكتور شو[3] الذي أقر بوجود ثلاثة طوابق، وإن كان بناؤها على شكل واحد سواء صغيرة أو كبيرة فمن المؤكد أن سكان المدينة يختلفون من حيث الثراء، المنصب، الجاه، وهذا ما ينعكس على حالة المنزل من الداخل، فيحدث النقش والإتقان والزخرفة، وبعض الملصقات على الجدران حتى قيل بأن بعض الدور الخاصة تخفي وراء واجهاتها العاطلة عن الزينة زخارف طريفة أوفخمة ذات روعة[4]. وتوجد في بعض الدور الفاخرة فسقية في وسط الدار (الحوض) وفوارة "ماء يفور صاعدا". بالإضافة إلى مواد البناء من رخام و زليج وكذا الأبواب المزخرفة ونوافذ الخشب الجيّد التي كانت تميّزها عن الدور العادية. ولقد كان للجالية الأندلسية

([1]) Laugier de tassy, op. cit,p 104 .

([2]) Thomas Shaw ,op.cit, p 291.

([3]) Thomas Shaw , op. cit, p 289.

([4]) دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق،ص 416.

وعبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 129(نقلا عن محمد الطيب عقاب، **قصور *مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني***، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 45.يقول أن قصر عزيزة له ثلاث طوابق على حد ذكر هنري مورا).

تأثيرا كبيرا في هذا الجانب[1]. وشدّ انتباه دي تاسي المداخن وقال عنها أنها لا تعاب وهي موجودة في كل ناحية من السطح ومقببة ومجيّرة[2]، وعلى ما يبدو أنه كان لكل غرفة تقريبا مدخنة.

ومما يلاحظ في الدور أن غرفها لا تطل على الشوارع إلا بنوافذ صغيرة ومشبّكة وهي لإعطاء الضوء، فيكفيها الفناء الذي يعطيها الضوء ويجدد لها الهواء، وحتى وظيفة الفسقية أو النافورة فهي تلطيف جو المنزل عامة أي كل الغرف تطل على صحن الدار "وسطها ".

ويذكر الدكتور شو أنّ الأبواب كانت ذات دفتين[3]، وهو رأي يكاد ينفرد به ، وما يكاد يجتمع عليه الرحالة بأن الدور كانت مربعة وتبنى عادة بناءا يتميز بالأناقة من الداخل لما فيها من زخارف وأساطين وتدعم بالقبب ذات الرخام الأبيض الجميل والدرابزين الذي يزين الرواق مصنوع من خشب منقوش مطلي بالبرنيق مع وجود الرسوم في كل مكان.

كما تنقش كتابات وحكم عربية مطلية بالذهب والألوان الفاقعة ، وهذا كلّه يبعث على السكينة ويجد فيه الزائر راحة ومتعة بمجرد أن يلج الباب، ويشاهد الرواق من الوهلة الأولى ويجلس في السقيفة المخصصة لذلك[4].

أما عن القصور فهناك عدد كبير منها، والذي يهمنا في موضوع الدراسة تلك القصور التي كانت موجودة بمركز الجذب الحيوي للمدينة أي دار الإمارة أوقصر الجنينة، وهي عديدة نذكر منها: قصر عزيزة، قصر حسن باشا، قصر مصطفى باشا،

([1]) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 130.

([2]) Laugier de Tassy, op. cit, p 104 .

([3]) Thomas Shaw , op. cit, p 290.

([4]) ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 40.

ومحمد الطيب عقاب،"من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل، المربعات الخزفية"، *مجلة الدراسات الأثرية*، معهد الآثار، جامعة الجزائر، العدد 2، 1992، ص 69.

قصر خدّوج، قصر الدار الحمراء، قصر أحمد باشا، قصر مصطفى باشا، قصر الصوف[1].

إنّ تصميمات قصور مدينة الجزائر تمتاز بالتربيع والتكعيب شأنها في ذلك شأن تصميمات العمارة الإسلامية[2]. وهذه الميزات هي:

* أبوابها وواجهاتها تقع في الأزقة الضيقة للاحتياط من هجومات قوات الجيش الانكشاري والمحافظة على خصوصية أهل القصر، وكذلك وقوع السقيفة في أحد جوانب القصر الأربعة في الغالب كما تحول واجهات القصور عن التيار البحري حتى لا يتأذى ساكنوه خصوصا في الشتاء[3]، وهذا كله يبيّن أنّ تصميم هذه القصور وبناؤها ينم عن رؤى أمنية واجتماعية و عائلية ومناخية وغيرها كانت موجودة في فكر مهندسيها وبنائيها عكس ما ادعى البعض.

* كما احتوت بعض القصور على ما اصطلح بتسميته بـــ "الملقف" أي البئر الضوئي المتصل بالسقائف، هذا ناهيك عن الأروقة والصحون (الأفنية) والتي لها أغراض متعددة كتكسير أشعة الشمس على الأروقة، وتقي الغرف من تهاطل الأمطار في اتجاه مستقيم مهما كانت قوة الرياح [4]، أما الفسقية والنافورة فتقومان بتلطيف الجو وتنظيف المنزل وإضفاء نوع من الجمال الطبيعي لاتصالها بالعالم الخارجي "رؤية السماء"، فهي المتنفس وحلقة الوصل بين عالم الغرف والمطابخ والعالم الخارجي أين يتجدد الهواء بالصحن. ومن دون أن ندرج ما للمرافق الأخرى من دور وظيفي ، ننبه بأن هناك تخطيطا مسبقا ودراية كبيرة بعلاقة البناء بالطبيعة والمناخ بالمجتمع وعاداته وتقاليده، وهذا كله يتجسد في هندسة خاصة.

([1]) محمد الطيب عقاب، ***قصور مدينة ...***، ص ص 41 –42.

([2]) المرجع نفسه، ص 51.

([3]) المرجع نفسه، ص ص 52– 53.

([4]) المرجع نفسه، ص 65.

ويكفي هنا أن نختم بما اعترف به تقريبا معظم الرحالة وهو أن للمدينة ولدورها بياض ناصع، فهي تملك نفس الواجهة و في مجملها ذات طابقين، على نسق معماري موحد لا فرق بين بيت العام والخاص، إلا في بعض الفروقات الداخلية للمنزل لا الخارجية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا)- أحياء مدينة الجزائر وأزقتها:

لقد بنيت مدينة الجزائر على شكل مثلث قمته القصبة وقاعدته شاطئ البحر ، فمن القمة تنحدر رويدا رويدا نحو البحر، ومن وراء المواقع الدفاعية للميناء والاستحكامات يقع ما يسمى بالجزء الأدنى للمدينة [1]، والذي احتوى على عدة أحياء وأنهج و أزقة، كان الغرض منها تسهيل التنقل في المدينة مع الوظائف العديدة والمتنوعة لكل نهج وزقاق . وباستثناء الطريق الرئيسي فكل الطرق الأخرى ضيقة[2]، وهذا ما يؤكده دي بارادي الذي يقول إن أكبر نهج في مدينة الجزائر هو الممتد من باب عزون إلى باب الواد ويدعى السوق الكبير[3]، إلا أن هناك من يحدد ثلاثة أنهج أساسية في المدينة وهي:

1. نهج البحرية الذي يؤدي إلى حاجز الأمواج.
2. نهج باب الواد الذي ينطلق من باب الواد ويصل الساحة الكبيرة(ساحة الشهداء اليوم).
3. نهج باب عزون [4].

وعلى هذا الأساس فإن المركز هو قصر الجنينة وتتفرع منه الطرق أو تلتقي عنده، فمنها ما هو باتجاه باب الواد في الشمال ومنها ما هو باتجاه الجنوب الشرقي نحو باب عزون، أما الأخير فباتجاه باب البحر أو باب الجهاد، وهي تربط قلب المدينة بأبوابها، إنها بمثابة شرايين الدم في جسم الإنسان، ولها اتصالات أيضا بكامل نواحي المدينة لكن بطريقة غير التي ألفها الأوربيون في مدنهم، وهي الاستقامة والتخطيط الشطرنجي لمدنهم، لأنهم يؤكدون صفة الضيق والالتواء على معظم أنهج (شوارع) المدينة وأزقتها.

([1]) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 41.

([2]) Thomas Shaw, op.cit, p 288. (إن شوارع مدينة باريس متسعة جدا.عبد المجيد القدوري، المرجع السابق، ص 142).

([3]) Venture de Paradis, op. cit , p 23.

([4]) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 3.

وإذا كان الرحالة العرب لا يتحدثون عن الأحياء و الأنهج ولو حتى بإشارات فإن الرحالة الأوربيين ركّزوا عليها وأبدوا آراءهم في هذا الشأن مقدمين بعض التفسيرات المقنعة في جزء منها، سنأتي على ذكرها فيما بعد.

لقد شبه الشارع الكبير لمدينة الجزائر – شارع باب الواد باب عزون– بالشارع الكبير للقسطنطينية في منعرجاته العديدة التي تتداخل فيها الممرات وتتكاثر فيه أيضا المقاهي والدكاكين وكذا حوانيت السوق الصغيرة[1]، وهذا يدل على أنّ هذا النمط لم يكن لتتميز به الجزائر عن بقية المدن الإسلامية لأن لمعظمها نفس الميزة ألا وهي النهج الكبير، الذي هو عبارة عن محور نشاط اقتصادي تجتمع عنده الأنشطة الاقتصادية والتجارية على الخصوص لوجود الدكاكين والحوانيت.

وإذا ذكرنا هذا النهج فلابد أن نذكر بأن هناك نهجا للحدادين وآخر للنجارين وثالثا للمقايسية ورابعا للشماعين...وهكذا فلكل حرفة نهج أو سوق خاص بها، يقدم للأهالي والمتسوقين ما يحتاجون إليه[2].

وتكاد تجمع الكتابات التي تتحدث عن مدينة الجزائر في العهد العثماني أنّ في شوارعها التواءات[3]. كما أنها ضيّقة في غالبيتها وخالية من الأرصفة والنور، وهذا ما أبهر الأوربيين الذين زاروها فكتبوا عنها بالرغم من أنّ للضيق المتصفة به هذه الأنهج والأزقة ما يبرره. ولنا أن نقدم بعضا منها: ففي أيام الحر حيث الصيف الرطب تحتفظ الشوارع طوال اليوم ببرودة الصباح الباكر كما تقي المارة من الأشعة الشمسية وهطول الأمطار بواسطة الساباطات، مع المحافظة على النهج والزقاق من الأوحال والعوارض المتعددة، بالإضافة إلى هذا فهي تحمي البضائع من الأخطار الطبيعية (المناخية) على

([1]) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 41.

([2]) عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 129.

([3]) مولاي بلحميسي، ***مدينة الجزائر من خلال مياهها من (ق 16الى ق 19)***، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1998، ص 19.

ودائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 415.

وعبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 225.

وجه التحديد والتي قد تسبب بعض الأمراض والأهم من هذا هو معرفة الأشخاص الغرباء عن الأزقة.

وفوق كل هذا لا ننسى طبوغرافية المدينة المبنية على سفح جبل وبشكل مخروطي أو مثلثي، الأمر الذي سيؤثر لا محالة على حالة هذه الأنهج والأزقة فتصبح ضيقة، ولهذا الضيق تفسير آخر وهو استغلال المكان قدر الإمكان. كما كان للفرق المستوطنة تأثير على شبكة الطرق بالمدينة ، وأن كل قرار يتخذه الفريق هو استجابة لعوامل ومعطيات ومتطلبات كثيرة ومتداخلة لا يعلمها إلا الفريق المستوطن نفسه، كجغرافية الموقع والعلاقات الاجتماعية مع الفرق المجاورة ومصادر المياه وتوفر مواد البناء واتجاه الرياح وما شابه ذلك [1]. لذلك جاءت هذه الطرق ضيقة وفيها التواءات وممرات دون مخارج.

وفيما يخص أحياء المدينة فإنها كانت مقسمة إلى:

1- حي البحرية الذي تتركز فيه الطبقة الأرستقراطية من الأتراك خصوصا والمصالح التجارية البحرية.

2- حي باب الواد ويتركز به التجار اليهود.

3- حي باب عزون وهو مخصص للأجانب وأصحاب التجارة من الأهالي.

4- حي القصبة القديمة وهو مخصص للعرب[2].

وهذا ما يؤكد التنظيم الاجتماعي لسكان الجزائر، وليس التقسيم العرقي كما ادعى البعض، ويظهر أنّ الطائفة اليهودية كانت تتوزع على المواقع كلها[3]، وما نريد أن نلفت الانتباه إليه هو أن التشكيلة الاجتماعية هذه قد ساهمت في إبراز ملامح المدينة العربية الإسلامية عامة والمغاربية خاصة وأن لكل مجتمع تقريبا مجاله المكاني المميز، فهذه

([1]) جميل عبد القادر أكبر، ***عمارة الأرض في الإسلام***، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص ص 171 – 173.

([2]) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 225.

([3]) مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص 164.

النسبية تشرحها لنا كيفية ترتيب الفئات الاجتماعية [1]، وهذا ينمّ عن وجود خصوصيات في كل حي من أحياء المدينة تتوافق وساكنيها، وهي أيضا تؤكد فكرة عدم اندماج الأتراك مع مجتمع المدينة وعلى وجه التحديد بالسكان الأصليين[2]، فبقدر ما اتسع الشارع الكبير في المدينة الذي كان عرضه حوالي ستة وثلاثون قدما[3]، كان في نظر الأوربيين ضيقا، ناهيك عن الأزقة التي لا يزيد عرضها عن عشرة أقدام في بعض الأحيان [4]، حتى أنها وصفت بممرات الأرانب لضيقها وقيل بأنها لا تفسح المجال إلا لمرور فارس أو اثنين من المارة، لا يستطيعان حتى المشي في مستوى واحد[5]، وقيل أيضا أن ثلاثة أشخاص يمرون بصعوبة.

ومن المعروف أيضا أن التنقل عبر هذه الأزقة كان يتم بواسطة الحيوانات كالحمير مثلا[6] ، لذلك عادة ما يذكر الرحالة هذه الوسيلة كمقياس لتوضيح صفة الضيق وهي حقيقة تؤكدها المعالم المتبقية من القصبة اليوم وفي آن واحد تنم عن خاصية التأقلم مع المكان.

وإذا ما عدنا إلى تسمية الأزقة فنقول إنها تأخذ تسميات عديدة، وهذا حسب أقسامها وحسب ما يوجد فيها، فإن وجدت مثلا حرفة أو صناعة فإنّ في هذه الحالة الزقاق يحمل اسم السوق وإن وجد رحىً فيسمى بالفرن وإن كان هذا الأخير للخبز فيسمى كوشة، وإن كان قريبا من باب سمي باسمه وإن كانت مدرسة فهي التي تعطي اسمها للزقاق[7]...

([1]) الواليش فتيحة، ***الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر***، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،1994، ص 180.

([2]) ناصر الدين سعيدوني، ***النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)***، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 43.

([3]) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 47.

([4]) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 230.

([5]) ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 03.

- Laugier de Tassy,op.cit,p99.
et Venture de Paradis, op. cit , p 23.

([6]) مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال ...**، المرجع السابق، ص 19.

([7]) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 134- 137.

ومما تقدم نخلص إلى النتائج التالية:

1- إن وجود سور منيع يحمي مدينة الجزائر وإن كان ارتفاعه باتجاه البحر أكبر من باقي الجهات دليل على أنّ هذه الجهة كانت معرضة لضربات عديدة وقصف مكثف وهذا ما دونه الرحالة العرب والأوربيون.

2- بالإضافة إلى السور وجد الخندق ذو الوظيفة الدفاعية أيضا مدعما بالأبراج والحصون، إلا أن الخندق تدهورت حالته بسبب رمي الفضلات والأوساخ فيه، ومع هذا فقد سجل حضورا قويا أثناء حملة أوريلي على المدينة عام 1189 هـ/ 1775م مما استدعى إعادة الاهتمام به.

3- للمدينة خمسة ابواب تكاد تكون في جهات متفرقة وهي باب الواد، باب الجزيرة، باب الديوانية، باب عزون، الباب الجديد، ولتسمية كل باب سبب معين، وهي مدعمة بمجموعة من الحراس لغرض تكثيف المراقبة، ناهيك عن صلابتـــــــها وضخامتها.

4- لقد أنشئت دار الملك" قصر الجنينة" وسط المدينة تقريبا واتخذت تسميات أخرى "كدار الإمارة"، وهي تشبه باقي دور المدينة من حيث الشكل والتصميم وتختلف في بعض الفروقات الداخلية أما الخارجية فما يميزها وجود الراية والمصباح فوق بابها الوحيد. وتتشكل من عدة مرافق وملحقات: كالمطبخ، القصور، السقائف، المخبزة، الإسطبلات... ولكن لكل منها وظيفة أساسية وعمال مخصصون لها، وهي محمية بسور شأنها شأن المدينة ككل، هذه الأخيرة التي اتخذت صفة البياض بسبب بياض جدران منازلها وقصورها وحتى سطوحها كما أنها ذات هندسة معمارية واحدة، فإن شاهدت قصرا فهو عيّنة لكل البيوت والقصور، أما الاختلاف فيكمن في التزيين والنقوش وبعض مواد البناء.

5- لقد وجد في مدينة الجزائر في القرن12هـ/ 18م نهج كبير و واسع يمتد من باب الواد إلى باب عزون وهو يمر بدار الإمارة، وتصطف على جوانبه الحوانيت والدكاكين ماعدا هذا فالأزقة ضيقة لتحقيق أغراض شتى.

6- كما استنتجنا أن مدينة الجزائر منظمة تنظيما اجتماعيا ومهنيا وكل ما وضع في المدينة مخطط له إلى حد ما والداخل إليها لأول مرة يبدي رأيه حسب ما يعتقد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: مرافق مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م

أولا: أسواقها

ثانيا: فنادقها

ثالثا: حماماتها

رابعا: مساجدها

خامسا: مدارسها وزواياها

سادسا: شبكة المياه في المدينة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

لكي تقوم المدينة بوظائفها المتعددة وأدوارها المختلفة وتنظم الحياة فيها احتوت على عدة مرافق عامة، ولكل مرفق قيمة معتبرة وأهمية عالية نظرا لما يقدّمه من خدمات لساكني المدينة أو الذين يأتون إليها ويقصدونها لأغراض شتى، وعلى هذا الأساس تناول الرحالة العرب والأوربيون هذه المرافق والمتمثلة في الأسواق، الفنادق، المساجد، المدارس، الحمامات وشبكة المياه... وإن كانت هناك مرافق أخرى ذكرها الرحالة وهم يصفون مدينة الجزائر من خلالها مثل "المستشفى الإسباني" أو"البيمارستان"... و غيره إلا أننا نقتصر على انتقاء الستة مرافق السابقة الذكر، وذلك للأدوار التي تلعبها في المدينة والخدمات التي يقدمها كل مرفق في مدينة الجزائر سواء اقتصاديا كالأسواق والفنادق أودينيا مثل المساجد أو اجتماعيا مثل الحمامات وشبكة المياه وغير ذلك ... و إن كان التداخل بين خدمات هذه المرافق موجود مما لا شك فيه، غير أننا سنحاول أن نلقي الضوء على ما اخترناه وفق ما ذكره الرحالة العرب والأوروبيون معتمدين على مصادر أخرى أهمها مصدر حول **قانون** أسواق مدينة الجزائر لعبد الله بن محمد الشويهد ودراسات أكاديمية ونشرات حديثة خصوصا مقال في جريدة الخبر حول **شبكة المياه تعود إلى العهد العثماني**، حتى نصل إلى المقارنة – إن أمكن – في المادة الخبرية التي دونتها أقلام الرحالة الأوروبيين من جهة بالتي تركتها لنا شهادات الرحالة العرب وغيرهم من سجلات معاصريهم في مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من جهة أخرى أمثال وليم كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب وأسير الداي.

أولا) _ أسواق مدينة الجزائر :

تنوعت الأسواق في محيط مدينة الجزائر، فوجدت الكبيرة منها كتلك التي كانت خارج أبواب المدينة وأسوارها وتقام أسبوعيا حيث تكون المتاجرة بين سكان الريف وسكان المدينة فيما يخص البضائع والمنتجات ذات الأحمال الثقيلة والأحجام الكبيرة.

بينما داخل المدينة تنوعت مواقعها وتعددت مساحتها ، وذلك كله بحسب النشاط والخدمة المقدمين، فمنها ما كان يخدم المدينة كلها ومنها ما كان يخدم جزءا صغيرا، أوما يسمى بـــ"السويقات" [1]، وهذا لا يقصد به أسواق الجملة والتجزئة في يومنا هذا، بقدر ما كانت البضاعة الثقيلة والمعرقلة لحركة المرور في المدينة تباع في أطرافها بينما السلع الخفيفة والنظيفة والكثيرة الاستهلاك تدخل إلى المدينة وتباع في أسواق خاصة بها.

وعلى هذا الأساس نجد الرحالة الأوروبيين يتحدثون عن الشارع الواسع والوحيد الذي يمتد من الشرق إلى الغرب وتوجد به حوانيت للخواص و الذي تقام فيه كل يوم سوق استهلاكية [2]، أي في أكبر طريق في مدينة الجزائر في نهايته باب الواد في الشمال والآخر في باب يدعى باب عزون ، وهذا الشارع لا يتعدى على الإطلاق عشرة أقدام عرضا ويسمى السوق الكبير، لأن كل محلات البائعين والحرفيين تتواجد به [3].

في حين أن الرحالة العرب يكادون يغضون الطرف عن هذه السوق وأحوالها، ما عدا بعض الإشارات الطفيفة التي عثرنا عليها في رحلة ابن حمادوش، والتي يتحدث فيها عن دكانه ومكان تواجده و تجارته التي كان يمارسها، ومنها نذكر [4]:

"...إلى يوم الاثنين فتحت دكاني و كنسته و جلست فيه بعد صلاة ظهر الجامع الكبير..."

" ... فخرجت إلى دكاني قبالة الجامع الكبير ... ".

"... وفي هذه الأيام بعت الملف و الحمد لله ، وتوسع حالي...".

---

(1) عثمان عبد الستار، *المدينة الإسلامية*، سلسلة عالم المعرفة، رقم 128، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.س.ط، ص 227.

(2) Thomas Shaw , op. cit,p190.

(3) Venture de Paradis , op.cit, p23.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص114، 118، 122.

ونفهم من هذا كله أن الدكان كان في الشارع الأعظم في المدينة ويقابل أحد الجوامع المنتشرة في وسط المدينة وهو الجامع الكبير ولا ننسى تجارته في القماش. ونستنتج من هذا أن الشارع الأعظم في مدينة الجزائر أصبح هو المنطقة التجارية الرئيسية فيها[1].

ولقد اشتهرت من هذه الأسواق: سوق الرحبة " البادستان " القريب من باب عزون، السوق المركزي " القيصرية " القريبة من دار السلطان، حيث كانت تعرض فيه مختلف البضائع والسلع في مقدمتها المواد الاستهلاكية التي يحتاجها السكان مثل: الحليب، اللحوم، السمن، العسل، الحبوب... هذا بالإضافة إلى وجود بضائع في الأسواق المتخصصة في بيع سلع معينة مثل: سوق اللوح، سوق الصوف، سوق الكتان وغيرها[2].

والمتتبع لأسواق مدينة الجزائر يبدو له من الوهلة الأولى أن هناك تخصصا فيها من حيث بيع السلع، ولذلك تعددت أسماؤها تبعا لتعدد وظيفتها والنشاط الذي تقدمه، حيث أضحى السوق يسمى باسم سلعته، وهذا ما لاحظه ليون الإفريقي الذي زار المدينة في بداية القرن 10هـ/ 16م، وقال بأن أسواقها منسقة كما يجب، ولكل حرفة مكانها الخاص[3]، وهو نمط تقليدي في المدينة الإسلامية، وأما الحرف فهي جزء من السوق.

وهذا التنظيم بقي على حاله في مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، وسمح للسلطة بالمراقبة الجيدة للنشاط المهني وتتبعه، مع ترك حرية العمل لأرباب وأصحاب الحرف والتجار، وهذا ما ساعد على انتعاش بعض الحرف وخلق طبقة متوسطة في المدينة [4]. ولقد سجلت أمكنة خاصة في السوق لبعض الحرف، وهي تقدم وتعرض بضاعتها للمشتري، وهذه أيضا خاصية تميز المدينة الإسلامية، واحتفظت بها في هذا

---

(1) عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص 235.

(2) ناصر الدين سعيدوني، "مخطوط قانون أسواق الجزائر"، ***حوليات جامعة الجزائر***، العدد5، 1991،منشورات جامعة الجزائر، ص 124.

(3) ليون الإفريقي، ***وصف إفريقيا***،ج2، ت محمد صبحي،محمد الأخضر،ط2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص37 .

(4) محفوظ رموم، ***الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني1519-1830 دراسة تاريخيةأنثروبولوجية***، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ، 2002، ص 24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العهد، وتناسب هذا التخطيط مع ازدحام المدينة وتلاصق مبانيها وضيق شوارعها الفرعية، بالإضافة إلى عدم توفر مساحات واسعة، كما أن شكل الدكاكين المصطفة على جانبي الشارع الرئيسي وطريقة إنشائها يمنع وقوع الضرر، كما يمكن من مراقبة الأسواق ويسهل على المشتري الوصول إلى حاجته ، كما يدفع إلى التنافس أيضا [1].

فبقدرما اتسع الشارع الرئيسي للمهن والسلع بقدر ما كانت مساحات الدكاكين والحوانيت ضيقة وصغيرة بدون ترتيب، وهذا ما يؤكد على خاصية استغلال المكان من جهة، وتوفير أكبر قدر ممكن من السلع المتنوعة من جهة ثانية. وعادة ما يصور لنا الرحالة الأوروبيون صورة التاجر الموري، وهو يجلس القرفصاء في دكانه على مصطبته، وبإمكانه أن يبيع سلعته دون أن يتحرك من مكانه ، كما أن المشتري لا يدخل الدكان[2]، وهذا كله مراعاة لخصوصية مجتمع مدينة الجزائر الإسلامي، فهذا الدكان قد ترد إليه المرأة، الأمر الذي يحتم عليها الشراء ثم الانصراف دون الدخول إلى الدكان ولا الوقوف مطولا أمامه.

أما فيما يخص الأسعار فقد كانت محددة ومراقبة من طرف المحتسب والذي استمد وظيفته من التقاليد التي ورثها الحكام الأتراك بالجزائر من أنظمة العهود الإسلامية، والتي تمت المحافظة عليها وإبقاؤها لمسايرتها لأحكام القضاء والإفتاء، ولهذا أبقى حكام الجزائر على مثل هذه الوظيفة، بالرغم من أن المحتسب استعان في ممارسة مهامه بالقاضي والأمناء[3]. ومن العائلات التي أسندت إليها هذه المهمة في مدينة الجزائر في القرن12هـ/ 18م عائلة ابن فراصدي كالحاج أحمد بن محمد الفراصدي وعائلة بوطالب

(1) عثمان عبد الستار، المرجع السابق ، ص ص 230-232.

(2) Kaddour M' hamsadji ,*el quasba ;zemân, la Qasbah d'Alger autrefois*, office des publications universitaires, Alger, 2007, p 106.

وليسور ويلد، المصدر السابق، ص07.

(3) ناصر الدين سعيدوني، *ورقات جزائرية*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س. ط، ص 238.

إذ أوكلت إلى عبد الرحمان بن محمد بوطالب في الفترة مابين 1719 /1730 ويبدو أنها توارثت مهنة المحتسب في هذه المدينة[1].

والمحتسب في حقيقة الأمر وظيفة دينية بحتة نابعة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك وفق تعريف الماوردي لها: " وهي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله "[2]. وإذا كانت الحسبة في اللغة هي الأجر، والاسم من الاحتساب وهو حسن الحسبة وحسن التدبير ومنه المحتسب، ومن عمل هذا الأخير الميداني السوق وكأن صاحبها قاض أو صاحب السوق[3].

وقد شملت مهمته مراقبة المكاييل والموازين والنشاط التجاري والحرفي وكذا التأكّد من جودة البضائع ومطابقة المواد المصنوعة للقواعد المرسومة والمتعارف عليها وتقييد الأسعار للحيلولة دون أي تلاعب[4].

لكن عائشة غطاس تؤكد على سكوت سجلات المحاكم الشرعية عن مهام المحتسب ماعدا التسعير، وقد ذكر اسم: "سليمان محتسب" في أحد الوثائق[5]. لكن وظيفته أصبحت مقيّدة وخاضعة لسلطة وكيل الخرج منذ ثمانينات القرن 18م. وأصبحت تشاركه عدة أطراف وهم القاضي، شيخ البلد، أمين الأمناء، ولعل أقدم المصادر التي تحدثت عن أسواق مدينة الجزائر هو: " **قانون أسواق مدينة الجزائر** " [6]،الذي نستطيع من خلاله أن نرسم قائمة لأسواق المدينة معتمدين على سجلات وثائق البايلك، بيت المال والمحاكم

([1]) عائشة غطاس، ***الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 /1830) مقاربة اجتماعية و اقتصادية***، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، منشورات ANEP ، الجزائر، 2007، ص 71.

([2])علي بن محمد الماوردي (أبو الحسن)، ***الأحكام السلطانية والولايات الدينية***، دار الكتاب العلمية، بيروت، د، س، ط، ص 299 .

([3]) أحمد بن عبد الله القرطبي، ***آداب الحسبة والمحتسب***، تحقيق فاطمة الإدريسي، إشراف مصطفى الصمدي، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005 ، ص 17 .

([4]) عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص 70.

([5]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([6]) عبد الله بن محمد الشويهد، ***قانون أسواق مدينة الجزائر، (1695/ 1705)***، ط1 ، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2006، ص ص 27 – 28.

الشرعية، وقائمة هذه الأسواق من إنجاز الدكتور ناصر الدين سعيدوني وسنكتفي بذكر بعض منها:

1-**أسواق مدينة الجزائر السفلى:** المنتشرة من باب عزون إلى باب الواد وحولهما ومنها:

أ-أسواق المهن والحرف اليدوية وتشمل: سوق البرادعية، سوق الحدادين، سوق الخراطين، سوق السراجين، سوق السمارين...

ب-أسواق السلع والمواد الغذائية وتشمل: سوق الخضارين، سوق الزرع أو رحبة الشعير، سوق السمن، سوق الفكاهين، سوق الكتان، سوق رحبة الغنم ...

2- أسواق وسط المدينة ومنها :

أ -أسواق المهن والحرف اليدوية ويشمل: سوق البلاغجية، سوق الحياكة، سوق الرصايصية، سوق الشماعين، سوق الغزل، سوق القزازين ...

ب - أسواق السلع والمواد الغذائية ويشمل سوق الحواتين، سوق الخضارين، سوق الدخان، سوق اللوح ، سوق زنقة الديازين ...[1]

وعلى هذا يظهر التجاور بين الأسواق والحرف حتى قيل أنك تسمع الفوضى والضجيج من صيحات التجار ودوي مطرقات صغار الصناع الذين كانوا يتخذون من أسفل المنازل الأرضية مقرات لهم[2].

وبحكم أن الحرف كانت جزءا من السوق فقد انفردت بأمكنة خاصة بها، حتى يسهل أمر مراقبتها وكذا اقتناء بضاعتها لمن يحتاج إليها ويريدها. إنها فعلا صور للنشاط و الحيوية اللذين تميزت بهما أسواق مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م،

---

(1) عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق ، ص ص 30- 31.

(2) مارسيل إمريت، الأحياء التجارية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، المصدر السابق، ص 164.

والتي كانت منسقة ومنظمة إلى حد ما، وهما صفتان لا تتنافى وطبيعة الخدمة المقدمة، إذ لا بد من حدوث تأثير للنشاط على المكان (نداءات التجار وصوت المطارق).

لقد كان لكل سلعة مكانها وخصوصيتها، ونفس الأمر للحرف، وهذا كله وفق نمط روعيت فيه عدة جوانب تخص البائع والمشتري من جهة ونظافة المدينة وتحكّم السلطة فيها و مراقبتها من جهة ثانية، لأن الرحالة الأوربيين أكدوا على عدم نظافة هذه المدينة [1]. وهي صفة من الراجح أنها لا تنطبق على كل أزقة وشوارع المدينة ، لأن فيها ما كان مبلطا بالحجارة المرصوفة للحيلولة دون حدوث الأوحال ، بالإضافة إلى الساباطات التي كانت تقيها من تأثير الأمطار، وأما كثرة الأحمرة والجمال والخيول[2] فهي ظاهرة تؤكد على استعمال هذه الحيوانات للنقل ولأغراض شتى، كما لا يفوتنا أن نسجل هنا الأماكن المخصصة لها وطبيعي أن تهتم السلطة بهذا الشأن وتتنبّه للفضلات التي تتركها هذه الحيوانات فتعمد لا محالة إلى تنظيفها ، وقد تكون ظاهرة ظلام الأزقة ورائحة الرطوبة قد أعطت للرحالة الأوربيين انطباعا خاطئا فقالوا عنها بأنها غير نظيفة.

ولنعود إلى الحديث عن الأسواق، خصوصا الموجودة في أطراف مدينة الجزائر وحول أبوابها ، لقد كانت تعكس فهما عميقا يدل على محاولة المحافظة على نظافة المدينة وعدم تلويثها ببقايا السلع حين تدخل إليها، كما تعكس أيضا خصوصية مميزة للتخفيف من ظاهرة الازدحام بسبب ضيق الأزقة[3]، ماعدا الشارع الكبير أين يتمركز السوق الكبير.

(1) Venture de Paradis , op .cit ,p23.

و ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 36.

(2) Laugier de Tassy , op. cit , p 100.

و ج .أو . هابنسترايت، المصدر السابق، ص 37.

(3) فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص 96 .

ثانيا)- فنادق مدينة الجزائر:

لقد ارتبطت الأسواق بالمرافق العامة الأخرى للمدينة، من عيون وحمامات وأفران وفنادق، هذه الأخيرة التي يتوجه إليها المسافرون ويحط بها التجار رحالهم ويقصدها الحجاج أثناء توجههم إلى البقاع المقدسة وغير ذلك، و قد اتخذ التجار من بعض غرف الفنادق مخزنا لسلعتهم وبضاعتهم [1].

وكانت مدينة الجزائر تضم عدة فنادق حددت من طرف الرحالة الأوربيين بأربعة، وهي عبارة عن هياكل سكن كبيرة خاصة ، وتوجد بها ساحات عديدة وغرف للكراء وكذا ورشات . إن التجار المشارقة – الأتراك أو غيرهم – ممن يقصدونها والقادمين بالبضاعة إلى مدينة الجزائر يقيمون بهذه الفنادق أين توجد كل الضروريات لتجارتهم، بالإضافة إلى ذلك يقيم بها بعض الجنود الذين لا يريدون الإقامة في الثكنات، فيستأجرون غرفا في هذه الفنادق على حسابهم الخاص [2].

فإذا كانت الفنادق عبارة عن مرفق مهم في المدينة، فلأنها إحدى المنشآت المتخصصة في التجارة والبيع بالجملة، وغالبا ما تكون متخصصة في بيع مادة بعينها[3]. إن التجار يقيمون وينزلون في طوابقها العليا، في حين يخصص أسفلها للتجارة، وعادة ما يسمى الفندق باسم السلعة التي تباع فيه أو باسم صاحبه المؤسس له أو مالكه [4]، مثل فندق علي بتشين، فندق ابن تركية، فندق ابن الزرقي، فندق الجرابة[5].

ومن المحتمل أن عدد فنادق المدينة يفوق الأربعة التي ذكرها الرحالة على اعتبار أن معظمها منتشر في أحياء المدينة وحول أبوابها، وبالتحديد باب عزون وباب الواد وباب الجهاد... فإذا كان الحجاج ينزلون فندق المكاويين أثناء توقفهم بمدينة الجزائر فإن

---

(1) عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق ، ص 32.

(2) Thomas Shaw, op. cit, p 291 et Laugier de Tassy , op. cit , p 105.

(3) عائشة غطاس، المرجع السابق، 217.

(4) عبد العال عبد المنعم، "جغرافية المدن عند العرب" ، *عالم الفكر*، المجلد التاسع، العدد الأول، د.س.ط، ص 158.

(5) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 217.

الجنود الإنكشاريين يفضلون النزول في فندق المرجاني الواقع في وسط المدينة وكان في اكترائهم دون غيرهم في سنة 1149هـ/ 1736م [1].

فإذا سكت الرحالة العرب عن الوصف الدقيق للفنادق فقد يكون لهذا الإغفال ما يبرره، منه ما هو متعلق بشخص الرحالة وميوله والهدف من رحلته، فما يثير انتباهه يسجله وما يغفل عنه لا يدونه، ورغم هذا فقد عثرنا على صورة لفندق البحرية وهو يعد من أكثر بنايات المدينة أناقة وميزة[2].

وتعتبر الفنادق معيارا للنشاط الاقتصادي، وإذا كثرت في مدينة ما دل ذلك على حالة اقتصادية لا بأس بها والعكس صحيح، لذلك يجب التأكد من العدد الذي قدمه الرحالة الأوربيون. وندرج هنا ما أوردته عائشة غطاس عن الفنادق حيث أحصت خمسة وأربعين فندقا في مدينة الجزائر في الفترة الممتدة بين 1700و1830 م[3]، ولعله يقارب هذا العدد أو يقل عنه بقليل في فترة الدراسة " 12هـ/18م ". أما الأسير الأمريكي كاثكارت فذكر عددا من الفنادق التي يقطن بها بعض الأتراك المتزوجين والمتقاعدين ممن لا مال لهم، بالرغم من أنه لا يذكر عددها ، إلا أنه يصرح بكلمة "عددا " [4]، والتي تحمل في طياتها الكثرة وليست القلة.

لقد كان لهذه الفنادق غرف وبيوت ومخازن [5]، ففندق كيجاوة مثلا المعروف بفندق المرجاني به ست عشرة غرفة، أما فندق المحتسب ففيه أربع غرف وأربعة بيوت، واشتمل الفندق الواقع أسفل جامع حسن باشا والذي مورست فيه عدة نشاطات تجارية على ثلاثة عشر حانوتا وكانت وقفا على الجامع المذكور[6]، و كلها في الغالب مربعة الشكل بين الصغيرة والكبيرة، في وسطها و حولها أربعة أروقة وهذه هي ميزة الفنادق

---

(1) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 218.

(2) ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 32.

(3) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص217 .

(4) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص 100.

(5) Thomas Shaw , op. cit , p 291.

(6) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 218 .

في المدينة العربية الإسلامية [1]، ولا ضير أن نذكر بعض أسماء الفنادق كما جاءت في رسالة عائشة غطاس وكذا في كتاب **قانون أسواق مدينة الجزائر** وهي: (فندق أعلى القهوة، فندق باب عزون، فندق باب الواد، فندق البرادعية، فندق الجديد، فندق الجعلولة، فندق الدخان، فندق الحوات، فندق الدروج، فندق الزيت و فندق سالم[2].

والملاحظ على التسميات أنها تدل على الأشخاص أو على السلعة كما تدلّ على المكان الموجود فيه الفندق، ولعلّ أغلب الفنادق لم يصل إليها الرحالة الأوربيون أو أنّها لم تقع في دائرة ملاحظاتهم واهتماماتهم، كما أن لضيق الشوارع وتداخل المباني فيما بينها وقربها من بعضها البعض تأثير على تمييز هذا من ذلك. كما لا ننسى أن إقامة معظم قناصل الدول الأوربية كانت في فحوص مدينة الجزائر وهم الذين يستقبلون رعاياهم ووفودهم في منازل إقامتهم، مما يؤكد عدم اهتمام الأوربيين بهذا المرفق عكس التجار والحجاج مثلا.

وإن كان الرحالة العرب لم يولوا أهمية كبرى لهذا المرفق ولا نجد له وصفا في كتاباتهم فلهذا الأمر أيضا ما يبرره، كإقامة معظمهم عند أصدقائهم من العلماء ورجال الحكم (سواء الزياني أو أبي راس الناصر) [3]، وإلى حد كبير تعتبر رحلة هذين العالمين بين رحلة عامة التي جمعت كثيرا من الأغراض، ورحلة دراسية التي يتغرب فيها الرحالة لطلب العلم ولقاء المشايخ الكبار[4]، فيمكثون في بيوتهم ويبقون في مجالسهم لمناقشة أمور علمية ودينية تخص شأن حياتهم ...فلا يبحثون عن الفنادق للإقامة فيها، أما ابن حمادوش فهو ابن مدينة الجزائر ولا يأتي على ذكر هذا المرفق إطلاقا، بالرغم من أن رحلته كانت خارج الجزائر إلا أنه لا يقارن ولا يلمح إلى ما يتعلق بمدينته في هذا الجانب، ومن المحتمل أنّه لم يدخل فنادق مدينة الجزائر وإن كان قد حدث العكس فهو لغرض تجاري كشراء ما يلزمه مثلا.

---

(1) عبد العال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 158 .

(2) عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص ص 32- 33 وعائشة غطاس، المرجع السابق، ص 219.

(3) مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال ...**، المرجع السابق، ص 175.

و محمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص 96.

(4) حسين نصار، ***أدب الرحلة***، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر،1991، ص ص 17- 18.

ثالثا)- حمامات مدينة الجزائر:

إن الحمامات من مرافق المدن الهامة والتي تعطي بصمة حضارية مميزة[1]، حيث أن عادة الاستحمام باتت متأصلة في سلوك بعض الأفراد ولا تقتصر هذه الظاهرة على مجتمع دون آخر، فقد وجدت عند الرومان... وغيرهم، وهي تدل بالدرجة الأولى على النظافة كما تنم على الاهتمام بالجانب الصحي.

ونظرا للأدوار العديدة التي يلعبها الحمام في مجتمع مدينة الجزائر، ذكره الرحالة الأوربيون بشيء من التفصيل وأهمله الرحالة العرب الذين تحدثوا عن مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م. فدي تاسي يقر بالعدد اللامتناهي من الدور العمومية مثل الحمامات الساخنة [2].

ومنهم من يحدد العدد ويذكر وجود اثنا عشر حماما عموميا واثنان وستون حماما بخاريا[3] دون تفاصيل أخرى. فإن سكت قلم دي بارادي عن هذا المرفق فإن هابنسترايت الرحالة الألماني الذي قدم إلى الجزائر سنة 1145هـ/1732م يقول إن حمامات مدينة الجزائر مريحة ومزينة والذين يستعملونها تقدم لهم خدمات جيدة [4].

غير أن الذي قدم معلومات دقيقة عن هذا المرفق هو دي تاسي لأنه ذهب إلى حمام عمومي أيام تواجده في المدينة مع قنصل فرنسا بدافع الفضول وسرد تفاصيل هذه القصة - الحادثة - ويقدم على تحديد أجزاء هذا المرفق والأشخاص المتواجدين فيه وطريقة الاستحمام بشيء من التفصيل. فأمّا عن أقسام الحمام، فهو مقسم إلى ثلاثة غرف، الأولى مضيئة جدا وهي مغطاة بفراش حيث يتم فيها نزع الثياب وأخذ منشفتين وإزار، واحدة تلف حول الخصر والأخرى توضع على الكتف، أما الغرفة الثانية فكانت حرارتها متوسطة يستطيع الإنسان تحملها، وثالث الغرف كبيرة وهي الحمام الذي به قبة وأرضية واسعة مبلطة بالرخام وتحيط بها غرف على نفس المنوال[5]، أين يتم الاستحمام ويوجد

---

(1) عبد العال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 160.

(2) Laugier de Tassy , op. cit , p 106.

(3) Thomas shaw , op. cit , p 290.

(4) ج .أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 37 .

(5) Laugier de Tassy , op. cit , p 107 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في وسطها كرسي من الرخام بشكل دائرة، وفي هذه الغرفة ترتفع درجة الحرارة التي تسبب العرق حتى تصبح المنشفات مبللة كثيرا، وبعد ذلك تكون عملية الدلك في غرفة معتدلة من طرف شخصين أسودين على بساط أبيض وهذان الشخصان من تونس. ويذكر دي تاسي وجود عين بحائط الغرفة يؤخذ منها الماء الذي يرش به المستحم ، ويستعملون نوعا من المادة الكيماوية لإزالة الشعر ولو طالت على جسم الإنسان لأحرقته، ويتم غسل المستحم وتنشيفه وفرقعة عظامه وبعد ذلك يأخذ إلى مكان تواجد ملابسه، ويدفع مقابل ذلك ربع بياستر وفي الأخير يتلقى التهنئة من طرف القائم على الحمام ويشجعه على العودة مرة أخرى [(1)].

لقد قدم لنا دي تاسي تفصيلا لحمام عمومي، ولولا الفضول الذي دفع به لما أمكنه من كتابة بعض الأسطر حول هذا المرفق وبهذا التدقيق، ومن خلال هذا نستطيع التعرف على هندسة الحمام ومواد بنائه وأجزائه، أما الأسير الأمريكي كاثكارت فقد سجل تفاصيل حول حمام الداي الذي يقول عنه أنه لا يضاهى في السعة حمامات المدينة. ونظرا إلى أن كل الحمامات التركية مبنية على طراز واحد فإن وصف هذا الحمام – أي حمام الداي- يعني إعطاء فكرة عن كل الحمامات، والمتتبع لما رواه كاثكارت يعرف بأن حمام الداي يتكون من ثلاث غرف؛ الأولى صغيرة والثانية أصغر ومؤثثة أثاثا رفيعا (وفيها يتم خلع الثياب قبل التعرض لدرجة حرارة مرتفعة).

لقد بني الحمام على فرن معد لتسخين الماء مع تواجد ثلاثة رجال من المزابيين استخدموا في الحمام منذ نعومة أظافرهم، كما يلف المستحم بالقطن حتى يعرق، ويلبس قبقابا في رجليه ثم يدخل إلى الحمام الأساسي ليجلس على مائدة من خشب الزان تعلو الأرض بقدم وفي هذه الغرفة يكون الدلك والاغتسال بالصابون باستعمال قفاز، كما يؤكد كاثكارت على وجود الماء الساخن والبارد[(2)]، وأن اللحية تحلق قبل الاستحمام، وبعد التأكد من تمام نظافة المستحم يغادر إلى الغرفة الثانية بعد وضع منشفة جافة عليه، ثم يمضي إلى الغرفة الأخيرة التي تكون مزودة بأريكة للراحة حوالي نصف ساعة أو أكثر مع

---

(1) Laugier de Tassy , op. cit ,pp 106- 107.

(2) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص ص 93- 94.

احتساء القهوة وحتى النرجيلة إن كان مدخنا، وبعد ذلك يكسى بثياب جديدة من رأسه إلى أخمص قدميه ويلبسونه برنوسا ويضعون فوق رأسه قلمونا ثم يغادر الحمام[1].

وإن وجدت الحمامات العامة في مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، فقد وجدت أيضا الحمامات الخاصة وهي عادة ما تكون في القصور والدور الكبيرة[2]. والفرق يكون في التأثيث ونوع الخدمات .

إن وجود الحمامات في مدينة الجزائر في الفترة المعنية بالدراسة لأمر يؤكد على وفرة الماء كما ينم عن ثقافة السكان في الوقاية من الأمراض الجلدية الخطيرة[3]، وكذا النظافة وحب التطهّر، حتى غدا لكل حي تقريبا حمام على الأقل ، إن لم يكن أكثر من ذلك في بعض الأحيان[4]، وما يبرهن على صحة هذه الأقوال أن للنساء حمامات خاصة بهن لا يجرؤ الرجال على الدخول إليها مهما كان الأمر، وهي غرف معزولة جدا لأن النساء تخدمن من طرف عبيد نساء [5]، ولعلها تكون مخصصة لفئات دون أخرى.

وليس للحمام دور صحي فحسب، فله أيضا دور اجتماعي حيث تذكر فيه عدة قضايا (شراء، بيع، زواج، حوادث...) وفيه يتم الاتفاق على أمور و قضايا مختلفة بين المستحمين [6]، وهي ظاهرة مازالت مستمرة إلى اليوم في الحمامات العامة.

والحمامات البخارية – التي ذكرها الدكتور شو – هي التي بها أنابيب البرونز والتي يمر الماء الساخن من خلالها وهي مقامة على الحيطان الأمر الذي يؤدي إلى وجود

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص ص 93-94 وأيضا ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 37 .

(2) محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص 113 .

(3) مولاي بلحميسي، مدينة الجزائر من خلال ...، المرجع السابق، ص 6.

(4) عبد العال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 161.

(5) Laugier de tassy. op .cit. p 108.

(6) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 95 .

سحابات من البخار تزداد حرارته شيئا فشيئا حتى يصل المستحم إلى ما يسمى بالسكاك أوداسي "**sicak odasi** " أو كاليداريوم "**calidarium**" عند الرومان [1].

لقد كانت حمامات مدينة الجزائر ذات هندسة معمارية مميزة، وإن اختلفت في عدد أقسامها بين غرفة أو اثنتين أو ثلاث ، وبين العمومية والخاصة فكانت في مجملها على جانب كبير من التخطيط ، وروعي فيها موضوع التهوية بدقة في أضلاع القبة المثمنة وفي فتحات تسد وتفتح في بعض الأحيان وكذا نظام جريان الماء في الأنابيب، ووجود عدة خزانات وأجران "أحواض" واهتمام المهندسين بتأمين الدفء لقاعة الحمام واتخاذ كل ما من شأنه أن يحفظ الحرارة في الحمام .

وأقدم الحمامات الموجودة في المدينة هو حمام "سيدنا" المعروف بحمام الداي. وهناك بقايا لقبب الحمامات في قصور عدة[2]. ولقد تمت هندسة هذه الحمامات وفق نمط وقائي للمستحم دون أذى (بين الحر والبرد) أثناء الدخول و الخروج من وإلى الحمام وكل هذا من شأنه أن يبرهن على الراحة والنظافة والنظام للمستحم.

ولا بأس أن نعود لنناقش العدد الذي صرحت به مصادر الرحلة الأوروبية وهو في المجمل 74 حماما من جهة أو بين 50 و60 من جهة ثانية، بين بخاري وعمومي فالأسير الإسباني هايدو قد عددها في القرن السادس عشر بحوالي 60 حماما[3]، وليون الإفريقي يقر بوجود عدد كبير منها، شأنها شأن الفنادق[4]، فكيف بعد قرن من الزمن وأزيد، وبعد تطور وتقدم اقتصادي واجتماعي خلال القرن السابع عشر خصوصا تزداد فقط بحمامين، فهذا ما يدع مجالا للشك ولم نجد عند الرحالة العرب ما يزيل هذا اللبس،

---

(1) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 96.(تعرف الأقسام الثلاثة في الحمامات الرومانية بالأسماء التالية: فريجيداريوم القاعة الباردة، تبيداريوم القاعة الدافئة كاليداريوم القاعة الساخنة). محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 118.

(2) محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر...**، المرجع السابق، ص 114 .

(3) Deigo de haédo, ***Topographie et histoire générale d'Alger***, traduction de l'espagnol et note de A, Berbrugger et D. Monnereau , présentation de Abd Rahmane Rebahi , 3eme édition, Grand Alger livre , 2007 , p 125.

(4) ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص 37.

الأمر الذي صعب من المقارنة والبحث عن البدائل قدر المستطاع للتأكد من صدق ما كتب عن المدينة في القرن 12هـ/18م.

إن كثرة الحمامات في المدينة لأمر يدل على الاستبحار في العمران ويؤكد على التنعم والتحضر [1]، وهذا ما ينطبق على مدينة الجزائر . وإن كان عدد سكان المدينة طوال القرن 12هـ/18م غير مستقر (من مئة ألف نسمة إلى خمسين ألف نسمة)[2]، فإننا نستطيع أن نقول بأن كل حمام كان يستقبل ما بين675 و1300مستحم إذا ما وضعنا في الحسبان العدد الذي أتى به الدكتور شو وهو 74 حماما في مدينة الجزائر، بحكم بقائه لمدة زمنية طويلة ، كما أن اهتمامه بالطب وبالأمور الصحية تجعل من أخباره تقترب من الحقيقة وأيضا ما يؤكد هذا تمييزه بين الحمام البخاري والحمام العمومي.

وتقسم اليوم الحمامات في الغالب إلى ثلاثة أقسام مختلفة الأحجام، فيها ما هو مظلم وفيها ما هو مضيء، والذي استحدث في القاعة المعدة للاستحمام هو حوض الماء الذي يمتلئ بفعل قنوات وحنفيات مياه دافئة وحارة وينظف بين الفينة والأخرى، والمادة الغالبة فيه هي الرخام لسهولة تنظيفه من جهة واحتفاظه بدرجة الحرارة من جهة أخرى، ومعظم الحمامات اعتمدت التقنية ذاتها مع قليل من التحويرات.

(1) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 357.

(2) Laugier de Tassy , op. cit , p105.
Venture de Paradis , op . cit, p 20.

رابعا)- مساجدها:

يقول المولى عزّ وجلّ في محكم تنزيله: « وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا »[1].

يعتبر المسجد في الإسلام محور الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية و العسكرية في المجتمعات الإسلامية، فهو مكان للعبادة والتربية والتعليم، وهو مكان للتقاضي بين الناس[2] ... و غيرها من الأمور. ولذلك سجل هذا المرفق حضوره عند معظم الرحالة سواء العرب أو الأوربيون وبكثرة. فدي تاسي ذكر عشرة مساجد كبرى "أي خاصة بصلاة الجمعة أو مساجد جامعة " وخمسين صغرى[3]، وهو نفس العدد الذي ذكره الدكتور شو[4]، إلا أنّ دي تاسي يقول في مستهل كلامه في هذا الشأن " نــرى في المدينة "، بينما الطبيب الإنجليزي يذكر كلمة " نعدّ "، في حين أن دي بارادي الذي زار المدينة في نهاية القرن الثامن عشر يضيف مسجدين إلى العشرة أي يصبح العدد اثناعشر مسجدا جامعا في مدينة الجزائر[5]، وهذه الأعداد المقدمة من طرف الرحالة تحتاج إلى إعادة نظر، سواء تعلق الأمر بالمساجد الجامعة أو المساجد الأخرى (المصليات)، ومن المحتمل أنها تفوق هذا، خاصة وأنّ ألبرت دوفو ذكرعدد ثلاثة عشرة مسجدا جامعا[6]، وهو الذي حل بالمدينة تزامنا مع الاحتلال الفرنسي لها في القرن التاسع عشر.

وإذا كان الرحالة العرب قد أغفلوا العدد الذي من خلاله نستطيع أن نحكم ونقارن فإنهم سجلوا في مؤلفاتهم عدة مساجد، فهذا ابن حمادوش الذي كان يملك دكانا مقابل الجامع الكبير، فقد ورد هذا الأخير مرات عديدة في مؤلفه خصوصا حين يتعلق الأمر بقراءة صحيح البخاري [7]، وهذه إشارة منه إلى ما كان يقرأ في المسجد الأعظم، ولولا

---

(1) *القرآن الكريم*، سورة الجن، الآية 18.

(2) تركي رابح عمارة، "رسالة المسجد في المجتمع الإسلامي وكيف يمكن بعثها حتى يؤدي دوره الفعال في نهضة المسلمين المعاصرة"، ***حوليات جامعة الجزائر***، منشورات جامعة الجزائر،العدد01، 1987، ص 68.

(3) Laugier de Tassy , op . cit,p104.

(4) Thomas Shaw ,op. Cit, p 290.

(5) Venture de Paradis, op. cit,p 215.

(6) A. Devoulx, *les édifices religieux de l'ancien Alger, Adolphe Jourdon, Alger, 1870.*

(7) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 216 -217- 218- 219.

مكانة هذا المرفق في قلوب الرحالة المسلمين واهتمامهم به وانشغالهم لما يدور فيه ومساهماتهم في العديد من نشاطاته التي يقدمها لما ذكره محمد أبو راس في رحلته، إذ يلفت انتباهنا إلى مجموعة من العلماء الذين لقيهم وتجاذب الحديث معهم وحضر مجالسهم، وهذا الجامع من تشييد أبو تاشفين[1]. وهو الأمر الذي تكاد تتفق عليه المصادر والمراجع بأن هذا المسجد الجامع هو أحد المساجد الأثرية الثلاثة التي تنتمي في تاريخها إلى أزهى عصور الإسلام الذهبية الزاهرة في عهد دولة المرابطين، وهي بالجزائر، تلمسان و ندرومة [2].

كما يؤكد الزياني على هذا إذ يقول" بناه يوسف بن تاشفين أعوام الستين وأربعمائة للهجرة الموافقة لأواسط القرن الحادي عشر الميلادي"، و هذا الرحالة المغربي يحيلنا إلى مسجد آخر، وهو على حد قوله المسجد الجديد الذي أسسه حسن باشا بعد سفره إلى الحجاز حيث أنه صلى به الجمعة وعاود زيارته له بعد هذه الصلاة -يوم السبت – وتفقده لوحده وكتب فيه أبياتا وفي بانيه[3].

ونختار بعض الأبيات في مسجد كتشاوة" الجديد ":

طهر ثيابك وأحسن الوضوء ولا تنس التحية إن شاهـــدت أسراري
وامنن قبتي واقصد إلى قبلتـــي وسرح الطرف في رياضي وأزهاري

أما حسن باشا باني المسجد فقد قال فيه:

فمن يجود بما سطرت محتسبـــــا إلا التقي الزكي الأسد الضاري
حامي لواء الرسول المصطفى حسن فخر الملوك رعاه مولانا الباري

---

(1) محمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص 96 .

(2) عبد الرحمان الجيلالي، "الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا"، ***الأصالة***، العدد 08، ماي – جوان 1972، الجزائر، ص ص 114 – 115 .

A. Devoulx , "études archéologique et topographique" , in. ***R.A***. N 19 ,1875 ,p 524.

(3) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال ...، المرجع السابق، ص ص 185– 192 .

حقا إن المسجد الجامع من المكونات المعمارية الأساسية بالمدينة الإسلامية، واقتضت وظائفه المتعددة أن يكون مكانه وسط المدينة ليكون قريبا من كل موضع [1]. ولكن بعد تنامي عدد سكان مدينة الجزائر على فترات زمنية متتالية تطلب ذلك بناء عدّة مساجد جامعة، وعلى هذا الأساس كان في وسط مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م عدة مساجد جامعة منها: الجامع الجديد، جامع كتشاوة[2] والجامع الكبير، والمسافة بينهم ليست بعيدة خصوصا بين الجامع الجديد والجامع الأعظم، وهي موجودة حاليا في ساحة الشهداء .

ولا نود هنا أن نركز على تاريخ بناء كل مسجد، لأن هذا الأمر يطول وهي قضية تناولها عدة باحثين و مؤرخين منهم ألبرت دوفو[3]، بقدر ما نود أن نركز على مساجد المدينة في القرن 12هـ/18م سواء الكبيرة منها أوالصغيرة وكذا النشاطات والوظائف التي تقدمها. فقد تمّ إحصاء عدد كبير من البنايات الإسلامية وهي ثلاثة عشر مسجدا كبيرا ومائة وتسعة مسجد من الحجم الصغير، كما ذكرت 32 غرفة مخصصة للصلاة. وإذا ما عدنا إلى العدد الذي قدمه الرحالة الأوربيون فمن غير الممكن أن يضاف مسجد أو مسجدان فقط في المدينة في ظرف قرن أو أقل كمسجد جامع، وبالموازاة يضاف حوالي تسعة وخمسون مسجدا صغيرا فيصير العدد بذلك مئة وتسعة مسجد أي "59+50" وهذا بين رحلة دي تاسي ومجيء ألبرت دوفو.

وكما هو معروف فإن المساجد هي بيوت الله وأحبّ البقاع إليه حتى غدا المسلم يتفنن في بنائها ويتنافس فيها. فإن كان من الواجب على الدولة بناء المساجد الجامعة (الكبيرة) فإن الأفراد كانوا يقيمونها احتسابا للأجر والمغفرة باعتبارها صدقة جارية، ولهذا وجدت المساجد الكثيرة في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، والتي كانت تكتظ بالعلماء والمقرئين، كما تقام بها دروس ومحاضرات في العلم والفقه وأصول الدين وكذا السيرة والفتاوى والتفسير... وغيرها.

---

(1) عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 159.

(2) Kaddour , M'hamsadji , op. cit, p 132.

(3) A, Devoulx. "Les édifices religieux de l'ancien Alger ", in ***R.A*** N 7, 1863, pp 102 -113 et N 14, 1780, pp 167 –192 .

و يخبرنا ابن حمادوش عن ذلك لمّا حل الشيخ الورززي بمدينة الجزائر وألقى درسا في التفسير بمدرسة الجامع الكبير[1]، ويشير محمد أبو راس إلى العديد من العلماء الذين تعرّف عليهم بالجامع الكبير [2]، ولعلّ رحلته هذه دراسية لأنّ هذا الرحالة يذكر فيها طلبه للعلم، ولقاءه بأهل العلم [3]، ومنهم الفقيه المسمى الشيخ القاضي المفتي السيد محمد ابن جعدون، وأيضا الفقيه القاضي الشيخ محمد بن مالك وكذا مفتي الجزائر وخطيبها السيد الحاج علي بن الأمير، بالإضافة إلى أمجد النظار أحمد بن عمار، ناهيك عن الشيخ محمد بن الحفاف، وكلهم تناقشوا وتدارسوا فيما بينهم عدة مسائل منها ما كان في حضرة الجامع الأعظم[4].

أما ابن حمادوش فيؤكّد على قراءة صحيح البخاري وهي وظيفة كانت تؤدى بالجامع الكبير ابتدءا من شهر شعبان، فيخبرنا عن كل الأبواب التي كانت تقرأ أو بعض المملين أو المقرئين لها، ومن أمثال هؤلاء نذكر سيدي محمد بن سيدي الهادي ، سيدي أحمد العمالي، المفتي الحاج الزروق وسيديّ عبد الرحمان... كما تحيلنا رحلته إلى العديد من العلماء الذين كانوا بمدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، من أمثال ابن ميمون والمفتي ابن علي[5]... وغيرهما، وهذا ما لم يتحدث عنه الرحالة الأوربيون إطلاقا، لأنهم لم يدخلوا هذه المساجد في الغالب، كما أنهم لم يتعرفوا على علماء المدينة والنشاطات والوظائف التي يقومون بها، ومعظم رحلاتهم كانت بين السياسية والرسمية والسفارية، مع جمعها لعدة أغراض (دينية واقتصادية وعلمية وإدارية)[6]، إلا أنّهم لم يهتموا بأمور العلماء والمساجد مثلما اهتم بها الرحالة العرب، وإن قام الرحالة الأوربيون بذكر بعض الميزات الخارجية لمساجد المدينة، فقالوا عنها بأنها متقنة البناء وذات منارات وتظل مفتوحة طيلة اليوم لأداء الصلوات الخمس في النهار والليل وبواسطتها يمكن تقسيم اليوم

---

(1) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 263 .

(2) محمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص ص 91- 95.

(3) حسين نصار، المرجع السابق، ص 18 .

(4) محمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص ص 91- 95.

(5) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 216 – 217 – 218 – 219.

(6) حسين نصار، المرجع السابق، ص ص 18- 19.

فيقال ساعة آذان الصبح والظهر والعصر[1]... وغيرها، فإنهم لم يقدموا مميزاتها وخصائصها الداخلية، و كبرى مساجد مدينة الجزائر على مذهب الإمام مالك بن أنس، منها الجامع الكبير أين يوجد المجلس الشريف الذي يضم قاضيان ومفتيان يجتمعون يوم الخميس للحكم في المسائل الهامة التي لم تبث في المحكمة وكذا تقسيم المواريث، فالمسلمون يحاكمون في المسجد، وفي حالة وجود يهود أو مسيحيين فإن الحكم يكون في الصحن [2].

وهذا ما يؤكد على حرمة المسجد وهي عادة معمول بها من قبل ، واستمرت حتى أيام الاحتلال الفرنسي إذ لاحظها الرحالة الألماني موريتس فاغنر الذي عاش في الجزائر حوالي سنتين (1836– 1838)، وتحدث عن المحكمة الشرعية الإسلامية التي كانت تقع في أحد شوارع باب الواد الجانبية ويصفها فيقول بأن القاضي المالكي يمثل الجانب الدنيوي بالنسبة للمسلمين في حين أن المفتي الحنفي يمثل الجانب الديني... والقاضي المالكي يعقد جلسته في قاعة بسيطة تغطى أرضها بالزرابي. ويصف مساعدي وكتّاب القاضي... إلى أن يأتي على ذكر عدم إمكانية دخول النساء إلى قاعة المحكمة وإنما يتحدثن إلى القاضي من وراء قضبان نافذة الفناء[3].

وعلى هذا فلكل طائفة محكمة خاصة بها والباحث في تاريخ القضاء الجزائري أواخر العهد العثماني يجد بأنه كان يخضع لقاعدتين، الأولى هي قاعدة الاختصاص الشخصي، أي لكل طائفة محكمة مخصصة؛ (محاكم خاصة بالمذهب المالكي وثانية بالمذهب الحنفي وثالثة خاصة بالقنصليات الأجنبية والرابعة هي محاكم الأحبار الخاصة باليهود) [4]، وهذا بسبب التنوع العرقي و المذهبي الذي كان سائدا آنذاك ، كما ينم على حرية المعتقد والتقاضي لدى الجهة الخاصة أو المرغوب فيها، أما القاعدة الثانية وهي

---

(1) ج. أو.ها بنسترايت، المصدر السابق، ص ص 37 – 38 .

(2) Venture De paradis , op .cit, p 216.

(3) أبو العيد دودو، "*الحياة الاجتماعية* في مدينة الجزائر إبان الاحتلال" ، ***الأصالة***، العدد 08، ماي– جوان 1972، ص ص 38 – 39 .

(4) الأمير بوغدادة ، ***المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا)***، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008 ، ص 83 .

قاعدة الاختصاص المادي ومفادها أن المحاكم الإسلامية كانت تتفرع إلى فرعين حسب الدعوى. فالفرع الأول هي القضايا المدنية (بيع، شراء، إيجار، زواج، طلاق...) وتتولاها المحكمة الحنفية أو المالكية. أما الفرع الثاني فهي القضايا الجنائية والسياسية والتي تحال على الداي [1]، في حين يتولى الآغا النظر في القضايا العسكرية[2].

والمجلس الشريف- أو المجلس العلمي – كان بمثابة المجلس الأعلى أو المحكمة العليا في يومنا هذا لأنه كان يتولى الفصل في القضايا التي تحدث بين الهيئات الحكومية وموظفي الدولة من جهة وبين أفراد الرعية من جهة ثانية ، وكان يستعين في قراراته بأهل الخبرة ويطلب منهم معاينة وتفحص أمكنة القضايا المطروحة[3].

بالإضافة إلى احتوائه على جهاز تنفيذي ممثل في موفدين عسكريين وهم الباش يباشي، ويتلقى الأوامر مباشرة وينفذها بعد نهاية الجلسة[4]، أي تنفيذ الحكم يتم في اليوم نفسه[5]. ولكون الإشراف الكامل على إدارة الجامع الأعظم يعود إلى المفتي المالكي فقد كانت الأحكام توقّع من طرف القاضي المالكي في حين يضع القاضي الحنفي طابعه على وثيقة الحكم كما تؤكده وتبينه وثائق المحاكم الشرعية.

ونظرا للمكانة السامية التي كان يتمتع بها الجامع الأعظم بالمدينة ، فإنه كان يشرف على مجموعة من الأحباس بإدارة مستقلة تمثلت في مداخيل كراء الحمامات، الحوانيت، الفنادق، العيون، المقاهي، الديار، الجناين... وفيها حتى ما كان ملكا للنساء[6]. وهذا دلالة على مشاركة المرأة في القضايا الدينية والاجتماعية والاقتصادية واهتمامها بكل ما يدور في مدينتها وجامعها الأعظم، وبقدر ما كانت حياتها داخل بيتها كانت تطلعاتها أخروية لمساعدة من يحتاج إليها من مساكين وفقراء، وهي إحدى سمات التكافل

---

(1) الأمير بوغدادة، المرجع السابق، ص 83 .

(2) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 107 .

(3) الأمير بوغدادة، المرجع السابق، ص 93 .

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) ج. أو.هابنسترايت، المصدر السابق، ص 39 .

(6) عبد الجليل التميمي،المرجع السابق،ص11.

الاجتماعي الذي كان موجودا في مدينة الجزائر بإشراف علماء الجامع الأعظم، الذي لازال شامخا إلى اليوم يؤدي رسالته الدينية والتثقيفية والتعليمية.

وإذا خرجنا من المسجد فلا بد أن نرفع أعيننا لنرى المنارات التي بها عدة جدران، بالإضافة إلى القبب، وفي أوقات الصلاة يرفع الآذان من المنارات، ففي آذان الظهر يعلق فوق المنارة علم أبيض وبعد منتصف النهار (العصر) يعلق علم أخضر[1]، وتستعمل هذه الراية ذات اللونين حتى يشاهدها البعيد ويحدد الوقت في اليوم صبحا كان أم مساءا، وفي يوم الجمعة يحدث العكس؛ ترفع الرايات الخضراء، ثم تستبدل بالرايات البيضاء تمييزا له عن باقي الأيام ، وهذا للمكانة المقدسة لهذا اليوم عند المسلمين.

ولا بأس في هذا المقام أن نعدد بعض مساجد المدينة التي كانت منتشرة في ربوعها وحواليها، رغم أن الرحالة لم يذكروا إلا الكبيرة منها و لعلها كانت موجودة كلها في القرن 12هـ/18م(وهي مساجد حنفية ومالكية)[2] .

---

(1) ج.أو.هابنسترايت، المصدر السابق، ص 38 و Venture de paradis, *op*. cit, p 216

(2) A. Devoulx ,op .cit, pp 167- 192 et pp 102-113.

Kaddour, M'hamsadji, op. cit, pp 132-148.

و نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 154-164.

و عقيل نمير،"حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال مساجد الحنفية"، *مجلة دراسات إنسانية* (الوقف في الجزائر أثناء ق 18- 19) أعمال ندوة الجزائر 29 و30 ماي 2001، جمع وتقديم ناصر الدين سعيدوني، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الجزائر،ص ص 118 - 137 .

بعض المساجد المالكية والحنفية في مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م:

اسم المسجد	سنة بنائه	مشيده ، مكان تواجده وملاحظات أخرى.
1- الجامع الأعظم	حوالي 722هـ/ 723 هـ	- بناه يوسف بن تاشفين اللمتوني، يعتمد على المذهب المالكي، وهو مسجد جامع يوجد في (نهج باب الجزيرة).
2- الجامع الجديد	1070 هـ / 1660م	- يقع في بطحاء الحكومة أمام سوق الحواتين (الصيادين) "بالقرب من باب البحر". مخصص للطبقة الحاكمة العثمانية.
3- جامع كتشاوة	1021هـ / 1613م	- يقع في زنقة الديوان مقابل قصر الجنينة. - كجاوة: هضبة كانت ترعى بها الماعز، في سنة (1208هـ /1794م)، رممه حسن باشا، حولته فرنسا فيما بعد إلى كنيسة القديس فيليب.
4- جامع سفير	941هـ / 1534م	- يقع بحومة الجبل ، بني من طرف رجل مسيحي دخل الإسلام يجهل اسمه ، ويرجح أنه "سافر بن عبد الله".
5- جامع سيدي عبد الرحمان الثعالبي	1696	- يقع خارج أسوار المدينة في الجهة الغربية، بناه الداي الحاج أحمد ، فيه ضريح الولي دادة .
6- جامع الشبارلية	1201هـ/1786م-1787م	- بناه محمد خوجة وهو كاتب بالديوان .
7- مسجد علي باشا	1164هـ/1750م-1751م	- أنشئ من طرف علي باشا على زاوية سيدي لكحل.
8- مسجد ابن شلمون	1057هـ/ 1647م-1648 م	- يوجد في نهج باب الجديد أنشئ من طرف سيدي رمضان بن شلمون بالقرب من عين شاه حسين.
9-مسجد سيدي لكحل	1727- 1728	- يقع قرب الثكنة القديمة للإنكشارية في زاوية سيدي لكحل ، أنشئ من طرف سيدي لكحل (رجل دين).
10- مسجد قطاع الرجل	أنشئ في النصف الثاني من القرن السابع هجري	- يوجد بمكان قبور أولاد السلطان بالقرب من مسجد سيدي رمضان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

11- مسجد ابن شبانة	القرن7 هجري	- مسجد صغير يقع في طريق القصبة.
12- مسجد حومة السلاوي	1715 -1716	- يوجد بحومة "السلاوي"، ولعل التسمية من سلا بالمغرب الأقصى، أنشئ من طرف بحاراعتنق الإسلام.
13- جامع السيدة		- يوجد في بطحاء الحكومة أي الساحة أمام مقر الحكومة أو قصر الجنينة، بني من طرف ابنة مولاي الناصري ملك بجاية.
14- مسجد سيدي رمضان	959هـ / 1551م-1552م	- يوجد في طريق سيدي رمضان، و يقع في القصبة القديمة (يعتمد على المذهب المالكي).
15- جامع عبدي باشا	1725	- تم بناؤه من طرف عبدي باشا.
16- جامع البلاط	قبل 999هـ /1590-1591	- وهو جامع الأردواز.
17- مسجد سيدي عبدالعزيز بونخلة	القرن 7هـ	- هو عبارة عن مسجد صغير، ينسب إلى مؤسسه يوجد في طريق الإبل. - تهدم نهائيا سنة 1839.
18- مسجد حوانيت الزيان	حوالي1095هـ/1683م-1684 م (القرن7هـ)	- يوجد في طريق القصبة. - وفيه أيضا مسجد أحمد الجلبي ومسجد الباري.
19- مسجد القصبة البراني	1204 هـ/1654-1653 م	- وهو مسجد صغير مقابل باب القصبة الجديدة، أعاد ترميمه حسين باشا آخر دايات الجزائر.
20- جامع سيدي محمد الشريف الزهار		- هو مسجد على المذهب المالكي. - يقع في ملتقى الطرق بحي الجبل بقرب جامع سفير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

21- جامع سيدي بوقدور	أواسط القرن العاشر هجري / 16 م	- هو مسجد صغير للصلاة وأيضا مدرسة قرآنية. يقع بنهج كوشة الخندق في حومة الجبل.
22-جامع سيدي عبد الله		- يقع في النهج المسمى باسمه وهو عبارة عن مسجد صغير، كان قديما يدعى بمسجد سيدي شعيب ولعل عبد الله هذا كان وكيلا هناك.
23- جامع سيدي ابن علي	حوالي 1150هـ/ 1169هـ	- ينسب إلى الشيخ محمد بن محمد بن علي، وهو عالم جزائري شهير تولى الإفتاء في المدينة. يقع بنهج نفيسة بنت الداي حسين. (كان عبارة عن مدرسة قرآنية.)
24- جامع علي بيتشين	1622	- حولته فرنسا فيما بعد إلى كنيسة نوتردام.
25- جامع عبدي باشا	1136 هـ	- بناه السلطان عبدي باشا (القرن 18 م) وحولته فرنسا إلى كنيسة أثناء احتلالها لمدينة الجزائر

إن مساجد الصلوات الخمس تعددت في المدينة حتى عدت بالمئات، وحق لنا أن نسميها بمدينة المساجد أو المصليات، وهذه دلالة على قيمة هذا المرفق في حياة المسلم، واهتمامه به ليس للصلاة فحسب، بل لكل ما يتعلق بحياته في جميع جوانبها، فقد كان المسجد مكانا للعبادة والتعلم، كما كان لطرح القضايا والنظر في مشاكل الحي أو الحومة.

والمسجد هو محور حياة المنطقة التي أقيم فيها، كما للمساجد الكبرى الجامعة عظمة وهيبة لما لها من أسبقية في دراسة القضايا العامة التي تخص كل الدولة من جهة و الأفراد من جهة ثانية، وأنـــها كانت محط أنظار القريب والبعيد من البلد أو خارجه وهي تعكس مستوى الدولة والمجتمع نظرا لوظائفها والأعمال المنوطة بها والواجب تقديمها والنظر فيها ...حتى صلاة الجنائز على الدايات كانت تؤدى بالجامع الكبير كما يخبرنا ابن حمادوش أثناء وفاة إبراهيم باشا وذلك يوم الأربعاء الثالث والعشرون من شوال عام 1145 هـ الموافق للسادس من شهر نوفمبر عام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1732م[1]، وقرأ عليه ثلاثون رجلا كل منهم حزبين وإعادتهما في ساعته، أي ختم القرآن مرتين، وتم إعطاء كل واحد منهم ربع سلطاني ذهب، كما تم عتق امرأة سوداء كانت جالسة عند رأسه، وأقيمت صلاة الجنازة عليه في المسجد ومن ثم دفن بعد صلاة الظهر بمقبرة باب السوق [2].

وكان للمسجد الأعظم باب خاص بهذا الأمر يسمى باب الجنائز[3]، ومصلى لها يقع بشماله الشرقي وعموما فإن مساحة هذا المسجد هي نحو ألفي متر مربع وطوله يزيد قليلا عن عرضه، فالطول هو 48 مترا والعرض لا يزيد عن 40 مترا... ودعائمه تقوم على الحجارة والآجر المملوء، تغطيه طبقة من الجبس والجير، ويبلغ عدد دعائمه 72 سارية كلها قائمة الزوايا [4]، احتضنت حلقات العلم ودروس المعرفة، وبهذا المسجد كانت صلاة بعض دايات الجزائر مع ضيوفهم (باي تونس وحاكم تطوان سنة 1157هـ/1744م)، الذين صلوا جميعا أحدهم بإزاء الأخر وهم محمد باي التونسي والقائد عبد الواحد بن الباشا علي بن عبد الله الريفي [5]، وكان هذا نادرا ما يحدث.

ونحن بصدد ذكر كل هذا حتى نقف على الدور العظيم للمسجد الذي كانت وظائفه عديدة ومتنوعة بتنوع ما يطرح فيه من قضايا.

[1] ف. يستنفلد ، ***جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها***، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، د.س.ط، ص 100.

[2] عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 236.

[3] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 25.

[4] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 116 – 118.

[5] عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا)- مدارسها وزواياها :

لم تهتم حكومة الدايات في مدينة الجزائر بميدان التعليم ، بل تركته للرعية ولم تشجع على الثقافة ولم تهتم بدور التعليم [1]، وهذا ما أثر على المستوى العام لمجتمع المدينة. وإذا كان للكتاتيب والمدارس والزوايا دور هام في مجال التعليم والثقافة زيادة على المساجد، فإن الرحالة الأوربيين ركزوا على طريقة التدريس ونوعيته خصوصا في الكتّاب، وكانت لهم في هذا الشأن تعاليقهم الخاصة، وخير مثال على ما نقول ما ذكره الدكتور شو بأنّ الأهالي والأتراك لا يرسلون أبناءهم إلى المدرسة حتى يبلغوا زهاء ست سنوات فيتعلمون هناك القراءة والكتابة دون استعمال الورق الذي يعوض بلوح خشبي دقيق ومربع يطلى بطبقة خفيفة تسهل إزالة الحروف التي خطت عليه، وعندما يحرزون تقدما في تعلم القرآن الذي يدرس لهم أولا، و يتعلمون بعد ذلك جميع قواعد دينهم باهتمام بالغ، وهناك طريقة خاصة للاهتمام بالطفل الذي يختم القرآن حيث يلبسه والده لباسا بديعا ويركبه حصانا يجهز بفخامة ثم يقوده رفاقه عبر الشوارع محتفلين بنجاحه وختمه للقرآن ويغدق أصدقاؤه عليه بالهدايا وكذا عائلته فيبادرون إلى تهنئته، و أثناء تواجده بالمدرسة يتعلم حرفة ما أو يجند في إحدى فرق الجيش وفي هذه الحالة قليل هم الذين لا ينسون سريعا كل ما تعلموه[2].

وإذا كانت هذه هي طريقة تعلم القرآن وكيفية الاحتفال بحافظه ، فإنها تشبه إلى حد كبير الطرق المتبعة حاليا في المدارس القرآنية والزوايا، فمازالت تستعمل وسائل التعلم البسيطة من ألواح وقلم القصب والدواة ، ونجد دي تاسي لا يذكر هذا الأمر وهو ربما لا يثير اهتمامه، في حين أنّ دي بارادي اكتفى بذكر ثلاث جامعات في مدينة الجزائر أين يدرس مذهب الإمام مالك بن أنس[3] دون أن يزيد عن هذا، ولعله يقصد بالجامعات المدارس العليا دون الكتاتيب، وكما هو معروف أنها مدارس لم ترق إلى مستوى الزيتونة أو الأزهر أو القرويين وغيرهم... لكن الفرنسيين عندما دخلوا مدينة الجزائر أحصوا

(1) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 270 .

(2) Thomas Shaw, op. cit, p 78 بينما كاتكارت يذكر 04 مدارس عمومية، المصدر السابق، ص 98 .

(3) Venture de Paradis, op .cit, p 216.

حوالي اثنتا عشر مدرسة عليا وثمانون مدرسة ابتدائية (كتّاب) [1]، وربما تزيد عن هذا العدد بحكم أن الأهالي هم الذين انشغلوا بهذا الأمر و اهتموا به ، وأجر معلم المدرسة فلسان عن كل تلميذ أسبوعيا[2]، كما يتمتع المعلم باحترام كبير بسبب معرفته ومهنته المحترمة.

أما عن طريقة التعليم فتكون بالتلقين أي بإعادة التلاميذ بالإجماع الحرف أو الآية التي يمليها المعلم، وعقابه يكون للمتكاسلين بواسطة عصا يمسكها بيده[3]. وتحرص معظم الأسر في مدينة الجزائر على تحفيظ القرآن الكريم لأبنائها في حداثة سنهم، وحتى كاثكارت (الأسير الأمريكي) سجل ما شاهده في هذا السياق وأبدى دهشته لكن ليس من طريقة التعليم والحفظ، بل على جمال الخط حيث يقول:"... وبالنظر إلى أنهم لا يستهلكون الورق إطلاقا في عملية القراءة، قد يبدو لنا أنه من المستحيل أن يتعلم الطالب وأن يكتب خطا جميلا بهذه الطريقة، ولكن مما يدعو إلى التعجب والدهشة أنهم يكتبون خطا عربيا في غاية الجمال...."[4]، والذي رآه في مصاحف مكتوبة بالخط العربي والذي تتشرف به أعظم مكتبة في العالم على حد قوله، تأكيدا على نجاعة طريقة التعليم في الكتابة والاهتمام بها وكذا جمالية الخط العربي.

إن المدارس العمومية عبارة عن بنايات مربعة وتحتوي على غرف صغيرة للنوم وهي مفروشة بالحصير ومدعمة من المحسنين الذين يقدمون الإعانات والصدقات، ولولا هذا لكان الطلبة يعيشون في فقر مدقع، كما ينبئنا كاثكارت أيضا بأن أغلب الناس يعلمون أبناءهم في منازلهم، ويتولى هذه المهمة معلمون من رجال المدينة [5]، أي على شاكلة الدروس الخصوصية اليوم، حرصا منهم على تربية الأبناء على القرآن الكريم وكل ماله علاقة بالدين والشريعة الإسلامية، وقد تقتصر هذه الظاهرة على أسر دون أخرى لتفاوت المستوى المعيشي.

---

(1) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 272

(2) Thomas Shaw, op. cit , p 78 .

(3) ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 24.

(4) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص 98.

(5) المصدر نفسه، ص 99.

أما الرحالة العرب فوجدنا في مؤلفاتهم ما يؤكد على وجود هذا المرفق (المدرسة) والاهتمام به. فابن حمادوش نقل ابنه من مدرسة قرآنية إلى أخرى رغم ختمه للقرآن حيث يقول: "وفي يوم الأربعاء الرابع عشر منه (أي من يونيو) سنة (1157هـ) حولت ابني من مكتب العمالي إلى مكتب الشماعين والله الفتاح ، وكان بلغ قد سمع الله فأعاد من فاتحة الكتاب ..."[1]، وهي دلالة على الاهتمام بالقرآن وحفظه منذ الصغر، وكذا أسماء المدرستين (الكتّابين)، ولعل العمالي نسبة إلى أحد الشيوخ، والشماعين بسبب سوق الشمع، ونسجل أنه رغم ختمه للقرآن في الكتّاب الأول إلا أنه أعاد من الفاتحة في الكتّاب الثاني.

ويحدثنا ابن حمادوش مرة أخرى عن مدرسة الجامع الكبير حينما حضر الورززي و ألقى درسا للتفسير بها، وكان هذا في الرابع من شوال عام (1159هـ)[2]، ولعلها إحدى المدارس العليا (الجامعات) التي تحدث عنها دي بارادي تدرّس مذهب الإمام مالك بن أنس، والتي خصص لها زهاء تسعة عشر أستاذا وثمانية قراء وثمانية عشر مؤذنا وثلاثة وكلاء، وعددا كبيرا من العلماء يشغلون وظائف متعددة[3] ، وأحمد بن عمار صاحب الرحلة [4] كان من أشهر علماء مدرسة الجامع الكبير، أخرج منها العديد من التلاميذ والفقهاء والعلماء. وهذه أبيات في حق مفتي مدينة الجزائر وخطيبها وإمامها وعالمها من نظم محمد أبو راس الذي أعدّه من شيوخه.

العالم العلـم الذي أحيا لنا ما قد أمات الدهر من نعمائه.
لعب بأطراف الكلام لسانه والفضل موقوف على تبيانه.
فامنح إليه السمع عن حديثه تسمع فصيح القول من سبحاته.

---

(1) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 121. (1157 هـ الموافق لـ (1744م) جمادى الأولى ف. يستنفلد، المرجع السابق، ص ص 102 – 103.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر نفسه، ص 263.

(3) عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 127.

A. Devoulx," Alger études..." ,op. cit, p 32.

وعبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 272 – 273 .

(4) أحمد بن عمار، *نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب*، مطبعة فونتانة، 1906. (موجودة بأرشيف قسنطينة تحت رقم 36).

إلى أن يقول:

فالعلم أنت اليوم خائض بحره والشعر أنت اليوم رب عنانه.

لا زلت ذا شرف وعز باذج يضفي عليه الدهر ظل أمانته[(1)].

فإن كان هذا عن عالم واحد، فما بالك بثلة كبيرة من العلماء قد ذكرهم صاحب فتح الإله ومنهم القاضي محمد بن جعدون، الذي أفاده بعض الفوائد ونال منه العوائد الروائد، وكان للفقه مشمرا وفي السن معمرا وقال بأن طلبة مدينة الجزائر كلهم تلامذته وبنوه وحفدته [(2)]، وكان قد توفي في هذا القرن على ما يبدو – أي القرن الثامن عشر، الأمر الذي يفسر معايشة الرحالة لحالة العلم في المدينة واهتمامه بأمور العلماء، وهذا ما هو متعلق بشخصه و ميوله واختصاصاته، وهي إلى حد كبير أمور ثقافية [(3)]، شأنه في ذلك شأن ابن حمادوش الذي يتحدث عن الشيوخ والعلماء والكتب، وحلقات العلم وتأليفه في علوم شتى[(4)].

لا زالت الذاكرة الشعبية – خصوصا – في مدينة الجزائر تحتفظ باسم "المسيد" أي المدرسة الصغيرة، وجاءت في بعض وثائق الحالة الشرعية نفس التسمية. وسميت الحومات بأسماء المسيد الموجود فيها مثل حومة مسيد "الدالية" وحومة مسيد "الغولة"[(5)]. لأن معهد التعليم الابتدائي عند الحضر في المدن يسمى مسيدا أو مكتبا (أو كتابا)، كما ورد في مصادر الرحلة العربية (لسان المقال خصوصا).

فكلمة مسيد تحريف بربري لكلمة "مسجد"، وتمييزا لها لتباين هدف كل من المسجد الذي هو للصلاة و المسيد الذي هو للتعلم، ويوجد في الغالب قرب الجامع أو هو جزء منه، كما نجده أيضا في كل حي تقريبا من أحياء المدينة، ويكون في الغالب لكل خمسين بيتا مسيدا واحدا، حتى تسهل عملية ذهاب وإياب الطفل إليه ومنه فلا تبعد المسافة

---

(1) محمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص 48.

(2) المصدر نفسه ، ص 49 .

(3) حسين نصار، المرجع السابق ، ص 110.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 120- 160- 216- 250 ... وغيرها.

(5) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 319.

ولا تشق عليه، ويكون أيضا في حماية بقال الحي وفرانه وشيخه، ويكون هذا المسيد مستعليا عند نهاية الشارع أحيانا أو في تقاطع الطرقات ومن وراء ذلك أهداف معنوية، منها تميزه بالعلوّ لرفعه القرآن الكريم نفسه، ومادية أيضا للابتعاد عن ضوضاء الطريق، فالطفل في هذا المكان في حماية صحية وأخلاقية [1]، مما يهيئه أكثر للاستيعاب والحفظ وإدراك قيمة ما يقدم له وما هو بصدد عمله. كما يظهر جليا اهتمام الرعية أيضا بهذا المرفق وإدراك قيمته.

لقد كان التعليم في المسيد على حسب السن، و الشيخ هو الذي يقوم بمهمة التعليم، ومنهم من يسميه بالمؤدب، حيث يعلم الطلبة القراءة والكتابة و الحساب، ويعتمد على التكرار للاستيعاب وقراءة أحزاب من القرآن الكريم وبعض العادات والتقاليد الإسلامية وكذا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وهناك فرق بين المبتدئين، فالإلقاء قد يكون شفهيا ويراقب الشيخ مدى قدرة استيعاب الطالب عن طريق الإلقاء الصحيح لسور وآيات القران، بينما تقدم الدروس الخصوصية للطلبة المتقدمين في السن وتوجه لمستويات مختلفة منها ما في اللغة، النحو، الصرف من الآجرومية (لابن الآجروم) وكذلك الفقه، المرشد المعين لابن عاشر، الأخلاق والحساب، الجغرافيا، التاريخ، العلوم الطبيعية، وأشعار تربوية وأناشيد دينية ، إلا أن طابع التعليم يغلب عليه الحفظ (مواد التذكر) وفي النهاية تقدم له إجازة من طرف كبار الشيوخ وبذلك تصبح له صفة الأديب و الفقيه[2].

إن إقدامنا على ذكر هذه التفاصيل التي تغافل عنها الرحالة الأوربيون خصوصا لنبين عدم تعمقها وإدراكها لما كان يدور في هذه المدارس و الكتاتيب وعدم إتقانها للغة العربية، وعموما يكون حكمها على ظاهر الأشياء إن تعلق الأمر بأمور الدين وما لحق به، لأن مناهج الحياة وطرائق التفكير للشعبين مختلفة (العربي الإسلامي والأوربي المسيحي) فكل ما يتمسك به العربي يكاد يحتقره الأوروبي وكل ما يهتم به هذا الأخير أيضا يكاد يرفضه العربي[3]، ومما لا شك فيه أن طريقة التعليم في مدينة الجزائر في

---

(1) عثمان الكعاك، *محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، من القرن 16 إلى القرن 19*، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية، 1985، ص 28.

(2) Kaddour M'hamsadji, op. cit, pp154-155.

(3) عبد الله ركيبي، *الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز*، ج1 ، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ص 122.

القرن 12هـ/18م كانت تختلف تماما عن التعليم في البلدان الأوربية التي عرفت الثورة الصناعية ، فقد استعملت وسائل بسيطة جدا في التعليم منها المحاية و الطفالة أمام كل مسيد[1] ، ومن أسماء هذا الأخير نذكر أيضا: (مسيد الشيخ داود، مسيد بوعشبة، مسيد المدفع...) [2]، بالإضافة إلى ما تقدم ذكره كمسيد الغولة و مسيد الدالية.

أما عن الزوايا التي سجلت حضورها في مدينة الجزائر خلال القرن12هـ/18م، فنذكر منها : زاوية القاضي بباب عزون، زاوية الكشاش بباب الجزيرة، زاوية الجامع الكبير، زاوية الأندلس بنهج السمن، زاوية كتشاوة بنهج العقاب، زاوية الجمعة بنهج سوق الجمعة...وأغلب هذه الزوايا أسست على أضرحة وقبور[3]، وهي تعتبر مزارات وخاصة منها أضرحة المرابطين التي تتخذ مكانا للعبادة ، ويكون الجناة في مأمن عند احتمائهم بأحد المساجد أو الأضرحة، وحتى بعض الحومات أخذت أسماء الزوايا والأضرحة شأنها شأن المدارس والمساجد التي أسست لتعليم المجتمع وإشاعة روح الثقافة والتفقه في الدين، وإن كانت لا تخلو من بعض الخرافات إلا أنها ساهمت بطريقة أو بأخرى في عدة مجالات ثقافية، تربوية ودينية وحتى اجتماعية ، وليس أدل على هذا الحديث أن الأتراك أنفسهم احترموا هؤلاء المرابطين وأصبحوا يقدمون لهم أكبر الامتيازات وأثمنها حتى غدت أضرحتهم وأماكن سكناهم بعد الموت مقدسة، كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها ، **وهذا ما ساهم في إعطاء هذه الأضرحة و الزوايا قيمة خاصة[4].**

---

(1) المحاية هي جفنه من غفار تمحى فيها الألواح، بينما الطفالة هي جفينة مملوءة بالطفل المبلول تطلى بها الألواح الممحوة ويجفف طلاؤها في الشمس للكتابة عليها من جديد بأقلام القصب. عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 28 .

(2) Kaddour M'hamsadji , op. cit, p 132.

(3) مثل ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي الذي أصبح مزارا، ويختم عنده صحيح البخاري.عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 122 ومحمد بن عبد الوهاب المكناسي، المصدر السابق، ص 330.

(4)حمدان بن عثمان خوجة، *المرآة*، ط2، تقديم وتعليق وتحقيق محمد العربي الزبيري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 111 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا)- شبكة المياه في المدينة :

بحكم أن الماء هو الحياة و الإنسان يحتاج إليه في معظم نشاطاته وحياته اليومية، وأولى حضارات الإنسان قامت حول المياه أو قريبة منها فإنه غدا شرطا من شروط تأسيس المدن، أي بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثرة فإن وجوده قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء فهي ضرورة ليكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة[1].

ولعل معظم المدن العربية الإسلامية أوغيرها قامت على هذا الأساس وروعي فيها تواجد الماء سواء داخلها أو قريبا منها[2]، ونظرا للأهمية القصوى التي يتمتع بها الماء، فقد ورد ذكره عند الرحالة العرب و الأوروبيين بخصوص مدينة الجزائر، فابن حمادوش الطبيب الرحالة كما يسميه أبو القاسم سعد الله[3]، ينبئنا بأنه رأى ميزان ماء ورسم شكله، كما يذكر بأن ماء " الحامة" وماء " تالاملي" من أعدل مياه مدينة الجزائر، وبعدها يشرح كيفية عمل هذا الجهاز أي جهاز الماء وأنه من أغرب ما رأى[4]، في مدينة الجزائر ولولا غرابته في هذا الشأن لما صرح هو بذلك ولما دونه في رحلته لأن كثيرا ما يدون الرحالة غرائب الأمور التي تقع عليها عينه وتشد ناظره.

وقد أحالنا ابن المدينة (ابن حمادوش) إلى جهتين كانت المدينة تتزود منهما بالماء الأولى جهة الحامة والثانية جهة تيليملي وهي اليوم تنطق هكذا، ومن المحتمل أنها توجد

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 363

(2) مصطفى عباس الموسوي، ***العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية***، المكتبة الوطنية، بغداد، 1982، ص302.

وعبد الجبار ناجي ،**أهمية دراسة المدن العربية الإسلامية، ط1**، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، 2000، ص 122.

(3)أبو القاسم سعد الله، **الطبيب الرحالة...**، المرجع السابق، صفحات متفرقة.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 219- 218 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جهات أخرى وعيون عديدة منها عين الربط التي ذكرها ابن رقية الجديري في تأليفه[1]، وأيضا الرحالة محمد أبو راس[2] دون زيادة أو نقصان في ذلك.

فإذا كان الرحالة العرب قد أهملوا تماما شبكة مياه المدينة بتفاصيلها، والحديث عنها كانت مذكورة عند الرحالة الأوروبيين التي استحسنت من طرف البعض واستهجنت من طرف آخرين، فهذا دي تاسي قد أبدى رأيه بعدم وجود الماء العذب في المدينة، وكل منزل لديه صهريج أو خزان، وذلك راجع إلى قلة التساقط (المطر). وفي مرات عديدة يكون السكان مجبرين على الذهاب إلى الضواحي للبحث عن المياه وملء خزاناتهم[3].

ويكمل حديثه إذ يقول وفي سنة 1611عثر على منبع ماء على هضبة قريبة من حصن الإمبراطور وهي لا تبعد إلا بربع ميل عن المدينة، وهذا الموري طرح قضية إيصال الماء إلى مدينة الجزائر على الداي[4]، ويؤكد على أن المشروع نفذ وتم ربط المدينة بشبكة من القنوات والأنابيب انطلاقا من هذا المنبع (العين) المكتشف والذي يغذي أكثر من مائة عين مصنوعة في المدينة وضواحيها، وكل الأنابيب توصل إلى خزان أوصهريج في المرفأ يستعمله عمال السفن، و الماء الذي يضيع أيضا يلتقي مع قنوات صرف المياه ويصب هو الآخر في البحر، مما ينتج عنه روائح كريهة خصوصا أثناء الحرارة. كما لاحظ دي تاسي وجود إناء مربوط في العين لتزويد المارين بالماء وتسهيل عملية الشرب والاستعمال، وفي حالة وجود طوابير فإن كل شخص ينتظر دوره، ما عدا الأتراك الذين لهم الأسبقية على الآخرين، واليهود يبقون هم في الأخير أي عندما يأخذ الموريون والعبيد حاجتهم من الماء[5].

ولا نعلم من أين لدي تاسي بهذه المعلومات وحيث أنه كان في مدينة الجزائر في الربع الأول من القرن الثامن عشر (1718)، لكن من المحتمل أنها رويت له من طرف معارفه، أو قرأها من بعض المؤلفات التي كتبت عن المدينة في القرن السابع عشر

(1) الجديري بن رقية، المصدر السابق، ص 27.

(2) محمد أبو راس، **عجائب الأسفار...**، المصدر السابق، ص 142.

(3) Laugier de Tassy, op. cit, pp 100 – 101 .

(4) Laugier de Tassy, op. cit, p 101.

(5) Ibid, p101.

أو قبله، والأهم من هذا أن سلطات المدينة كان شغلها الشاغل هو التزود بالماء وإيصاله إلى السكان وإنشاء القنوات والجسور لهذا الغرض، ولازالت في بعض الأماكن ظاهرة ربط الإناء بالحنفية أو الحائط موجودة إلى اليوم، أما عن الطوابير فهي تنبئ بأن المساكن لم تكن بها حنفيات، بل كانت توجد في الأحياء، وإذا سلمنا بالعدد السكاني للمدينة الذي ذكره دي تاسي نفسه فإنه لألف ساكن حنفية. أما الدكتور شو فقد جاء بنفس الفكرة ونفس المعلومات[1]، دون ذكره للطوابير وأسبقية الأتراك على الآخرين، ولذلك نرجح عدم حدوثها في كل مرات التزود بالماء من طرف ساكني المدينة. كما أن التأكيد على مصدر (منبع الماء) ومصبه (عند البحر) له دلالة أمنية وتخطيط عسكري مبيّت مسبقا لمعرفة نقاط قوة المدينة في مصادر مياهها خصوصا.

لقد كان للأتراك دور فعال في إيصال الماء للمدينة وإقامة العديد من العيون (100 عين) وترميم القديم، لأن الحاج أحمد الشريف الزهار الذي عاش في الفترة المعنية بالدراسة (القرن12هـ/18م) يذكر في مذكراته العمل الجبار الذي قام به محمد بن عثمان باشا الذي أتى بماء الحامة للبلاد وبنى له ساقية وأوقف عليه أوقافا لخدمة مجرى الماء إن فسد ولأجرة وكيل الماء وأمر بتفريقه على الأبراج وباب الجهاد وعلى المساجد و القشل العسكرية و الميضات للوضوء وما بقي فرقه على العيون بزقاق البلاد حيث يملأ منه الناس للديار[2].

وهذا ما يؤكد ما ذكرناه سابقا بأن العيون لم تكن داخل المنازل، وقد اشتركت مجموعة منازل – حومة- في عين معينة وما عوض هذا النقص هو وجود خزانات وصهاريج في كل بيت من بيوت المدينة أو أغلبها، وهذا ما ركز عليه الرحالة الأوروبيون حيث كتبوا عن كل ما وقعت عليه أعينهم إلا أنهم أرجعوا سبب وجود الخزانات في الدور إلى قلة التساقط، لكن هذا قلما يحدث ولأن المدينة منطقة زلزالية ومعرضة للحصار و القصف من طرف الأساطيل الأوروبية فقد روعي فيها هذا

---

(1) Thomas Shaw, op. cit,p292.

(2) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 24.

الجانب[1]، وصارت هندسة بناء الصهاريج والخزانات ثقافة عمرانية داخل هذه المدينة وداخل منازلها، فإن لم تكن تستعمل للشرب فهي تستعمل للتنظيف والتطهير، وقدّر عدد الصهاريج بعد مضي القرن 12هـ/18م بألف ومائة (1100) صهريج لألفي منزل وسعة كل صهريج 70 م^3 [2].

وقد يفوق عدد العيون في المدينة المائة عكس ما ذكره الرحالة الأوروبيون، باعتبار أن إنشاء العيون لعابري السبيل أو لسقاية المارة صدقة جارية فإن هذا يوجب أمر التنافس في البناء و التشييد لهذا المرفق.

وحتى قضية عذوبة مياه المدينة قد نوه بها كل من " دي لاماي" في مذكراته[3] ، وكاثكارت أيام أسره الذي يؤكد على وجود أنابيب تدخل إلى قصر الداي يجري فيها الماء وهو أعذب وأجمل ما في العالم من مياه[4] ، ومن الأدلة الهامة التي تبرز انشغال السلطة والناس بشأن المياه هو وجود مصلحة خاصة على رأسها موظف يسمى قائد العيون أو خوجة العيون، وهو الحارس عليها لئلا يكون التبذير، كما يهتم بجميع المنشآت المائية من سواقي وقنوات ويرعى الأوقاف المحبوسة والمخصصة للأنفاق على صيانة العيون العامة[5].

وهناك مجموعة عيون وردت بأسمائها في الوثائق التي تدل على تحبيس بعض الأملاك لهذا الغرض منها نذكر: عين شاه وهي في بعض الأحيان عين الشيخ حسين، عين مراد قورصو، عين الربط السالفة الذكر، عين سخونة، عين علج علي، علي، عين الحمراء، عين الجديدة، عين العطش... وغيرها[6]. وقد وقفت على آثار عين علج علي

---

(1) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 75.

(2) مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال...** ، المرجع السابق، ص 10.

(3) M. Emirit, " Alger en 1800 d'après les mémoires inédits De La Maye ", *Revue d'histoire magrébine,* 1974. p 175.

(4) وليم كاثكارت، المصدر السابق، ص 93.

(5) ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص 233. و نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 131.

(6) عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 25.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهي موجودة إلى اليوم. لقد شهدت الفترة العثمانية كثرة العيون وبناؤها لم يتوقف يوما حتى غدت أثناء **الاحتلال** مائة وخمسون عينا فكانت منها الفنية ومنها البسيطة ، فالأولى استفادت من هندسة راقية ومواد ثمينة، ومن الأسماء التي ذاع صيتها أيضا في هذا المجال بابا علي النقسيس (1168هـ-1179هـ/ 1754م- 1765م) ، الذي أقام لوحده حوالي اثنتاعشر عينا داخل مدينة الجزائر وخارجها وكان لمعظمها بطاقة فنية تعرف بها وبمشيدها، وأخرى كتب عليها: "هذا عمل جميل من طيبات الجنة"، وهناك عين أخرى شيدت عام 1115هـ/ 1703م نقش عليها ما يلي: "والذي أجرى هذه الماء بعون الله سينال على كل قطرة مائة ألف ثواب"[1].

وبقدر ما وجدت العيون في المدينة و أزقتها، فقد وجدت أيضا في ضواحيها وعلى أطرافها و كذا على جانبي الطرق المؤدية إليها ومنها عين بئر خادم [2]. وكذا بئر طرارية ومنها ما تم إيصالها مباشرة إلى المدينة عبر قنوات قبل القرن 12هـ/18م وأثناءه، ومنها ما ورد اسمها في مصادر الرحلة وهي:

أ- قناة تيلملي ويرجع عهدها إلى957هـ/ 1550م، طولها 3800 متر، تنطلق من منطقة مصطفى العليا لتصل إلى الباب الجديد جنوب العاصمة[3]، ولعلها هي التي حملت المياه العذبة التي حدثنا عنها ابن حمادوش.

ب - قناة بئر طرارية طولها حوالي 1700م، تم بناؤها في القرن السادس عشر (981هـ/ 1573م)، وتبعد عن المدينة بميل ونصف وتوجد غرب باب الواد وتدخل المدينة من جهة هذا الباب.

جـ - قناة الحامة تم إنجازها عام (1020هـ/ 1611م) - كما ذكر دي تاسي- مؤسسها هو المهندس "اسطى موسى" وطولها 4300 م تصل المدينة عبر باب عزون. وهذه القنوات الثلاثة كانت تغذي سكان المدينة يوميا بحوالي مليون ونصف مليون لتر

---

(1) مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال ...**، المرجع السابق، ص 14.

(2) ليسور و ويلد، المصدر السابق،ص34.

(3) مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال ...**، المرجع السابق، ص 14.

يوميا في مطلع القرن الثامن عشر. ولعل هذه الأخيرة هي التي ذكرها ابن حمادوش أيضا، كما أنها ذات مياه عذبة.

د - قناة الزبوجة ترجع إلى القرن 12هـ/18م وطولها بين (5000 م و 9000م) وتجمع مياه هضبة بن عكنون[1]. والمتتبع لقنوات المياه أنها كانت تدخل المدينة من جهة أبوابها أيضا، ومما لا شك فيه فقد ساعد موقع الجزائر على سفح الجبل من إقامة هذه القنوات كما سهل عملية سير الماء[2]، خصوصا من أعالي المدينة إلى المرفأ والخليج أين أقيم خزان آخر ليتزود منه رجال البحرية ورمي مياه قنوات الصرف الصحي في البحر المتوسط.

وقد أخبرنا دي بارادي عن "خوجة العيون" الذي قلما يتغير، وهي وظيفة قليلة الأرباح كما أنه لا يستطيع أي شخص أن يدخل الماء لمنزله إلا إذا كان من رجال السلطة، وبذل مساعي طائلة وأنفق مالا كثيرا لأن معظم العيون عمومية وهو يوزع على الحارات وما يستطيع أن يحصل عليه صاحب الجاه هو وضع عين عمومية تكون قريبة من سكنه[3].

ويكون هذا الخوجة في عمله تحت إشراف شيخ البلد[4]. و الأمر المهم الذي تجدر الإشارة إليه أن مدينة الجزائر لم تكن تحدث فيها أزمة مياه إلا نادرا فهي تتزود من العيون القريبة والموصلة لها بالقنوات، كما وجدت الصهاريج والآبار في أغلب دورها، كما سبق ذكره[5]. هذا بالإضافة إلى وجود حشود من السقائين ينقلون الماء صباحا ومساءا من العيون إلى المنازل، ومن الحقول القريبة إلى المدينة، كما كانوا يجوبون

---

(1) مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال ....**، المرجع السابق ، ص 12.

لقد تحصلت على مقالة من عند زميل لي عنوانها "مشاكل المياه بالجزائر العاصمة في العهد العثماني، للدكتور بلحميسي.

(2) عبد القادر حليمي، " أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر"، ***الأصالة***، العدد 06، السنة الأولى، جانفي، 1972، ص ص 80-81.

(3) Venture de Paradis, op. cit, p 261.

(4) مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص ص 138-142.

André Raymond, ***Grande villes arabes à l'époque ottomane***, la bibliothèque arabe, édition sindbad, paris, 1985, p 166.

(5) حماش خليفة، المرجع السابق، ص 485.

الشوارع والأزقة والمساكن و ينادون بصوت عال "من يحتاج إلى الماء؟ " وكانت بعض العيون أماكن للاستراحة والفضفضة، كما عرفت الجزائر ظاهرة "ماء السبيل" وهو أن يقوم شخص بشراء ماء القراب ويوزعه على المارة[1].

ولقد نشرت جريدة الخبر مقالا بعنوان: **"نظام للسقي بفيلا عبد اللطيف بالعاصمة"** يعود تاريخه إلى العهد العثماني لا يزال على حالته، وهو يشبه إلى حد كبير نظام السقي المعروف في الجنوب بالفوقارة [2].

[1] **مولاي بلحميسي، مدينة الجزائر من خلال ...، المرجع السابق، ص16.**

[2] بن زيطة، "نظام السقي بفيلا عبد اللطيف في العاصمة يعود تاريخه إلى العهد العثماني" ، **جريدة *الخبر***، الاثنين 2008/04/14 الموافق لـ 18 ربيع الأول 1429.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومما تقدم نخلص إلى النتائج التالية:

1- تنوعت الأسواق وتعددت من أبواب المدينة وحواليها إلى مركزها وحوماتها، حتى غدت تسمى في بعض الأحيان بالسويقات، أما السوق الكبير فكان في أكبر شارع في المدينة واصطفت حوله الحوانيت، وعادة ما يسمى السوق باسم السلع، وكانت هذه الأسواق تحت رقابة الحكومة بواسطة جهاز دقيق من أهم أعضائه المحتسب وأمين الأمناء... لكن سجلنا سكوت الرحالة العرب عن ذكر أوصاف الأسواق داخل مدينة الجزائر وعوضها الرحالة الأوروبيون بذكر مميزات وخصائص الأسواق، وهذا ربما لانفرادها عن أسواق مدن أوربا وكذا اهتمام الرحالة الأوروبيون وتسجيلهم لكل ما هو غريب عنهم وعن تقاليدهم.

2- مما دلّ على وجود حركة اقتصادية نشطة إلى حد ما، وجود الفنادق باعتبارها مراكز تجارية وكذا سكنية حيث أنها فاقت الأربعة حسب ما ذكره الرحالة الأوربيون، كما كانت أيضا محل إقامة لبعض الانكشاريين وعادة ما يأخذ الفندق اسم السلعة التي تباع فيه، أو اسم مالكه الذي أنشأه أو اشتراه ، وحتى المكان الذي أقيم به. وكان لهذه الفنادق دور اقتصادي واجتماعي ، وبعضها مراكز أسواق الجملة تغافل أيضا عن ذكرها الرحالة العرب لأن ابن حمادوش ابن المدينة وساكنها والزياني وأبا راس أقاما عند بعض علماء المدينة وضيّفوهما، وحتى وإن كان الرحالة المغربي الزياني قد سكن بعضا منها إلا أنها لا تشد انتباهه، وهذا ربما لتعوده على مثلها وفي عدة مدن إسلامية كان قد حل بها، وقد أتى بعض الرحالة الأوربيون على ذكر تفاصيلها وهذا راجع أيضا إلى الاختلاف المسجل بين الأوروبيين والمسلمين في هذا الجانب.

3- شغلت الحمامات اهتمام بعض الرحالة الأوروبيين فذكروا أقسامها – غرفها- ولم يتغاضوا عن ذكرعددها المعتبر، ونظافتها اللامتناهية، بالإضافة إلى تسجيلهم إلى

هندسة بنائها، وانقسامها بين عامة وخاصة، بخارية وعمومية وطريقة الاستحمام والتقاليد المتبعة في هذا الشأن وأغفلوا ذكر أدوارها الأخرى، وكذا طريقة تسخين المياه التي تنم عن ثقافة عالية في هذا الجانب واهتمام الجزائريين ومرتاديها بالنظافة والصحة، وتناس الرحالة العرب هذا المرفق، ربما لأن معظمهم كان يكتب لأغراض سامية علمية ودينية وليس للعامة، ولم يأتوا على ذكر حتى أوصافها الهندسية والتقاليد لأنها كانت عندهم مألوفة.

4- من المرافق التي احتلت حيزا كبيرا عند الرحالة العرب خصوصا "المسجد" هذا الأخير الذي يحتل مكانه في قلوب المسلمين وبالأخص العلماء باعتباره بيت الله، فقد وردت أسماء عدة لمساجد منها الجامع الأعظم (الكبير)، جامع كتشاوة. ونوهت بالأدوار التي كان يقدمها هذا المرفق من نشاطات علمية وثقافية وتربوية واجتماعية، كان يشرف عليها مجموعة علماء، قراء، مفتين وموظفين تواجدوا فيها حينها، فإن قلل الرحالة الأوروبيون عدد مساجد المدينة سواء الجامعة أو الصغيرة فقد قدموا بعض أوصافها الخارجية وربما هذا يعود إلى عدم دخولهم إلى هذا المرفق (المسجد) وعدم معرفتهم وإدراكهم لنشاطاته ووظائفه المتعددة، ماعدا تلك المحكمة الشرعية التي كانت تعقد بالجامع الأعظم، وكل هذا لديه تفاسير عدة أهمها أن أصحاب الرحلة دونوا ما شاهدوا وعلقوا على ما رأوا وفق مرجعياتهم، وطريقة تعليق الرايات البيضاء والخضراء على المنارات وتنظيم الوقت بالصلاة. ولقد ساهم المسجد في سير الحياة في المدينة وتنظيمها في مختلف جوانبها، ولولا أهميته لما تفنن الرحالة العرب في وصفه مثل ما قدمه الزياني عن جامع كتشاوة على حساب الأسواق والحمامات. وعادة ما أخذ المسجد اسم مشيده أو مكان تواجده.

5- ذكر الرحالة الأوروبيون ثلاث جامعات أو مدارس عليا ولكنها لم ترق إلى مستوى الزيتونة أو الأزهر ولكن في حقيقة الأمر وجدت حوالي اثنتا عشر مدرسة عليا، ناهيك عن الكتاتيب والزوايا المنتشرة في ربوع المدينة وسجلت دهشتها لطريقة التعلم بالألواح الخشبية وقلم القصب وغيرها من الوسائل، بالإضافة إلى طريقة الاحتفال بختم القرآن عند الأطفال لأنها من غرائب الأمور عندهم، وكل هذا لم يذكره الرحالة العرب عدا اهتمامهم

بتعلم أبنائهم القرآن وحفظه كاملا كما ذكر ابن حمادوش، وسجل الرحالة حلقات العلم والتدريس في المساجد والمدارس لاهتمامهم بهذا الشأن واختصاصاتهم فيه، وابتعاد اصحاب الرحلة الأوروبية عن تقييد كل ماله علاقة بالعلماء.

6- إن سكوت مصادر الرحلة العربية عن شبكة المياه ليس إهمالا لها، فقد ذكرت بأن الماء العذب في مدينة الجزائر هو ماء تمليلي وماء الحامة بالإضافة إلى ذكر تلك العيون المتناثرة في المدينة أو حواليها. وجاءت مصادر الرحلة الأوروبية لتعوض هذا النقص، فهي التي تحدثت عن شبكة المياه ونوعيتها التي انقسم رأيهم فيها بين مستحسن ومستهجن، وسجلت كل ما له علاقة بالماء في المدينة وحتى قنوات صرف المياه، إن العيون لم تكن موجودة في المنازل والبيوت، سوى في المقرات الرسمية وقصر الداي وهذا ما عوض بإنشاء الخزانات والآبار حتى غدت ثقافة عمرانية في مجتمع مدينة الجزائر كما نوهت بعمل خوجة العيون، وقلما كانت تحتاج المدينة إلى الماء إلا في أوقات الزلازل، التي قد تخرب هذه الشبكة وتؤثر على العيون ومصادرها. كما أن اهتمام مصادر الرحلة الأوربية بهذا الأمر- المياه في المدينة – بغية تقديم نقاط قوة المدينة في مصادر مياهها التي تستعمل في عملية الحصار أو السيطرة على هذه المصادر أو قصفها، فهي معلومات لخدمة عسكرية إلى حد كبير.

الفصل الرابع: مجتمع مدينة الجزائر

في القرن 12هـ/18م

أولا: عدد سكان مدينة الجزائر

ثانيا: سكان مدينة الجزائر بين الأصول العرقية و الفئات الاجتماعية

ثالثا: اللغة المتداولة في مدينة الجزائر

رابعا: عادات وتقاليد مدينة الجزائر (الاحتفالات، الزواج، الختان، الزيارات و الألبسة...)

خامسا: الأحوال الصحية لمجتمع مدينة الجزائر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل:

لكل مدينة مجتمع يعيش فيها يضفى عليها طابعا يميزها عن باقي المدن، وفي مجالات عديدة. ومدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م تعددت فيها الفئات الاجتماعية من أصول عرقية مختلفة، الأمر الذي انعكس على اللغة المتداولة فيها. وقد أثر هذا التنوع العرقي على العادات والتقاليد فتنوعت هي الأخرى في مجتمع مدينة الجزائر واختلفت من فئة إلى أخرى حتى غدا لكل فئة عاداتها وتقاليدها الخاصة بها.

وقد تأثر مجتمع المدينة بالعديد من الأمراض والأوبئة التي كانت تجتاحه بين الفينة والأخرى مما ساهم في إعطاء صبغة مميزة في المجال الصحي، دونها الرحالة العرب والأوربيون. ومما لاشك فيه فقد أثرت تلك الجوائح في تعداد سكان المدينة ، وهذا ما نحن بصدد التعرف عليه في هذا الفصل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا)- عدد سكان مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م :

إذا كان الرحالة العرب لا يتحدثون عن عدد سكان المدينة في القرن 12هـ/18م (كابن حمادوش أو أبي راس الناصر أو الزياني) ، وقد يكون لهذا الإغفال ما يبرره، ليس عدم اهتمامهم بأمر العدد ، ربما لأنهم كتبوا لأغراض أخرى لا تدع مجالا لذكر العدد، إلا أنّ الرحالة الأوربيون ذكرت عدد سكان المدينة فهذا دي تاسي يخبرنا بأن في مدينة الجزائر حوالي مئة ألف ساكن (100.000) وخمسة آلاف منزل أو عائلة يهودية وهم من أصل بربري دون أن نعد المسيحيين[1]. أما الدكتور شو فيحصر عدد سكان المدينة ما بين 80.000 نسمة و 135000 نسمة و180.000 نسمة [2]. أما المستشرق الفرنسي دي بارادي يذكرهم بعدد 50.000 نسمة نهاية القرن الثامن عشر (1204هـ/ 1789م) ولكن هذا الأخير يعطينا أرقاما حول عدة فئات اجتماعية منها: 6000 كولوغلي، 3000 تركي، 7000 يهودي و2000 عبيد ومسيحيين و32 ألف مور[3]، وعلى هذا الأساس فمجموع سكان مدينة الجزائر حسب معطيات دي بارادي هو 50.000 نسمة.

لكننا لا ندري ما هي المقاييس التي تم اعتمادها في الإحصاء وما هي الطرق المتتبعة في هذا الشأن. وما يلاحظ أيضا تضارب الآراء حول عدد سكان مدينة الجزائر في فترة الدراسة سواء في الربع الأول من القرن الثامن عشر(1137هـ/ 1724م) أو بعده بقليل، أو في نهاية القرن (1203هـ-1204هـ/ 1788 - 1789م) وهذا ما يدعو للشك ويطرح البديل في البحث عن مصادر أخرى في نفس القرن أو قريبة منه، سواء أواخر القرن السابع عشر أو بداية القرن التاسع عشر. فهذا بايصونال (**Peysonnel**) الذي زار المدينة هو الآخر في القرن12هـ/18م يقر بوجود 100.000 ساكن[4]، وهو يعتمد في نقل أخباره ومعلوماته على دي تاسي رغم أنه كان في مدينة

---

(1) Laugier de Tassy , op. cit , p 105.

(2) Thomas Shaw, op. cit , p 293 . ويقول لا نعرف بالتحديد عدد سكان المدينة

(3) Venture de Paradis , op. cit , p 20 .

(4) J.Peysonnel, ***Voyage dans les Régences de Tunis et D'Alger***, éditions la découverte, Paris , 1987 , p 250.

الجزائر بين 1724م- 1725م . وقد كتب رسائل عديدة عنها وعن تونس في نفس الفترة. أما إذا تم استعراض عدد سكان المدينة عشية الاحتلال الفرنسي فنجد أيضا تضاربا وتناقضا واضحين، انطلاقا من ذكر العدد الإجمالي للإيالة، حيث أن بوتان – الجاسوس الفرنسي – حصر عدد السكان ككل مابين : 2.800.000 نسمة و3000.000 نسمة. وكان هذا سنة 1808م ، بينما قدرعدد سكان المدينة بـ : 73000 نسمة ، وتيونفيل "thainville Dubois" قدرهم بين 75000 نسمة و80.000 نسمة سنة 1224هـ/ 1809م[1]. غير أن وليم شالر القنصل الأمريكي قد أنقص عدد سكان الإيالة ككل إلى 1.870.000 نسمة في سنة 1238هـ/ 1822م[2]. وهذا ما يصعب إعطاء العدد الصحيح لسكان مدينة الجزائر أو حتى الإيالة ككل، ولأن الأتراك أنفسهم لم يقوموا بعملية إحصاء سكان المدينة[3].

والحقيقة أنه في القرن 12هـ/18م تعرضت الإيالة ككل ومدينة الجزائر على وجه الخصوص إلى جملة من الأمراض أهمها وباء الطاعون الذي أثر حتما على تعداد سكان المدينة، لكننا لا ندري كيف استطاع الرحالة الأوربيون ذكر عدد سكان المدينة وما هي إجراءاتهم المعتمدة في عملية الإحصاء هذه التي تنوعت واختلفت؟

ولو أردنا أن نقف على إحصاء هايدو الأسير الإسباني في المدينة في القرن السادس عشر، والذي عادة ما يعد المنازل[4]، أو إحصاء ليون الإفريقي الذي يحسب المواقد[5]، وهي طريقة إلى حد ما مقبولة خاصة إذا ما أحصينا لكل موقد أو بيت أربعة أفراد، وعليه فقد كان عدد سكان المدينة في القرن السادس عشر ما بين 20.000 و60.000 نسمة.

---

(1) X, Yacono," peut on évaluer la population de l'Algérie en 1830", in ***R. A***, N 98, Année 1954, pp 277-307.

(2) William Shaler, ***Esquise de l'Etat d'Alger***, présentation de Claude Bontems, édition Bouchene, Paris, 2001.

(3) X, Yacono, op. cit, p 278.

(4) Deigo de haedo, op. cit, p 46.

(5) ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص 37.

المهم أن العدد المذكور عند الرحالة الأوروبيون هو 50.000 نسمة وهو العدد الأدنى في أواخر القرن الثامن عشر، و العدد الأعلى هو:135.000 نسمة في الربع الأول من القرن الثامن عشر، لكنه مع وجود افتراض 80.000 نسمة.

نستنتج من هذه الأرقام المقدمة أن عدد سكان مدينة الجزائر لم يكن مستقرا، والإحصاءات المعطاة لم تخل هي الأخرى من أخطاء و تمويهات لأغراض قد تكون مدروسة و مبيتة، و تمكن محاولة إعطاء التعداد تسهيل الاجتياح أو التحضير المحكم لغزوها [1]، أو كما قال ج .ب. وولف أن تقديرات عدد كل جماعة من الجماعات المذكورة وكذلك بالنسبة لمجموع عدد السكان إنما هي في أحسن الأحوال اجتهادات علمية، وفي أسوئها مجرد تخمينات وظنون، وإذا أردنا تتبع تطور سكان المدينة في العهد العثماني، أي طيلة القرون الثلاثة نجد أن هذا التعداد قد طرأ عليه تغيير كبير خلال هذه المدة [2].

إن التجمع السكاني في منطقة ما أو مدينة معينة خاضع هو الآخر بدوره لجملة من الظروف والشروط قد تكون طبيعية، اجتماعية، صحية أو أمنية...وغيرها وهذا ما حدث لمدينة الجزائر التي كانت تعاني الزلازل، الأمراض، الأوبئة والجوائح المختلفة...و كذلك الغارات الأوربية. وهذا ما دونه الرحالة ، ولنأتي على ذكر الزلازل مثلا، فهذا بايصونال يتحدث عن الزلزال الذي عرفته المدينة عام 1130هـ/ 1717م الذي أحدث هلعا كبيرا[3]، ولعله هلك فيه العديد من السكان. وكانت المدينة قد تأثرت أيضا قبل هذا بزلزال سنة 1126هـ/ 1716م والذي خربت جراءه مدن جزائرية عدة وفي معظمها ساحلية، "شرشال، بجاية ..."و تكررت الهزات أيام 03 و05 و26 فيفري وقد مات من سكان الجزائر تحت الأنقاض مالا يقل عن 20.000 نسمة [4]. واضطر بعدها سكان مدينة الجزائر إلى الخروج نحو الفحوص والأرباض القريبة بعد تهدم منازلهم، و تكررت

---

[1] عبد الله حمادي ،"جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان"، *المصادر*، العدد 6، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2002، ص 265.

[2] ج. ب، وولف، المرجع السابق، ص 156.

[3] J ,A , Peysonnel,op.cit ,p255 .

[4] ناصر الدين سعيدوني، **دراسات و أبحاث...**، المرجع السابق، ص 128.

الزلازل في نفس القرن، بين عامي 1136هـ-1137هـ/ 1723 م-1724م. و في سنة 1169هـ/ 1755م حدث زلزال قوي شمل الحوض الغربي للمتوسط، عرف خلالها بزلزال لشبونة، و قد أثر على العديد من منازل مدينة الجزائر، وكذلك زلزال 1174هـ/1760 م في شهر جوان الذي خرب البليدة وأضر بالجزائر العاصمة حيث لجأ السكان إلى البساتين والحدائق ودام هذا إلى أواخر القرن الثامن عشر [1]. ولا ندري عدد ضحايا الزلازل السالفة الذكر في مدينة الجزائر الأمر الذي سيؤثر حتما على تعداد سكان هذه المدينة ليس فقط بموت البعض بل وحتى إحجام البعض من الناس عن الذهاب إلى المدينة أو التخلي عن الإقامة بها نهائيا ، ولقد أتينا على ذكر هذه المعلومات حتى نحاول تفسير ظاهرة الأرقام المختلفة المقدمة لسكان هذه المدينة وتأثرهم بكوارث طبيعية وظروف صحية، كما افترض الباحثون عموما بأن هذه الأرقام المقترحة من طرف الأوربيين مقبولة، ومن هذه الأرقام المقترحة بين 1112هـ-1204هـ/ 1700 - 1789م نذكر[2]:

أكثر من 100000	1700- **Pére Comlin de La Motte**
100000	1719- **Gueued Ville(ATLAS)**
حوالي :15000 مسكن.	1729-**Vander Aa**
150000	1731-**Tollo**
50000	1750 -**Juan Caro**
أكثر من 100000 حوالي 150000 مسكن	1784- **S.Parlamo**
80000	1785-1788 **Von Rehbinder**
اقل من 50000	1788-**G .T Rayna**

(1) ناصر الدين سعيدوني، **دراسات و أبحاث...** ، المرجع السابق، ص 128.

(2)Federico, Cresti," Quelques observassions et hypothèses sur la population et la structure sociale d'Alger â la période turque (XVI^{e}-XVIII ^{e} siècle)" in ***(les Cahiers de Tunisie)*** TXXXIV ; N 137,138, Tunis, 1986,p 155.

نستنتج من هذه الإحصاءات الاختلاف المتباين من جهة وازدياد وانخفاض عدد سكان المدينة من جهة أخرى. وتبقى مجرد أرقام ليست دقيقة ثابتة وإنما تكون صحيحة في جزء منها. كما وجد عامل آخر أثر على تعداد سكان مدينة الجزائر وهو الأمراض والأوبئة ، فأخطرها على الإطلاق وباء الطاعون الذي دونته مصادر الرحلة منها المكناسي الذي يقول: "وقد وجدنا بهذه المدينة وأعمالها الطاعون ، ومات به خلق كثير..."[1] وقد كان هذا سنة 1200هـ/ 1785م. ولولا خطورة هذا المرض وتأثيره على الناس وهلاكهم به لما استعمل الحجر الصحي على مركب حجاج قادم من الإسكندرية لمدة تفوق خمسة عشر يوما بميناء المدينة كما يخبرنا ابن حمادوش عن ذلك:

" قدم علينا مركب من الإسكندرية بالحجاج، وفيه الوباء فمنعهم الباشا الدخول حمية أن يقوم ممرض على مصح..." [2]، وكان هذا في سنة 1157هـ /1744م.[3]

وليس غريبا على معظم سكان المدينة الإجراءات الواجب اتخاذها في مثل هذه الحالات وفق ما تقر به الشريعة الإسلامية بعدم الدخول في منطقة فيها الوباء أو الخروج منها، وهذا عكس ما تفوهت به مصادر الرحلة الأوروبية بعدم معرفة الجزائريين لنظام الكرانتينة وإن تكرر عدم أخذ الاحتياط منه، لكن دائما في حدود معرفتهم به وعلمهم بتواجده، حتى أن كتاب ابن حمادوش المعروف بـ "كشف الرموز" كان متداولا حينها، وكان معظم العلماء يقرؤون في الجامع الكبير صحيح البخاري و الذي في أحد أبوابه ما يتعلق بوباء الطاعون [4].

ولولا اهتمامهم بهذا الشأن ما كانت كتاباتهم في هذا المجال لتؤكد الاحتراز والحيطة بالقدر الممكن، حتى أن محمد أبو راس كان يكتب في هذا المجال إذ ينبئنا بكتابه المعنون بـ "ما رواه الواعون في أخبار الطاعون" [5]. ولعله يكون فيه كيفية التعامل مع

---

[1] محمد بن عبد الوهاب المكناسي، المصدر السابق، ص 331.

[2] عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 121.

[3] ف. يستنفلد، المرجع السابق، ص102.

[4] عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 123.

[5] محمد أبو راس، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 179.

هذا الوباء مع ذكر النصائح والإرشادات الواجب اتخاذها في مكان ظهوره. وحتى ابن المدينة الطبيب الرحالة ابن حمادوش أيضا لديه تأليف في الطاعون [1]، يذكره أبو القاسم سعد الله أثناء بحوثه حول هذه الشخصية العلمية والأدبية والموسوعية.

كما تؤثر أمراض أخرى على نمو سكان المدينة، لأن القرن 12هـ/18م في مدينة الجزائر عرف أوبئة عديدة [2]. لم تكد الأوضاع الصحية تستقر في هذه المدينة، حيث أن أطول مدة عرفتها البلاد عموما و المدينة خصوصا دون أوبئة هي 35 سنة أي بين (1163هـ-1199هـ/ 1749 م-1784م) وكذا في بداية القرن الثامن عشر (1112هـ-1141هـ/ 1700-1728م)، ماعدا ذلك فهي في معظمها سنوات أوبئة وكيف لا تؤثر هذه الجوائح المتعاقبة على تعداد السكان، ومن أخطر الأوبئة التي سجلتها المدينة وباء 1201هـ/ 1786 م الذي أتى على هلاك حوالي 16721 نسمة منهم 14334 مسلمين والباقي من الأسرى واليهود [3]، فتناقص عدد سكان المدينة إلى حوالي 50.000 نسمة كما يذكره دي بارادي. ناهيك عن تلك المجاعات الخطيرة، والتي منها مجاعة 1166هـ/ 1752م والتي استمرت أربع سنوات راح ضحيتها حوالي1700 شخص في المدينة في ظرف شهر واحد وأعقبها مباشرة الزلزال الآنف الذكر - زلزال لشبونة 1169هـ/ 1755م -، كما أن أحمد الشريف الزهار ذكر مجاعة 1192هـ-1193هـ/ 1778 م- 1779م وقال بأن الناس كانوا يموتون جوعا في الأسواق[4]، هذا بالإضافة إلى مجاعات وجوائح أخرى عرفتها المدينة والبلاد عموما يناقشها الدكتور ناصر الدين سعيدوني في الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني في عدة محطات[5].

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء...**، المرجع السابق، ص 227.

(2) وكانت خلال السنوات التالية: (1700،1728،1732،1738،1740،1744،1749،1784-1785-1786،1793-1794،1797-1798-1799). ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث...**، **المرجع السابق**، ص 126.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

(4) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 31.

(5) ناصر الدين سعيدوني، "الاحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد التركي "، ***مجلة الثقافة***، السنة16، العدد92، أفريل 1986، ص ص 101 - 114.

وزد على هذا الغارات الأوربية التي كانت تتعرض لها المدينة بين الفينة والأخرى، ففي القرن 12هـ/18م تعرضت لأكثر من ثلاث غارات (1184هـ-1189هـ-1198هـ/ 1770 م- 1775 م-1783م ...) بين دانمركية واسبانية والتي أثرت في مباني المدينة من جهة، وفي ساكنيها من جهة أخرى، كما أخبرنا محمد أبو راس وابن رقية الجديري التلمساني عن ذلك[1].

وإذا سلمنا بتناقص عدد سكان مدينة الجزائر منذ بداية القرن الثامن عشر إلى نهايته أي من (100.000 نسمة) إلى (50.000 نسمة) فذلك راجع لأسباب عدة نوجزها في النقاط التالية [2]:

1. انقطاع سيل الهجرة الأندلسية التي غذت المدينة بجمهور الوافدين خصوصا في القرنين السادس عشر والسابع عشر.
2. تكرر الأمراض والأوبئة والمجاعات التي أتت على هلاك عدد كبير من السكان وخاصة وباء الطاعون.
3. سلسلة الهزات الأرضية التي عرفتها المدينة خلال القرن 12هـ/18م وبالأخص في منتصفه (1169هـ/1755م).
4. الغارات الأوربية المتعاقبة على المدينة طيلة العهد العثماني، منها حملة أوريلي سنة 1169هـ/ 1755م.
5. توالي الكوارث الطبيعية كالجفاف والفيضانات والعواصف البحرية المدمرة التي تكاد تكون نتيجتها الغرق التي عرفتها المدينة أيضا طيلة القرن تقريبا.
6. تناقص عدد الأسرى ومغادرة معظم سكان المدينة لها وإحجام الباقي عن الإقامة فيها. وسنزود هذا العنصر بملحق فيه رسم بياني لتعداد سكان المدينة في القرن 12هـ/18م.

---

[1] ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص 31.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث...**، المرجع السابق، ص ص 132 – 133.

ثانيا)- سكان مدينة الجزائر بين الأصول العرقية والفئات الاجتماعية:

تحدث الرحالة الأوروبيون عن الفئات الاجتماعية التي سكنت مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، وأسهبوا في الحديث عن الأصول العرقية لهذه الفئات، بينما الرحالة العرب لم تخصصوا مجالا في كتاباتهم لهذا الشأن غير أنهم يلمحون بين الحين والآخر إلى وجود فئات متنوعة ومختلفة، وهذا ما يجب الاستفادة منه.

ولنبدأ بالفئة الأولى التي بدأ بها الرحالة الأوروبيون، فهذا دي تاسي يتحدث عن الفئة الأولى ألا وهي **الأتراك** في مملكة الجزائر، ويقول بأنهم هم الحكام و الأسياد تحت إمرة قائد يسمى الداي أو الملك. والأتراك الذين هم جنود يملكون أعمال المملكة ومناصبها الرفيعة سواء بالترتيب أو الأقدمية ، وهم يسيرونها على منوال إيطاليا أو فرسان مالطا وهم مشهورون بالنبلاء والطبقة الراقية و الأسياد والأقوياء... رمز الجندية تكفيهم ويشكلون نسبة من الحكومة ، وهم يعاملون سكان المملكة و السكان الأصليين باحتقار وتكبر وصلابة ، لأنه في اعتقادهم أنهم عبيد، أما الأتراك فينظر إليهم بشيء من الاحترام و الخوف لأنهم هم الذين خلصوا المدينة من التحرش الإسباني وقاموا بحمايتها والذود عنها [1]. وفي هذا الشأن بالذات يؤكد دي بارادي على أن بالمدينة 3000 تركي بينهم وبين المجتمع عداوة كبيرة وحذر شديد [2]. بينما دولاماي الذي زار المدينة في بداية القرن التاسع عشر يؤكد على أن البلد – يقصد مدينة الجزائر– مسكون من طرف عدة شعوب من بينهم الأتراك، النبلاء المميزين، حيث أن كل شيء مسموح لهم فعله، وهؤلاء الجنود الأتراك هم من النوع السيئ [3].

ويتضح مما تقدم أن بعض كتاب الرحلة يحملون أحكاما مسبقة عن الأتراك وقد أدركوا تميز الأتراك عن باقي الفئات داخل المدينة، وحتى عن السكان الأصليين في حد ذاتهم، وكما هو معروف فإن أتراك المدينة جيء بهم من آسيا الصغرى في أغلبهم، وانخرطوا في صفوف اليولداش وكانت نظمهم تمكنهم من الارتقاء إلى أعلى المناصب، بل وتؤهلهم

---

[1] Laugier de Tassy, op. cit, p 57.

[2] Venture de Paradis, op. cit, p 20.

[3] M. Emerit, "Alger en 1800", op. cit, p 175.

إلى أرفع الدرجات المدنية، وكان التركي ينادى بالأفندي [1]، كما يلقب بالسيد العظيم الفخم، والأتراك يكونون طبقة السراة والأعيان في المدينة [2]، أي بيدهم الحكم والجيش، وربما هذا على أساس هم حماة المدينة والمدافعون عنها وعن سكانها، وحتى مجتمع المدينة خصوصا من غير الأتراك كالعرب والبربر مثلا ينظرون إلى التركي بمنظار السيد المخلص ، وقد ساهموا في ذلك الصدع والشق الذي كان بينهم وبين الأتراك.

ولقد تناول أبو راس الناصر وابن حمادوش أصل الأتراك ، فذكر الأول أن السلطان الأكبر جد الملوك العثمانيين أهل كرسي اسلامبول الخاقانيين أهل الخلافة العظمى والسلطنة الكبرى والرتبة العليا أصله من التراكمة[3]، الشيء الذي يؤكد علو منزلة التركي في الأذهان حتى عند علماء المجتمع في مدينة الجزائر. بينما الثاني يقول: "آل عثمان ليسوا من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وإنما هم من ذرية هذا التركي الذي توصل إلى الملك[4]. "وهو يعني عثمان خان الذي توصل إلى الحكم سنة 641هـ/1243م ، وأفرد لهم صاحب لسان المقال قائمة بأسماء حكامهم في الجزائر، وأسماء سلاطين آل عثمان، وحتى حينما يذكر بعض أسماء حكامهم يثني عليهم، حيث يقول مثلا "... إبراهيم باشا وإن تم له الأمر وأتاه الإذن فيكون تمام سبعين باشا تولوا في الجزائر، أولهم إسحاق وهو آخرهم، إبراهيم أبقاه الله وخلد ملكه وأصلح رأيه [5]. الأمر الذي نستشف منه الرضا بالحاكم و الدعاء له.

أما الفئة الثانية فهي **الكراغلة** [6]، وتكون نتيجة زواج تركي بامرأة عربية والأولاد لا يسمون أتراكا بل كلوغليون، ولا يصلون إلى الاشتغال في الحكومة لأن الدم التركي قد

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد6، المرجع السابق، ص 417.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) محمد أبو راس، **عجائب الأسفار...**، المصدر السابق، ص 165.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 235 .

(5) المصدر نفسه، ص ص 225-235.

(6) الكراغلة أو القرغلان تحوير للفظ التركي قول أوغلي أي أبناء العبيد على اعتبار أنهم عبيد السلطان حسب العرف العثماني، وهم جماعة المولودين من أباء أتراك وأمهات جزائريات، وقد اكتسبوا مكانة مميزة بالنسبة لباقي السكان من غير الأتراك وإن لم يسمح لهم بتولي المناصب السياسية التي ظلت حكرا على الأتراك القادمين من المشرق، وهذا بسبب توتر علاقاتهم بديوان الجزائر. ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 29.

اختلط مع الدم الموري على حد قول دي تاسي ، وقد سجل أيضا عدم وجود نساء تركيات في مملكة الجزائر[1]. ويفهم من هذا تخوف الأتراك من أبنائهم الذين هم من زيجات جزائريات من الوصول إلى سدة الحكم ومنافستهم لأن عددهم يفوق عدد الأتراك (6000 كلوغلي مقابل 3000 تركي) هذا إذا ما أخذنا إحصاء دي بارادي الذي أكد أن الكراغلة أشد عداوة للأتراك من الموريين[2].

لقد حدث التزاوج بين الأتراك والنساء الجزائريات، ورغم هذا ظلت فئة الكراغلة فئة متوسطة من حيث المكانة الاجتماعية تتقرب إلى الموريين أكثر. وكان الكراغلة يملكون ثروات ويستثمرونها في المزارع[3]، مع ارتقاء القليل منهم إلى سدة الحكم من أمثال بايلك التيطري "محمد الدباح" (1668م- 1671م) و بايلك وهران الكلوغلي مصطفى القمر (1663م-1648م) [4]... وتكاد هذه الظاهرة تنعدم نظرا لقلتها. وأحسن مثال هو أحمد باي (باي قسنطينة 1826م-1837م).

و أما الفئة الثالثة فهي **الحضر** أي السكان الأصليين للمدينة، و هي عند دي تاسي الموريون التي تعتبر الفئة الغالبة أي أكثرية السكان (حوالي 200 موري مقابل تركي واحد) ويتعرضون للسيطرة و الظلم من طرف كمشة من المشارقة[5]، حيث أن دي بارادي يعدهم بـ :32000 مور[6]، و قد فرض عليهم الأتراك وضعية التبعية المطلقة ، فليس لأحد منهم الحق في حمل السلاح، كما أن أملاكهم معرضة للمصادرة لأقل خطأ يصدر منهم في حق الأتراك، وهم في مجموعة يشتغلون كعمال و تجار[7]، و يضاف إليهم مهاجرو الأندلس بعد أن تكاثر عددهم بسبب الطرد الجماعي الذي تعرضوا له في شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 1610 م و بعدها، و كان لهم دور اجتماعي و اقتصادي كبير

---

(1) Laugier de Tassy, op, cit, p 57.

(2) Venture de Paradis, op, cit, p 20.

(3) صالح بوتشيش، "المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني"، ***مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية،مخبر كلية الشريعة، الجزائر***، العدد01، 2004، ص 132.

(4) ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، المرجع السابق، ص 44.

(5) Laugier de Tassy, op. cit, p 57.

(6) Venture de Paradis, op. cit, p 20.

(7) ج.أو.هابنسترايت، المصدر السابق ، ص 32.

في المدينة. وعموما فالطبقة الأولى تكونت من حضر و فئاتها هي (الأتراك، الكراغلة، السكان الأصليون للمدينة (عرب و بربر) و مهاجرو الأندلس)، أما الطبقة الثانية فهي البرانية بفئاتها المتعددة و هم عرب ينتمون إلى الأقاليم الداخلية فالبساكرة مثلا نسبة إلى بلدهم الأصلي بسكرة و يعملون في تنظيف الشوارع و المنازل و يقومون بالحراسة في الليل ويوضعون تحت مراقبة أحد الأمناء من جماعتهم[1].

كما اشتهر الأغواطيون بالتنظيف والقبايل بأعمال البناء و الزنوج بخدمة المنازل وكذلك الحمامات، حيث وجدهم دي تاسي هناك، وقد أكد "دولاماي" على أن البساكرة من الناس الفقراء جدا ويعملون في الأعمال الشاقة و المتعبة وينامون في الهواء الطلق أمام الدكاكين التي أمروا بحراستها، كما يشتغل البعض الآخر في الأفران والحمامات وهم أناس طيبون ذوو طبيعة هادئة [2].

وعلى كل حال فإن فئات طبقة البرانية عديدة منها نذكر بنو ميزاب الذين كانوا يعملون في الحمامات ومطاحن الحبوب، وجماعة القبايل التي اشتغل أفرادها في مختلف المهن اليدوية و الحراسة ، والزنوج المسخرون للعمل في المنازل وغير ذلك... وأعمالهم هي أعمال متواضعة توفر لأصحابها دخلا ماليا محترما[3].

وآخر الطبقات التي تذكرها مصادر الرحلة بنوعيها العربية أو الأوروبية هي طبقة **الدخلاء** والتي من بينها المسيحيون من جماعات الأسرى متعددي الجنسيات وأغلبهم من الأسبان و البرتغاليون و الإيطاليين و الألمان [4]، حيث يتحدث أبو راس وابن حمادوش عن قضية افتداء و تسريح الأسرى ، وهي طريقة معمول بها حينذاك بين دولة الجزائر والدول الأوروبية وكذلك بين المغرب الأقصى وبعض دول أوربا التي ترجمتها عناوين

---

(1) يعرفون بالبرانية لكونهم يأتون إلى المدينة وينسبون إلى مواطنهم الأصلية ، يكلفون ببعض الأعمال المتواضعة التي يأنف من تأديتها سكان المدينة من حضر و أندلسيين لكونها مهن متواضعة ، جيم أوهابنستريت، المصدر السابق،ص33.

(2) M. Emerit," Alger en 1800", op. cit, p 175.

(3) ج .أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 33.

(4) المصدر نفسه، ص 34.

بعض مؤلفات المغاربة مثل : " الإكسير في فكاك الأسير و "البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر" لمحمد بن عثمان المكناسي" [1].

بينما دي تاسي يوضح الفرق بين المسيحيين دون العبيد وهم يمثلون أقلية، وقد كانت عائدات التجارة حينها قليلة ، و العبيد المسيحيون يمثلون عددا معتبرا وهم ضعفاء حتى أنه يذكر انعدام وجود تركي لا يخدمه عبد مسيحي، من بداية دار الملك إلى آخر السكان فهناك عبيد مسيحيون في خدمتهم، وهي تجارتهم الرئيسية، يعملون كمنظفي سلاح بجانب البحر... ويقول أيضا بأنه مسموح لجميع الدول بشراء العبيد المسيحيين، وهناك بعض الناس يعتقدون بتهديد المسيحي إذا أسلم[2]. وهذا ربما لحصوله على نفس امتيازات التركي السيد ، كما يقر أيضا دي تاسي بتهديد المسيحيين الأحرار للمسيحيين العبيد بعدم الدخول في الدين الإسلامي، كما كان الداي في بعض الحالات يعرض الدين الإسلامي على العبيد المسيحيين وهناك شباب في الثانية عشر ينشؤون نشأة إسلامية ثم يغيرون دينهم بتحريض من أسيادهم المسيحيين [3].

وعلى هذا الأساس كانت الدول الأوروبية تخاف ارتداد أبنائها عن الدين المسيحي لذلك كانت تحرص أشد الحرص على بقائهم مسيحيين، وقد كانت لهم كنيسة في مدينة الجزائر يخبرنا عنها ابن حمادوش أيام إبراهيم باشا، وكانت كنيسة عظيمة[4]، يؤدون فيها شعائرهم الدينية خصوصا الأحرار منهم، باعتبار أن عدد الأسرى في نهاية القرن 12هـ/18م بدأ يتضاءل (حوالي 2000 أسير) [5]، وهذا بسبب نقص عائدات القرصنة، إلا أن فئة الأسرى المسيحيين بقيت فئة تقدم دورا خدماتيا في مجتمع المدينة كاستخدامهم في مهام البناء وكذا التجديف على السفن[6] وتنظيف السجون أو مسخرين للخدمة في قصر الداي أو رعاية بعض البساتين[7]. وخير مثال على ذلك وليم كاتكارت الذي وقع

---

(1) عبد المجيد القدوري، المرجع السابق، صفحات متفرقة.

(2) Laugier De Tassy, op. cit, p 61.

(3) Ibid, p 61.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 119.

(5) Venture De Paradis, op. cit, p 20.

(6) جلال يحي، *المغرب الكبير*، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 53.

(7) ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي...**، المرجع السابق، ص 46.

أسيرا في نهاية القرن الثامن عشر وخدم في قصر الداي، و "تيدنا" خدم في قصر باي معسكر. كما أن الرحالة المغربي الزياني يلمح إلى افتداء الأسرى المسيحيين بقوله: "...لا سرح أسراهم إلا بضعاف المسلمين من الفدية..." [1] أي وقوع حالات تبادل الأسرى بين دولة الجزائر و الدول الأوروبية التي سجلتها تلك المرحلة التاريخية في إقليم البحر المتوسط الغربي منه خصوصا.

وقد ذكر هابنسترايت أن الأسرى الأوربيين يحظون باحترام الأتراك ويكونون في حماية إحدى الدول الأوروبية التي تكون في حالة سلم مع حكومة الداي، ولديهم مستشفى خاص بهم، هو المستشفى الإسباني الذي يسيره متصرف ويساعده أحد رجال الدين (الآباء) المنتمين لسلك رهبنة عتق الأسرى "**Ordre de la rédemption**" وهو يقوم بأعمال خيرية عديدة لفائدة كل الأسرى ويلحق به جراح وصيدلي يقومان بمعالجة المرضى[2]، هذا عن جانب المسيحيين الأسرى وهناك مسيحيون آخرون من أمثال القناصل الفرنسيين، السويديين، الهولنديين و الإنجليز، فقد كانت أماكن إقامتهم في المدينة وضواحيها و يسددون مقابلها كل سنة مبالغ مالية لأصحابها [3].

وعادة ما يتوجه الأوربيون الأحرار للإقامة عند القناصل لمدة مؤقتة كما أخبرنا الرحالة الألماني هابنسترايت. لقد كانت أحسن طريقة للعبيد المسيحيين للتخلص من العبودية و الأسر هي الارتداد حتى يصبح العبد تركيا، وعملية التحول و الارتداد هذه يمكن القول عنها بأنها لم تكن كلها نزيهة، وهناك أيضا كثير من الناس يعتقدون بأن العبيد المسحيين يجبرون على الدخول في الإسلام وترك دينهم أو على الأقل يتم طلب ذلك منهم بإلحاح وبعدة طرق[4]. لكن هذا لا ينفي وجود بعض الأسرى الذين يسلمون عن طواعية بعد إدراكهم لحقيقة هذا الدين وقدسيته . لقد تعددت فئات الأسرى وتنوع القناصل، وكثر

---

(1) مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال ...**، المرجع السابق، ص187.

(2) ج.أو.هابنسترايت، المصدر السابق ،ص 34.

(3) المصدر نفسه، ص ص 34-35.

(4) كورين شوفالييه، ***الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541***، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 61-63.

الأفراد المسيحيون حيث وجد الإغريق منهم ولهم كاهن يرعى شؤونهم الدينية[1]. وغيرهم في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، فقد وجدت فئة اليهود ودي تاسي يقر بالعدد الكبير لهم سنة 1718م [2]، شأنه في ذلك شأن العالم الألماني هابنسترايت[3]. ويرجع تاريخ تواجدهم في هذه المدينة إلى سقوط القدس في يد الرومان -منذ عهد قديم- واشتهروا أيضا بالموريين وعاشوا على حد قوله حياة ضنكة وتحت العبودية والاحتقار وسوء المعاملة من طرف الشعوب الأخرى ، وكان لديهم قضاة لحل مشاكلهم الخاصة ومرات يرفعون قضاياهم إلى المحكمة التركية التي تقرر على مستوى حكومي رفيع تنفيذ القرارات[4].

ومن المؤكد أن اليهود في مدينة الجزائر قد وفدوا إليها في فترات مختلفة[5]، لكن أعظم الهجرات كانت بعد سقوط غرناطة 1492 م حيث كان شأنهم في ذلك الوقت ومصيرهم هو نفس مصير وشأن المسلمين الفارين بجلدهم من محاكم التفتيش التي أقيمت في شبه الجزيرة الأيبيرية، بغية القضاء على كل من هو ليس مسيحيا، فاستقطبت مدينة الجزائر عددا كبيرا منهم، وهذا بفضل الدور الذي لعبه الإخوة بربروس في هذا المجال، ويكمل دي تاسي حديثه عن اليهود حيث يقول بأن تعذيب اليهود المحكوم عليهم بالإعدام هو النار، فيعاقب اليهودي لأدنى شك فيه إذا قام بعمل ضد الحكومة، ويحرق إذا كان من قاطعي الطريق أو لص أو خارج القانون، ومفروض عليهم اللباس الأسود من الرأس إلى القدمين حتى يتفرد بهذا اللون، ولا يستطيع اليهودي الخروج من المدينة إلا بإعطاء ضمانة أو كفالة ، ويقومون بالأعمال التجارية ولهم علاقة بيهود ليفورن و مداخيلهم كثيرة ، يعيشون تحت حماية القنصل الفرنسي الذي يعتبر حام و قاض لجميع الأجانب الذين ليس لهم قنصل، وهم يملكون حيا خاصا، ولا يندمجون مع "المحمديين" و يقصد المسلمين. ويحيلنا مرة أخرى دي تاسي إلى وجود يهود أوروبيين يسكنون حيث شاءوا

---

(1) ج.أو.هابنسترايت، المصدر السابق، ص 35.

(2)Laugier de Tassy, op. cit, p 55. حيث يقدرهم بـــ: 15000نسمة و الدكتور شو أيضا بنفس العدد.

(3)ج.او.هابنسترايت، المصدر السابق، ص 33.

(4)Laugier de Tassy, op. cit, pp 55-57.

(5)Federico, Cresti, op. cit, p 160.

ويتحركون كثيرا ويذهبون حيث أرادوا ويسمح لهم بارتداء ما يشاءون[1]. وهناك أيضا من اليهود الذين جاؤوا إلى مدينة الجزائر في نفس الظروف التي أخرج فيها المسلمين من إسبانيا وتناقص عددهم في الربع الأول للقرن الثامن عشر إلى 7000 يهودي[2]، أي حوالي سنة 1204هـ/ 1789م، بعدما كانوا حوالي 15000 نسمة، وعليه فقد كانوا يشكلون بالفعل قوة ومركز ثقل في مجتمع مدينة الجزائر، حتى أن ابن حمادوش يذكر حادثة فرار الباي المسراتي باي الغرب إلى وهران، وهي تحت سلطة النصارى بسبب ما أوشي له من ذمي جاز مالا كثيرا فبعث إلى ابن المسراتي يقول له " فر بنفسك فإن الأمير يطلبك"، مع أنه كان مرضيا عليه ، فلما ادعى أنه له عليه مالا كذبا وبهتانا[3]. وبسبب هذه الدسائس والمؤامرات تمكن اليهود من كسب الأموال الطائلة من جهة[4] واستطاعوا التأثير على بعض الدايات من جهة أخرى أواخر القرن الثامن عشر.وكانت معظم مكاسبهم من السمسرة ودور الوساطة في عمليات البيع وغيرها[5].

وفيما يخص المعلومات التي قدمها دي تاسي في شأن اليهود فهي ليست حقيقية كلها، لأن قضية اللباس التي تحدث عنها والتي خيل إليه بأنها إجبارية، إنما كانت بسبب ظروف خاصة أمنية على العموم، تزول إجباريا بزوال الظروف الأمنية السيئة، وأن كثيرا من هؤلاء اليهود كانوا يرتدون هذا اللباس عن طواعية بدليل أن الذين أرادوا أن يلبسوا مثل الجزائريين لم يمنعهم أحد من ذلك، ونشير إلى أنه عندما احتلت فرنسا الجزائر بقي هذا اللباس مستخدما لدى العديد من اليهود الذين تمسكوا بارتدائه حتى وقت متأخر من القرن العشرين[6]. ولعله جزء من ثقافتهم التي احترمت احتراما كبيرا ، كما امتلك الكثير من اليهود بيوتا خارج حارتهم وكذلك منازل غنية في الريف[7].

---

(1) Laugier de Tassy , op. cit, pp 55 – 57.

(2) venture de Paradis , op. cit , p 20.

(3) عبد الرزاق بن حمادوش، المصر السابق، ص 253.

(4) M. Emerit , "Alger en 1800" , op. cit , p 175.

(5) صالح بوتشيش، المرجع السابق، ص 139.

(6) فوزي سعد الله ، ***يهود الجزائر هؤلاء المجهولون***، ج1، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص182.

(7) المرجع نفسه، ص 221 والأمير بوغدادة، المرجع السابق، ص111.

أما فيما يخص قضية تحاكم اليهود في محاكم المسلمين فوقعت فعلا بسبب ما عرف من تحيز وظلم المحاكم الحاخامية التي كانت تتألف من ثلاثة قضاة ، وكان لكل مدينة تشريعاتها، وتشريع مدينة الجزائر وضعه " ريباش " وهو الأكثر شيوعا، والشيء الذي يكاد يكون مؤكدا هو فساد المحاكم اليهودية، فصارت المحاكم الإسلامية وجهة للمتخاصمين[1] من اليهود وذلك لما عرف عنها من نزاهة وإعطاء الحق لصاحبه.

إن مدينة الجزائر فعلا كانت خليطا عجيبا من الأجناس والفئات (الحضر ومنهم السكان الأصليون، الأتراك والكراغلة والبرانية الوافدين من المناطق الداخلية (بسكرة، بني ميزاب، الأغواط، جيجل، القبائل ...) والدخلاء المسحيين (العبيد والأتراك وكذا اليهود...)، وكان الرجال يأتون إليها من كل البلاد الإسلامية [2]، حتى أن الزياني في رحلته ذكر قاضي البلد الفقيه السيد محمد بن مالك الذي استضافه في منزله وهو من المغرب وبالتحديد من فاس[3]. ناهيك عن عناصر أخرى لم يذكرها الرحالة، وهي مما لا شك فيه كانت موجودة في هذه المدينة للمتاجرة مثلا، أو للعمل في البحرية أو الجيش... أوغيرها. كما أن الدكتور سعد الله ناقش فئات المجتمع بإسهاب في كتابه " **تاريخ الجزائر الثقافي**"[4] وأكد على التنوع والتعدد العرقي في مجتمع مدينة الجزائر، الأمر الذي سيؤثر حتما على لغة التداول والتخاطب فيما بين سكان المدينة. حتى أن الرحالة الألماني فاغنر قد لاحظ هذا التنوع في مجتمع المدينة في مستهل القرن التاسع عشر وقال بأن هناك الأتراك و الكراغلة و العرب والقبائل والبساكرة والزنوج[5].

---

(1) كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 67.

(2) جلال يحيى، المرجع السابق، ص 53.

(3) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال ...، المرجع السابق، ص 174 .

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 148 – 168 .

(5) أبو العيد دودو، *الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830، 1855)*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 115.

ثالثا)- اللغة المتداولة في مدينة الجزائر :

عرفت حواضر الخلافة العثمانية التنوع الإثني والمذهبي، الشيء الذي انعكس على المجتمع ثقافيا وطبعه بسمات وأنساق حضارية نادرة الحدوث[1]. ومن هذه السمات نجد اللغة التي تعددت وتنوعت في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، فإذا كان الرحالة العرب لا يتحدثون إطلاقا عن اللغة المتداولة في هذه المدينة ولا يفردون لها عناوين مخصصة في مؤلفاتهم إلا أننا نستطيع أن نستنتج من كتاباتهم ما يلقي الضوء ولو خافتا على كيفية التخاطب بين عناصر المجتمع أو بعض منهم ، فمعظم كتب الرحلة العربية مكتوبة بلغة الضاد، سواء رحلة الزياني أو ابن حمادوش " **لسان المقال**" أو **عجائب الأسفار** لأبي راس، وحتى في كتابه الثاني الذي يعد رحلة "**فتح الإله ومنته**"، وحتى أن تكوينهم وتعلمهم كان باللغة العربية وفي ذلك أدلة واضحة على الكتب التي كانوا يتدارسونها والطريقة المتبعة في ذلك مع شيوخهم ومعلميهم، وبالموازاة فالطرف الآخر الأوربي منهم من أشار إشارة واضحة إلى عنصر اللغة حيث نجد دي تاسي يحيلنا إلى اللغة المتداولة في وسط مدينة الجزائر وهي اللغة الفرنكية [2] **la langue franque** وهذه الأخيرة يعرفها هايدو الذي أسر في القرن السادس عشر، بأنها خليط من عدة كلمات مختلفة إسبانية و إيطالية في غالبيتها وأيضا كلمات برتغالية[3].

إن سكان مدينة الجزائر من أصول مختلفة وأعراق متباينة، ولا يبدو بأن هناك مشكلة في الاتصالات بين هذه الأعراق والأصول، إذن فما هي اللغة المشتركة بينهم داخل المدينة ؟[4]. نجد الأتراك يتحدثون اللغة التركية فيما بينهم ومع من يفهم هذه اللغة باعتبارهم الطبقة السيدة الحاكمة ولا بد من المحافظة على هذا اللسان رغم قلتهم إذ ما

---

(1) محفوظ رموم، المرجع السابق، ص 51.

(2) Laugier de Tassy , op. cit , p 106 .

(3) Diego de Haido , op. cit , p 128 .

(و هي اللغة التي تربط الأوربيين بالمغاربة، وهي هجينة تسمح لهؤلاء الناس من الأعراق والأصول المختلفة بالاتصال فيما بينهم، وهذه اللغة التي يتم التحدث بها بين الأسرى المغاربة على طول السواحل حتى اسطنبول وليست لغة أي أمة...، كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 75.

(4) مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائرمن خلال ...**، المرجع السابق، ص16.

قورنوا بالسكان الأصليين، كما نجد اللغة العربية التي أصبح يتحدث بهـا معظـم سـكان المدينة خصوصا الفئات التي سكنت المدينة منذ أمد بعيد كاليهود مثلا، وبعـض الأتـراك ومهاجري الأندلس ... وغيرهم، ثم تأتي لغة الأسرى والمسيحيين المتعـددي الجنسـيات والأوطان من أوربا، حتى أتى أحد الكتاب على وصف هذا التعدد في عشر لغات[1]. وكل هذا ينم عن تنوع ثقافي كبير عرفته المدينة ليس في القرن 12هـ/18م فحسب بل طيلـة العهد العثماني.

إن ابن حمادوش يحيلنا إلى قضية أخرى وهي عقود الزواج التي كانت تكتب باللغة العربية، وهذه العقود منها ما يخصه ومنها ما يخص الداي إبراهيم باشا وفيها حتى عقـد زواج أخت ابن حمادوش و بعض الخطب التي صيغت باللغة العربية[2]، وهـي خطـب زواج. وتداولت اللغة العربية بين مثقفي المدينة والعارفين بهـا فكـان الشـعر حاضـرا بينهم[3]، وكانت الموشحات والأزجال تنشد في مواسم معينة منها ما كان في شهر ربيـع الأول كما يخبرنا ابن عمار وهو أحد علماء المدينة في القرن 12هـ/18م الـذي نظـم موشحة يقول في مطلعها[4].

يا نسيما بات من زهر الربا يقتفـي الركـبانا.

احملن مني سلاما طيبـا لأهل البـان.

ناهيك عن تلك الكتب التي كانت متداولة في المدينة أو كانت محط إعجـاب الشـعراء والأدباء والعلماء ونجدها خصوصا في رحلتي ابن حمادوش وأبي راس منها نذكر مـثلا: **صحيح البخاري**، كتاب ابن سينا **(القانون)**، **تاريخ الدول** للملطـي، **تـاريخ الكردبـوس** للتوزري[5] ... وغيرها والتي يحتقرها الدكتور شو [6].

---

(1) مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال...**، المرجع نفسه، ص 16.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 236 –252.

(3) المصدر نفسه، ص 256. محمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، 97.

(4) أحمد بن عمار، المصدر السابق، ص ص15 – 16.

(5) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، صفحات متفرقة.

(6) Thomas , Shaw , op. cit , pp 80 -89 .

إن بعض السجلات الإدارية التي كانت باللغة التركية مثل "دفتر تشريفات" الذي ترجمه حافظ الأوراق العربية بخزينة أملاك الدولة مسيو دو فولكس **Devoulx** بإعانة السيد محمد بن مصطفى الموظف بنفس الإدارة وقدمه للوالي العام الكونت راندون في 15 ديسمبر 1852م وطبع بعدها في مدينة الجزائر[1]. كما أن الإجراءات القضائية في المحاكم والتي تحدث عنها الرحالة كانت تتم باللغتين العربية أو التركية وذلك اعتبارا للطريقة المتبعة أو الحاضرين[2]، وهي مزدوجة الهياكل؛ قاض حنفي وآخر مالكي ومفتي حنفي وآخر مالكي[3]. ولعل اللغة الفرنكية أو – الفرنجية– التي كان يستعملها معظم مجتمع المدينة هي من ابتكار الوضع الذي كان سائدا واختلاف الجنسيات وتعدد الألسنة وتنوع الثقافات، الأمر الذي أوجب ابتكار لغة للتخاطب والتفاهم وليس غريبا أن تجد أتراكا وعربا يتحدثون بها. كما نجد من الأسرى من يترجم أو يعمل كترجمان في قصر الداي[4]، أو في مكاتب الإدارة التركية حيث يفهم عدة لغات بالإضافة إلى اللغة العربية والتركية وأولت السلطات اهتماما كبيرا لمثل هؤلاء.

وكما هو معروف فإن الجزائريين في العهد العثماني لم يعرفوا الطباعة فقد كانوا ينسخون الكتاب الواحد عدة مرات ويحدث تناقل وتبادل الكتب فيما بينهم أو بيعها كما حدث للزياني[5]. ولعل الكتب التي كانت معروفة لم تخرج هي الأخرى عن دائرة الطبقة المثقفة أو قلة قليلة من المجتمع في مدينة الجزائر حينذاك[6]. وهناك من كان يكتب تراكيبا وألفاظا تنحدر إلى مستوى العامية كابن رقية الجديري[7]. بالإضافة إلى وجود اللهجات المختلفة، خصوصا بربر زواوة سكان الجبال المجاورة لمدينة الجزائر (القبائل) أو بني

---

(1) أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا...**، المرجع السابق، ص 149.

(2) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 108.

(3) Venture de Paradis , op. cit, p 254 .

(4) ج . أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 29.

(5) مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال ...**، المرجع السابق، ص 184.

(6) زبيدة خليفي، ***حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني***، رسالة ماجستير جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2005 ، ص 129.

(7) ابن رقية الجديري، المصدر السابق، ص ص 20 ، 21 .

ميزاب الذين كانوا يعملون في الحمامات أو الأفران[1]، وغير ذلك من الفئات الاجتماعية التي سكنت المدينة، ومما لا شك فيه أيضا أنها تعاملت بلهجاتها أو لغات تعرفها، غير أن اليهود هم من كانوا يتقنون عدة لغات وهذا نتيجة أعمالهم التجارية[2]، وأعمال الوساطة أومراقبة نقود الدولة... وغيرها.

وليس غريبا أن نجد في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م خصوصا وطيلة العهد العثماني عموما من يتحدث بلغتين أو أكثر، فالوضع الاجتماعي المتميز بفئاته المتعددة وطبقاته المختلفة من حضر وبرانية ودخلاء قد انعكس على أصوات التعامل ولغة التخاطب، وجعل منه أيضا فسيفساء ثقافية مع احتفاظ بعض الفئات بعاداتها وتقاليدها وتمارسها وتعرف من خلالها بأن هذه العادة لليهود، وذلك تقليد للأتراك والأخر للأندلسيين ... وهكذا.

(1) venture de Paradis , op . cit , p119 .

(2) Laugier de Tassy , op. cit , p 56 .

رابعا)- عادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر (الاحتفالات، الزواج، الختان، الزيارات والألبسة ...):

إن العادات عبارة عن قواعد السلوك الاجتماعي التي تتكون عن تلك التصرفات الاعتيادية الاجتماعية والتي تتبدل حسب تبدل الأفراد والأزمان والأمكنة [1]. ولهذا فقد أسهب الرحالة العرب والأوروبيون في التحدث عن بعض عادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، وعلى إثر هذا التنوع الكبير والتعدد في آراء أصحاب الرحلات فيما يخص هذا الشأن، وفي جوانب مختلفة من الحياة، يجدر بنا أن نختار عينات مختلفة تعكس ما كان يقوم به سكان مدينة الجزائر آليا، وفي فترات زمنية معينة للدلالة على أنها عادة وتقليد، بحكم أن العادة ما يعتاده الإنسان ويعود إليه مرات متكررة [2]. وفي هذا الإطار فطبيب المدينة ابن حمادوش قدم لنا جملة من العادات التي كانت منتشرة في مدينة الجزائر ونلخصها فيما يلي[3]:

1- عادة أهل مدينة الجزائر ليلة القدر من إشعال الشموع، والطواف في المدينة من دار المفتي إلى دار الإمارة، مع ترتيل أناشيد وكذا الصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإحياء الليل كله حتى صلاة الصبح ثم التسبيح والرش بماء الورد ، يليه دعاء الإمام وحضور الناس ختم البخاري عند قبر سيدي عبد الرحمان الثعالبي.
2- إقامة الأعراس في الزواج ومنها ما يدوم أياما.
3- عند موت الداي ترفع العلامات (الأعلام) الخضر في الصوامع ويؤتى به إلى الجامع الكبير ثم يقرأ عليه القرآن مقابل أجرة وعتق أمة أو عبد، والصلاة على الميت في الجامع الكبير مثلما حدث عند وفاة إبراهيم باشا.

---

(1) إبراهيم كافي دونمز،" *نظرة جديدة إلى مكانة مفهوم العرف و العادة في الفقه الإسلامي*"، **مجلة العلوم الإسلامية**، *العدد الأول ، أفريل 1986*، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص 24.

(2) منجد اللغة والأعلام، المصدر السابق، ص 36 .

(3) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص118-122- 125 -126-136 -137.

4- عادة سرد البخاري في الجامع الكبير وهذه العادة يذكرها ابن حمادوش عدة مرات في رحلته.

5- الصلاة المعهودة في مدينة الجزائر عقب ختم البخاري وهي:

" اللهم صل أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك، كما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون".

6- رش الخدم للناس بماء الورد ليلة القدر لأنها ليلة السابع والعشرين بالرؤيا[1].

7- عادة إقامة الأعراس في ختان الأبناء، إلا أن ابن حمادوش لم يقم عرسا أثناء ختان ابنه[2].

و في هذا الشأن يذكر غوستاف لوبون أن يوم الختان يسار بالولد في موكب عظيم، غير أن ابن حمادوش كان فقيرا و ميسور الحال ولم يقدم على الإحتفال بختان ابنه الذي يتطلب الثياب الفاخرة والحصان المجهز بأثمن عدة، ومخفر بأطفال كذلك بأحلى وأزهى الثياب، والموكب يتقدمه الحلاق أو الحجام ورجال الموسيقى والنساء بالزغاريد، كما تطبخ المأكولات وتقدم القهوة في بيت الوالد ثم تقام الألعاب إلى أن يختن الولد[3]. وهي عادة مكلفة تحتاج إلى مصاريف.

ويلتقي كل من الزياني وأبي راس في وصف عادة أهل الجزائر (من علماء وأدباء وحكام) من إكرام للضيف وتقديم يد العون له ماديا ومعنويا ومن الأدلة على ذلك ما ذكر في **الترجمانة الكبرى**: " ... فجاءني بعض الأحبة من أهل فاس وألزموني بالنزول عندهم ، وفي الغد جاؤوني وفي جملتهم قاضي البلد ... وبحضرة أهل دولة الباشا و كاتبه وحاجبه وصهره ... [4] "، أما صاحب كتاب "**فتح الإله ومنته**" فيذكر

---

(1) يقول الدكتور شو " الكيمياء التي كانت قديما العلم المفضل لهذه الشعوب لم يعد اليوم لها مكانة عندهم إلا في تقطير ماء الورد ". Thomas Shaw, op. cit , p 80.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص118 .

(3) غوستاف لوبون، *حضارة العرب* ، طه ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، 1964، ص 366.

(4) مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال** ...، المرجع السابق، ص ص 174 - 175.

ضيافة كل من محمد بن جعدون ومحمد بن مالك وكذا ابن عمار له[1]. وهم من كبار علماء المدينة وأدبائها . بالإضافة إلى تفضيل الحكام وتقديمهم لمبالغ مالية ومأكولات وهدايا للحجاج مع طلب الدعاء لهم في الحرمين الشريفين[2]. وكانت عادة العلماء إقامة دروس في الجامع الكبير واستحداث مجالس علم في بيوتهم ودكاكينهم. وكان التقاؤهم بغية حل بعض المشاكل ومناقشة بعض المسائل الفقهية، الأصولية، النحوية والتوحيدية وغيرها... [3]. فمرات يقرأ **صحيح البخاري** حتى يختتم، ومرات تحدث الإجازات لبعض الطلبة وتقدم لهم، وفي أخرى يتم استعراض كتاب أو توضيح كيفية تدريس مثلما فعل الورززي المغربي حينما حل بمدرسة الجامع الكبير، وهي عادة تكاد تكون متكررة في الجانب الثقافي.

و تكاد تكون هذه العادات الدينية والثقافية لم تسجل بدقة و تفصيل من طرف الرحالة الأوروبيين ،خصوصا ما تعلق بأمور العلماء والفقهاء في أعمالهم واهتماماتهم وانشغالاتهم.

واقتبسنا من كتاب هابنسترايت الألماني "**رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس**" بعض العادات والتقاليد نوجزها فيما يلي:

* عادات وتقاليد مدينة الجزائر تحددها ضوابط الشريعة الإسلامية، فالمسلم الصالح يتوجب عليه حسن معاملة أصدقائه، كما يطلب منه أن يكون شديدا مع أعدائه رحيما بالمنهزمين[4]، وهو في ذلك ممتثل لأمر ربه إذ يقول تعالى:

« محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم

---

(1) محمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص 91.

(2) مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال** ... المرجع السابق ، ص 175. " (تلقى الزياني 600 سلطاني من الحاكم).

(3) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق ، ص 216 ومحمد أبو راس، **فتح الإله...**، المصدر السابق، ص ص91- 98.

(4) ج . أو هابنسترايت، المصدر السابق، ص 46.

في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما »

*أغلب العادات التي يمارسها الجزائريون تستند في أساسها إلى قوانين وليس فيها ما يفاجئ الأوروبي كغياب النساء عن الحياة العامة واحتشامهن الشديد، فلا يسرن في الأزقة دون حجاب وعند ما يسافرن على ظهور البغال يكن مختبئات في ستائر غريبة.

* يمتنع المسلمون الأتقياء عن شرب الخمر.

* جرت العادة بإطلاق المدافع عند رؤية الهلال وأن يذهب الناس إلى إلقاء السلام وتقديم التهنئة إلى الأفندي الأكبر أو الداي (يوم العيد).

* اعتياد الأتراك على المبارزة الرسمية أيام العيد وهي نوع من الألعاب والمصارعة لأخذ الجائزة.

* وجود موسيقى الإنكشارية التي تعزف طيلة أيام العيد [1]....، ولا نكاد نشك فيما سجله هذا الطبيب الألماني حول بعض عادات الجزائريين في النصف الأول من القرن 12هـ/18م ، ولأن رحلته كانت علمية أكثر منها شيئا آخر، غير أن دي تاسي يصرح ويقول بأن عادات وتقاليد الجزائريين غير منتظمة، وأن سكان هذه المدينة لديهم تكبر وعلو بالنسبة للغرباء ولعله يقصد الأتراك أكثر من أي فئة أخرى. وعلى حد قوله أيضا أن الجزائريين متعودون منذ نعومة أظافرهم على رؤية العبيد في منازلهم، وكانوا يكرهون خصوصا الأسبان والبرتغاليين الذين أخذوا منهم مملكة أجدادهم [2]. حيث بقي العرب المسلمين في الأندلس زهاء ثمانية قرون وبعدها طردوا ونكل بهم ولوحقوا حتى سواحل شمال إفريقيا، وبالذات إلى مدينة الجزائر التي سجلت هجمات إسبانية عديدة، ومحاولات استدمارية بعد 921هـ/ 1510م، وبسبب هذا كان استنجادهم بالإخوة بربروس حينها . ويستثني دي تاسي التجار الذين كانوا يعاملون الغرباء معاملة حسنة ويرجع ذلك إلى تنقلاتهم وطبيعة عملهم الذي يفرض عليهم ذلك. ويشرح العادة المتبعة

---

(1) ج . أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 47 ، 49 .

(2) Laugier de Tassy , op. cit , p 69 .

للغرباء في كيفية سيرهم في المدينة، وكيف يقدمون إلى الداي من طرف قبطان البحرية مع وجود المترجم إن كانوا لا يعرفون العربية أو التركية، وكان يمنع عليهم حمل السلاح (السيف) بسبب ضيق الشوارع[1]، ولعل سبب المنع أمني بالدرجة الأولى، وتفاديا لجرائم قد تقع واعتداءات قد تحصل.

كما لاحظ دي تاسي أيضا ندرة الشباب في أزقة المدينة، وإن وجد التركي فعلى الأفراد الغرباء الانزواء جانبا عند مروره حتى لا يتعرضون للإهانة[2]. و المستنتج أن دي تاسي يمقت الأتراك مقتا كبيرا. حقيقة قد تصدر تصرفات من بعض جنود الإنكشارية و تعد بمثابة تجاوزات لا توصي بها السلطة التركية بل تحسب على الأشخاص الذين يرتكبونها.

وقد أسهب دي تاسي في الحديث عن لباس الأتراك وكيفية تفصيله ، ونوع القماش، فيذكر القمصان و القفاطين، الأزرار و الأحزمة والخناجر التي توضع فيها والأحذية الجلدية التي تترك في مداخل الشقق، و كذلك العمامة أو الشاشية المستعملة ، لأن مدينة الجزائر كانت معروفة بصنع هذا النوع من اللباس. وتطرق أيضا إلى عادة ترك اللحية عند الأتراك المسنين والذين يمتهنون وظيفة في الحكومة مع تغطية رؤوسهم، إلا أنه يستهجن هذا الأسلوب والنمط اللباسي، عكس الشباب الأتراك الذين لا يحملون لا قبعة ولا شاش ولا لحية بل شوارب يهتمون بها مع وجود قلنسوة من القطن الدقيق[3]. وحتى هذه العادات والتقاليد التي تخص اللباس يصمت عنها الرحالة العرب تماما لأن كتاباتهم كانت لأغراض علمية وثقافية موجهة لجمهور القراء العربي الذي يدرك هذه العادات ويعرفها، والمستنتج حول أراء معظم أصحاب الرحلة الأوروبية أن ما وافق طبائعهم وميولهم استحسنوه وما خالف ذلك استهجنوه في معظمه، وهذه ليست أحكاما موضوعية ومن زاوية دي بارادي ، الذي تحدث عن بعض عادات الأتراك في تسيير شؤون

---

(1) Laugier de Tassy , op. cit , p 70 .

(2) Laugier de Tassy , op. cit , p 70 -71.

(3) Ibid, pp 59- 60 et Mohamed ben abi Chaneb, " Origine de mot châchyya " in R.A, N 51, 1907 ; pp 55-56.

البلاد[1]، حيث يقول بأن الداي ينهض مبكرا قبل شروق الشمس، وبعدها ينزل إلى الديوان لاستقبال الضباط، ويقول أيضا أن الخزنجي، الآغا، خوجة الخيل وكبار الكتاب يجلسون على أرائك من حجر وهي موجودة مقابل منزل الداي، وهناك عادة تقبيل يد الداي ويتم تناول القهوة معه، وفي هذه الأثناء تعزف الموسيقى، كما أن هناك أوقات لفتح وغلق باب دار الإمارة. ويوم الجمعة لا يكون فيه استقبال ولا تبعث المهام، ولكن الذي يحدث هو أخذ الداي إلى الصلاة في المسجد. ويوم الثلاثاء هو يوم راحة للجميع وهو مطبق منذ أيام حكم بابا علي، أما عادة تناول الغداء فتكون حوالي الساعة التاسعة صباحا (الداي في بيته وكبار الضباط في مطبخ الديوان)، والغرف مزخرفة ومزينة بالسجاد (30 _ 40 سجادة) وكذلك المسدسات (07 – 08 مسدسات) و 12 بندقية مزينة بالمرجان عند المقبض والأصداف واللؤلؤ ، بالإضافة إلى وجود محافظ الصيد التي تعتبر هي الأخرى وسائل تزيين جدارية وما بين3 و4 ساعات حائطية ومرآة ، مع وجود الأريكة[2]. ومن خلال هذا فإن الغرف كانت تشبه إلى حد قريب متاحف اليوم وهي مزدانة بمجموعة من الهدايا التي كانت تقدم من طرف الدول الأوربية أوتأتي في الدنوش التي يبعث بها سكان البايليكيات (قسنطينة، المدية، وهران) في أوقات معينة وتوضع بعدها على جدران غرف الداي و في قصره.

كما يفهم جليا أيضا النمط المتبع في قصر الداي فيما يخص الأكل والجلوس في الديوان، والعمل في أيام الأسبوع ماعدا الجمعة للصلاة والثلاثاء للنزهة والاستجمام في الجنائن والأحواش الفحصية أين كانت إقامة بعض القناصل[3]، منهم قنصل فرنسا الذي كانت إقامته أكثرا سحرا وكانت هذه المنازل الفردوسية على ربوات السواحل وقمم بوزريعة ومنحدرات الحامة و الأبيار وصغريات أودية حيدرة ، وبير مراد رايس، وكانت إحدى هذه العجائب أيضا فيلا عبد اللطيف بالحامة[4].

---

(1) Venture de Paradis, op. cit,p 220.

(2) Venture de Paradis , op . cit, pp 220-221.

(3) ج .أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 34.

(4) مولاي بلحميسي، مدينة الجزائر من خلال ...، المرجع السابق، ص 19.

خامسا)- الأحوال الصحية لمجتمع مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م :

لقد تحدثت الرحالة العرب والأوروبيون عن الناحية الصحية لمجتمع مدينة الجزائر من زاوية الأمراض التي كانت موجودة أو كيفية العلاج والطريقة المتبعة والاعتقاد السائد أو حتى مناطق انتقال هذه الأمراض من الشرق الأقصى والمشرق العربي خصوصا.

إن الرحالة العرب يشيرون إشارات واضحة إلى مرض الطاعون مثلا كالمكناسي وابن حمادوش وتأليفهما في هذا الداء، أو الزياني أيضا الذي يؤكد على وجود هذا الوباء أثناء مروره بمدينة الجزائر متجها إلى المشرق العربي[1].

ونلمس من خلال كتاباتهم كيفية الاحتراز قدر المستطاع من هذا الوباء والإقامة بظاهر المدينة وعدم الدخول إليها إلا للضرورة القصوى، كأداء الصلاة أو شراء المستلزمات، وهذا ما نجده خصوصا في رحلتي المكناسي و الزياني، أما ابن حمادوش فيؤكد ذلك الاحتياط والاحتراز الذي اتخذه الباشا في الثالث من رجب 1157هـ الموافق لـ 11 أوت 1744 م إثر قدوم مركب من الإسكندرية مملوء بالحجاج وفيه الوباء ويقصد به الطاعون، فمنعوا من النزول والدخول إلى المدينة حمية أن يقوم ممرض على مصح [2]، وهو الأمر الذي نلمس منه الجهة الآتي منها الوباء أيضا وهي المشرق بسبب تنقلات الحجاج، كما يحيلنا إلى قضية أخرى هي تطبيق نظام الحجر الصحي عام1157هـ/ 1744 م.

إن دي تاسي يقدح كثيرا في الحالة الصحية لمجتمع مدينة الجزائر خصوصا والمملكة عموما ، حيث يقول بأن القوم في مملكة الجزائر يتباهون على الدوام بعدم أخذ الاحتياط للوقاية من وباء الطاعون أو لمنع انتشاره، لأنهم إن فعلوا ذلك فقد خالفوا

---

(1) محمد بن عبد الوهاب المكناسي، المصدر السابق، ص ص 330،331 .

(2) المصدر نفسه،الصفحة نفسها

و عبد الرزاق بن حمادوش ، المصدر السابق، ص 121.

و محمد أبو راس، المصدر السابق، ص 179.

و مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال** ...، المرجع السابق، ص 174.

الأوامر الإلهية وأركان عقيدتهم التي تدعو إلى التسليم بالقضاء والقدر، ويستمر في قوله ويؤكد على أنه رأى بنفسه سنة 1131هـ/ 1718م قدوم مركب إنجليزي محمل من الإسكندرية حيث كان الطاعون يضرب بشد، حتى أن قبطان هذه العمارة توفي وكذلك بعض التجار المسلمين[1].

وعلى الرغم من أننا نجهل من أين له بهذه المعلومات والمعارف التاريخية ولماذا المركب الإنجليزي يستقر في مرفأ المدينة ؟ ويكمل سرد قصته بأن طاقم السفينة تم إنزاله بحمولته (الحرير والقطن) في نفس اليوم الذي وصلت فيه السفينة بعد أن قدم القناصل البيانات المعهودة للداي دون أن يحدث أي عارض ، ويتحدث مرة أخرى عن الطاعون الذي عم البروفانس (مقاطعة بفرنسا) وأحدث فيها أضرارا كبيرة وهلعا في كل مكان، إلى درجة أنه نسي فيها بمدينة الجزائر. ويؤكد على الاعتقاد بأن هذا الوباء أمر مقدر وأن محمد الداي لم يرجع العمارات القادمة من مرسيليا، بل تعدى ذلك إلى رفض الترخيص والسماح لها بتسليم الرسائل التي كانت على متن هذه السفن[2]. لقد كان الطاعون يأتي أيضا من جنوب أوربا، ونفى دي تاسي وجود طبيب في مدينة الجزائر ولا في أي مكان من المملكة، لأن المجتمع حسب فهمه واعتقاده يدين (يستهجن) الشخص الذي يحترف هذه المهنة(الطب) والأشخاص الذين يريدون أن يعتبروا من الصالحين يقولون أن أخذ الدواء بلا تبصر لمعالجة الأمراض الداخلية بمثابة اختبار الله[3].

وهنا يطرح التساؤل: هل فعلا تعرف دي تاسي على كل سكان مملكة الجزائر وكذا مدينتها الواحد تلوى الآخر حتى يصدر هذا الحكم؟ أم أن فكرة ومبدأ القضاء والقدر طبقه على هذا الجانب وذلك لمجرد أنه رأى على حد قوله الداي بابا علي يحتضر وقد أصابته حمى شديدة ، ورغم هذا رفض أخذ أي دواء ويقول أنه في هذه الأثناء كان يوجد طبيب فرنسي ضمن عبيده، وهو رجل ماهر قطع عهدا على نفسه أن يشفيه ولكن الداي كان يردّ أن عدد أيامه مكتوب في اللوح المحفوظ منذ الأزل، ويؤكد بعض المؤرخين أن هذا

---

(1) Laugier de Tassy , op. cit, p 82.

(2) Ibid. p82

(3) Ibid , p 82.

الداي الذي ادعى دي تاسي رؤيته قد توفي في فبراير 1717 م بسبب مرض الملاريا، ودي تاسي وصل إلى المدينة يوم 2 جويلية 1718 م[1]. فمما يتضح أنه كان يكتب من مصادر أخرى قد تكون شفوية وإخبارية نقلت له الأخبار وقد يكونوا عبيدا أو تجارا أوقناصل، كما يكون قد قرأها في بعض الكتب السابقة. في حين يعترف مرة أخرى بقبول الجزائريين للعلاج الخارجي، وأن لكل عائلة أدوية خاصة وعدد المرضى في المدينة قليل والناس يعمرون وهم أقوياء، وهذا بسبب الاعتدال في الأكل والشرب منذ الصغر[2].

بينما يصرح الدكتور شو بوجود مجموعة من الأطباء إلا أن عددهم ضئيل يعرفون الأطباء العرب مثل الرازي وغيره. وقد سأله طبيب الداي الذي هو إمام أيضا ما إذا كان المسيحيون يعرفون أبوقراط، والذي كان أول الأطباء العرب. ويقول هذا الطبيب الإنجليزي أن الكتب العلمية التي يعتمد عليها هؤلاء الأطباء لا تتجاوز كتاب ديسكوريس[3]. في حين نجد أن الطبيب الرحالة ابن حمادوش كان قد تعلم الأعشاب من طرف شخص آخر، وقام ببعض المعاجين الصحية انطلاقا من أحاديث نبوية، وألف كتابه " **الجوهر المكنون في الطب** " (في السموم، في الترياقات، في الأمراض، في المفردات وتعريبها...) [4]، ولعل كتابه المشهور في هذا الشأن هو **كشف الرموز** وقد ألفه على منوال ابن سينا في كتابه "**القانون**" [5]، لأنه كان شغوفا بقراءة ونسخ كتب هذا الطبيب العربي كما أن تذكرة "داوود الأنطاكي" كانت معروفة حينها ومتداولة بين الناس مثلها مثل كتاب " **كشف الرموز**"، وكتب ابن رشد وابن البيطار .... وغيرهم[6].

ومما لاشك فيه أن السكان في المدينة يقومون بقراءة هذه الكتب واقتنائها أيام الحاجة على الأقل، ويعرج الدكتور شو في شأن آخر بحيث يذكر عدة أمراض وكيفية

---

(1) عزيز إلترسامح، ***الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية***، ت محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989 ، ص ص 462 -468 .

(2) Laugier de Tassy , op. cit, p 82.

(3) Thomas Shaw,op, cit, p 80 .

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 120 -121 – 160.

(5) أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، المرجع السابق، ص35.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

علاجها في مدينة الجزائر منها مثلا: الروماتيزم الذي كان علاجه بواسطة الكي، وأيضا مرض الطاعون الذي كان يعالج في الصباح بتقديم مجموعة من الأدوية للمصاب ويذكرها هذا الطبيب مثل: الزعفران، وتكاد تكون طريقة العلاج بالكي موجودة في بعض الأماكن من البلاد الجزائرية إلى اليوم.

أما تقديم الأعشاب الطبية للمصاب فهو أمر مازال مستعملا في عدة أماكن، ليس في مدينة الجزائر فحسب، بل في كل البلاد ولأن معظم الأدوية عادة ما تصنع من الأعشاب الطبية، ويستعملها حتى المشعوذ في طقوسه وتمائمه ، ولعل الرحالة الأوربيون أخلطوا في هذا الشأن بين من هو يهتم بالشعوذة والسحر، ومن يقدم بعض الوصفات الطبية في الزوايا والمساجد كالشيخ عبد اللطيف الذي اشتهر بالأحاديث النبوية التي تدور حول التطبيقات الطبية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

والمستنتج من استعمال سكان المدينة للأعشاب الطبية وطرقهم المتبعة والتي تبدو عند أصحاب الرحلة الأوروبية تقليدية، خصوصا وأن دايات الجزائر لم يهتموا بصحة السكان في المدينة اهتماما كبيرا ولا بالعلوم الطبية ولم يشجعوا حتى على دراستها، بل تركوا هذا إلى مبادرات الأفراد واجتهاداتهم، وهذا لا ينفي على الإطلاق عدم معرفتهم لبعض الأمور الطبية والصحية.

وإن كان الطاعون والأمراض المعدية تحصد أرواح السكان حصدا، فهذا لا يعني عدم اتخاذ الوقاية والاحتراز بقدر ما يعني قوة انتشار هذه الأمراض الآتية من مناطق متعددة ومنها متيجة، حيث يخبرنا حمدان بن عثمان خوجة أنها منطقة حمى[2]، وتظهر في أوقات متقطعة فتصيب السكان وتلازم حتى المتأقلمين[3]. وكما هو معلوم فإن متيجة سهل قريب جدا من مدينة الجزائر، وقد كانت إلى حد ما مصدر أمراض المستنقعات بسبب تراكم المياه فيها، فزادت من نسبة الوفيات، وحمدان خوجة له

---

(1) عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 273 .

(2) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 85 .

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تأليف في الطاعون[1]. وكثيرة هي التآليف في هذا الصدد منها على سبيل الذكر لا الحصر: - **الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون** لأبي راس الناصر.

- **المن والسلوى في حديث لا عدوى** لمحمد بن أحمد الشريف الجزائري.

- **فتح الجليل في أدوية العليل وأعلام المسارب في الأكل والطب مع المشارب** لأحمد بن قاسم البوني.

- **المنافع البينة وما يصلح بالأربعة أزمنة** لمحمد بن علي الصنهاجي[2].

وكان الطاعون يدعى شعبيا "الحبوبة"، إذ وجدناه هكذا في كتاب الشويهد حيث يقول: " ظهر الوباء المسمى بالحبوبات الصغرى زمن والدي بابا حسن قارة بغلي (1112 هـ/ 1700 م) [3]. وحتى أيام إبراهيم باشا (1153 هـ /1740م). وقد عرف أيضا بحبوبة العصر، بعدها انتقل وباء الحبوبات للجزائر من بلاد المغرب الأقصى على عهد الداي محمد عثمان في شهر رجب عام 1160 هـ /1750م ..."، كما يذكر أنواع عديدة لهذا الوباء.

ومن خلال ما تقدم فمصادر الطاعون والأمراض المعدية كانت عديدة؛ من الشرق ومن أوربا ومن المغرب الأقصى... وكان للأسبان مستشفى لأسراهم في مدينة الجزائر ولكل الأسرى، وهو يسير من طرف رجال الدين للإشراف على عبيدهم المرضى، وهناك ثلاثة مستويات... تقدم فيه التغذية والنجدة لكل العبيد المرضى المسيحيين ومن كل الأمم، كما توجد صيدلية لتقديم الأدوية وجراح ماهر، والسلطات في مدينة الجزائر تحمي هذا المستشفى، كما أن الأسرى الذين يعملون عند أكابر القوم يعالجون في هذا المستشفى[4]،

---

(1) حمدان بن عثمان خوجة، ***إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الإحتراز من الوباء***، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1986. (نقلا عن عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر، المرجع السابق)، ص 123.

(2) عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص 142 .

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) ج.أو.هابنسترايت، المصدر السابق، 34 . J.A. Peyssonnel , op. cit , p 254.

والعاملون فيه يرتدون أفخر الثياب ويأكلون أشهى الأطعمة ولا يعملون إلا أعمالا طفيفة تمكنهم من أن يجمعوا مالا لافتداء أنفسهم [1].

وفيما يتعلق بمدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م ، فإن العلوم التجريبية لم تكن قد بلغت درجة فائقة من التطور بحيث تحدد جراثيم الأوبئة تحديدا مضبوطا، ولأجل هذا كان الاختلاف بين من يعتمد على قوله تعالى "*ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين*" [2]، ومنهم من يعتمد على قوله" *قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون* "[3].

وفي الاعتقاد الأكبر أن المجتمع بمثل ما يؤمن بالقضاء والقدر أيضا يعرف الأخذ بالأسباب خصوصا في الوقاية والعلاج وذلك باستعمال الأدوية التي يعرفها والطرق التي ألفها وتعود عليها. وكما هو معروف فإن صحة المجتمع لها تأثير كبير على عدة جوانب، وأن الأمة التي تسلم من الأمراض والأوبئة تستطيع أن تسير قدما ولو بخطى متساوية وتطرد عدة آفات وعوارض.

وأخيرا نخلص إلى تعدد الأمراض والأوبئة في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م. وكذا كيفية العلاج التي كانت في أغلبها وفق ما تنص عليه الشريعة وما هو معروف حينها من طرق ووسائل، مع صبغة الاعتقاد بأخذ الاحتياط والاحتراز واجبة وضرورية عكس ما تفوه به دي تاسي، ورغم ذلك يحدث ارتفاع في عدد الوفيات نتيجة قوة الأمراض وتعدد جهاتها ومصادرها، مع إهمال الدولة لهذا الجانب وأيضا ضعف طرق ووسائل العلاج إذا ما قورنت بالقارة الأوربية.

---

(1) Venture de Paradis, op. cit. p 232.

(2) *القرآن الكريم*، البقرة، الآية 195.

(3) *القرآن الكريم*، التوبة، الآية 51 .

ومما تقدم حول مجتمع مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م نخلص إلى النتائج التالية:

1- إهمال الر حالة العرب لذكر عدد سكان مدينة الجزائر، مع إشاراتهم لبعض الفئات وهم في هذا الشأن يكتبون لأغراض علمية، وكتاباتهم موجهة لجمهور غالبيته يعرف مجتمع المدينة ولا حاجة له بالعدد، غير أن الرحالة الأوروبيون ركزوا بشيء من التفصيل على عدد سكان المدينة والذي لم يكن مستقرا منذ بداية القرن الثامن عشر إلى نهايته، وهم بذلك يكتبون لأغراض عديدة سياسية وعسكرية في مقدمتها، وحاولوا تسجيل كل ما هو غريب عنهم بخلفية وأحكام مسبقة ما عدا القلة منهم من أمثال الرحالة الألماني الطبيب هابنسترايت.

2- سجل الرحالة التنوع الإثني والثقافي في مجتمع مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، وكانت للرحالة الأوربيين الملاحظات القيمة أيضا في هذا الشأن بذكر حتى أعداد الفئات وكذا عمل كل فئة، في حين لم نصل إلى درجة المقارنة بينهم وبين الرحالة العرب الذين كانت التفاتاتهم محتشمة لهذا الجانب أو تكاد تكون منعدمة لولا تلك الإشارات.

3- إن صمت الرحالة العرب عن اللغة المتداولة في المدينة لدليل كبيرعلى عدم اهتمامهم بأمور في اعتقادهم بسيطة، ولأن اهتماماتهم كانت منصبة على أمور أكبر (ما يدور في المساجد وبين العلماء وكذا القراءات والدروس وغيرها...)، في حين ركز الرحالة الأوروبيون على اللغة المتداولة وهي الفرنكية **franque** ناهيك عن اللغات التي استنبطناها من التنوع الإثني والعرقي الذي دل من زاوية أخرى على اهتمام الرحالة الأوربي بكل ما هو غريب عنه وتسجيله لما يلفت انتباهه.

4- بقدر ما تنوعت الفئات في مجتمع مدينة وتعددت لغاتها وتباينت عاداتها وتقاليدها ، فقد سجل الرحالة العرب ما كان قريبا من انشغالاتهم وتكرر حدوثه في المدينة مرارا، في حين كان الرحالة الأوروبيون أكثر دقة وفي جوانب عدة وهذا بسبب اختلاف العقيدة واللغة والعادات والمقومات بين الأوربي والمسلم

فدونوا بذلك ما شد انتباههم اجتماعيا دينيا و ثقافيا... وأدرجوا آراءهم بين القبول والاستهجان.

5- سجل الرحالة الأوروبيون عموما ازدراءهم من الوضع الصحي في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م ، وأنقصوا من قيمة الثقافة الطبية لمجتمع المدينة عربا وأتراكا وحاولوا إظهار تفوقهم في هذا الجانب، في حين أن الرحالة العرب حاولوا تدوين ما يعرفون في هذا الشأن.

ومجمل القول حول من ينتقل من مجتمعه إلى مجتمع آخر غريب عنه في عرقه، لغته، دينه ، عاداته وتقاليده... يحاول جاهدا تسجيل كل ما يستطيع عنه وتقع عليه عينه وأكثر من ذلك إن كان مبعوثا سياسيا أو دبلوماسيا فتسجيلاته تأخذ الدقة إن لم تكن مقيدة بأحكام مسبقة وشرائط في المخيلة لا تمحى رغم كل المشاهدات، فتفسيره للأشياء والحوادث يكون في الغالب مؤولا، وإن كانت مصلحته علمية وغرضه أسمى، وهذا ما تعكسه كتاباته وحتى ألفاظه، رغم كل اختلاف بين الشعبين والحضارتين... أو غير ذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتـــــمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

ومن كل ما تقدم حول مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال بعض الرحالة العرب والأوروبيين نخلص إلى النتائج التالية:

1- إمكانية توجيه الأبحاث مستقبلا إلى شخصيات رحالة سواء عرب أو أوربيون لأن الغموض ما زال يلف العديد منهم وبالأخص الشخصيات الوطنية من أمثال ابن عمار، ابن حمادوش، أبو راس...وغيرهم.

2- تنوع المجالات التي كتب عنها الرحالة، فقد انفرد الرحالة الأوروبيون بتسجيل الأوصاف الدقيقة لما شاهدوا، كما دونوا الأخبار الغريبة عنهم، لكن في معظمها كانت مدفوعة بأحكام مسبقة أو عدم فهمهم لحقيقة ما يحدث لذلك كانت أحكامهم مخالفة ومغايرة لهذه الحقيقة، بينما سجل الرحالة العرب حضورا قويا في المجال الديني والثقافي فيما يخص: المساجد، العلماء، الفتاوى، الدروس...

3- الرحالة الأوربيون كانت وجهتهم الشمال الإفريقي عموما ومدينة الجزائر بالخصوص وهدفهم هو نقل صورة عن المدينة إلى بلدانهم ، لذلك جاءت كتبهم غنية بمادة خبرية عن المدينة وفي جوانبها العديدة، تدفعهم مرجعياتهم وتكوينهم المغاير وهوما انطبع على كتاباتهم وأسلوبهم، في حين أن الرحالة العرب كانت وجهتهم الأماكن المقدسة ودور العلم والثقافة، لذلك لم تأت كتاباتهم بوصف دقيق لمجتمع المدينة ومرافقها ماعدا الإشارات الطفيفة التي تكاد تكون منعدمة، وهذا ما صعب من دراسة المقارنة (اختلاف الهدف في الكتابة بين الفريقين).

4- كما سجلنا ميول كل رحالة من خلال رحلته وتأثير مهنته على كتاباته، فالطبيب اهتم كثيرا بأمور الطب من أمثال ابن حمادوش و توماس شو، والفقيه اهتم كذلك بأمور الدين أمثال أبو راس الناصر والدبلوماسي والسياسي اهتم بأمور الدفاع والتحصين وكل مل له علاقة بالجانب العسكري.

5- استحالة التعرف على مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م من جهة واحدة أو مصدر واحد، فلابد من التنويع في المصادر والأخذ بعدة علوم لمعرفة الحقيقة والصواب من

التدليس والخطأ ، خصوصا إذا ما نظرنا إلى تاريخنا بمنظار الغير فإننا نفقد المقومات والشخصية وربما نبتعد عن جادة الطريق، وهذا لا يعني إهمال ما كتب الغير عنا.

6- لقد تحصنت مدينة الجزائر بسور منيع وخندق وأبراج وحصون، بالإضافة إلى وجود الأبواب الخمس وفي جهات متفرقة، ولولا أهميتها الدفاعية وقيمتها الأمنية لما ذكرها الرحالة الأوروبيون بالتفصيل، في حين أن إهمال الرحالة العرب لها ربما يأتي من باب الألفة لها والتعود وكذلك غرض كتاباتهم و ميولاتهم التي كانت دينية وثقافية وتربوية أكثر منها عمرانية وعسكرية.

7- وجدت دار الإمارة وسط مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م وهي تشبه دور المدينة من حيث الشكل والتصميم، وما يميزها هو وجود الراية والمصباح فوق بابها الوحيد، ولها عدد من المرافق والعديد من الأشخاص لكل وظيفته، ولقد تفنن الرحالة الأوروبيون في ذكرها وذكر أوصافها وتصميمها بحكم الفضول والتطلع إلى ما هو غريب عنهم في كل شيء، فقد دونت أقلامهم معظم ما شاهدوا، حتى بياض المدينة في منازلها وقصورها وسطوحها شد انتباههم، وقد تكون هذه الخاصية تنعدم عندهم وفي مدنهم لذلك سيطلق عليها فيما بعد "**الجزائر البيضاء**" وهي صفة تنم عن النظافة والبهاء.

8- والنقطة التي أراها إيجابية في شأن الهندسة المعمارية للدور والقصور هي أنها في مجملها ذات هندسة واحدة والاختلاف يكمن في التأثيث وبعض النقوش ومواد البناء ليس إلا، وهذا الأمر لم يتناوله الرحالة العرب مما زاد من تعقيد المقارنة ، فهي نقطة يختلفون فيها مع الرحالة الأوروبيون الذين عوضوا النقص، ومن هذا المنطلق فالرحالة الأجنبي سجل كل ما هو غريب عنه، بينما الرحالة العربي فالأمر صار بالنسبة له مألوفا وعاديا لا يستدعي حتى الإشارة إليه.

9- يخبرنا الرحالة الأوروبيون بوجود شارع أو نهج كبير وواسع يصل بين باب الواد وباب عزون تتوسطه دار الإمارة، وهذا النهج هو السوق الكبير في المدينة وبه الدكاكين ومعظم السلع تتواجد به، وما عدا هذا الشارع فإن الأزقة ضيقة شأنها في ذلك شأن بعض المدن العربية الإسلامية في تلك الفترة (دمشق، تونس، القاهرة...)

10- إن مدينة الجزائر منظمة تنظيما اجتماعيا ومهنيا إلى حد ما، وهذا لا يعني التميز والتفرقة بقدر ما يعني محاولة التحكم في الوضع الاجتماعي والاقتصادي بسبب التنوع العرقي والديني وأيضا الحرفي والتجاري.

11- قدم الرحالة الأوروبيون وصفا دقيقا لمرافق عدة في مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م سواء بالنسبة للأسواق أو للفنادق أو الحمامات. في حين سكت الرحالة العرب عن هذا وركزوا خصوصا على ما يحدث في المساجد من دروس وفتاوى وقراءة **صحيح البخاري** وكذا بناء مساجد جديدة والاهتمام بهذا المرفق، في حين اختلفوا مع الرحالة الأوروبيون في ذكر أوصافها الخارجية فقط وكذا عددها سواء الجامعة أوالصغيرة، فكان اهتمام الرحالة العرب بجوهر المسجد وشكله، وإذا ما أخذنا الأبيات الشعرية التي كتبها الزياني في مسجد كتشاوة الذي رمم في تلك الفترة فخير بقاع الأرض المساجد.

12- إن اختلاف الرحالة الأوروبيون عن العرب في ذكر مجال التعليم ووسائله وطرائقه ليس بالجديد، فقد ذكروا عدد المدارس العليا والوسائل البسيطة والطرق التقليدية المتبعة، وأهملوا إلى حد كبير الجوهر والمتمثل في حفظ القرآن كاملا وكذا التزود ببعض المعارف والعلوم النقلية وهو ما ركز عليه الرحالة العرب ، هذا لقدسية القرآن والتفقه في الدين.

13- تشابه الرحالة الأوروبيون والعرب في ذكر نوعية المياه خصوصا العذبة منها، والتي كانت تأتي من تيلملي و الحامة، في حين اختلفوا في ذكر شبكة مياه المدينة التي وصفها الرحالة الأوروبيون بشيء من التفصيل، من مناطق التزود إلى إنشاء العيون في الأحياء، وحفر الآبار داخل البيوت والتي أصبحت ثقافة عمرانية في مدينة الجزائر وقلما كانت المدينة تحتاج إلى هذا المورد الحيوي والهام، ولعل اهتمام الرحالة الأوروبيين بهذا الشأن بغية تقديم خدمة عسكرية لحكوماتهم وقادتهم.

14- أهمل الرحالة العرب عدد السكان وكذا عدد الفئات المتواجدة وفي مقابل ذلك اهتم بها الرحالة الأوروبيون، لعل لهذا ما يفسره و بالدرجة الأولى الغرض من الكتابة لكلا

الفريقين فالأوربي قد يخدم بمعلوماته مجالات عدة أهمها العسكرية بنسبة كبيرة وكذا التعرف على العلاقة بين الفئات والتماسك الاجتماعي إن وجد، وأعمال كل فئة وذكروا أيضا اللغة المتداولة فيها وهي اللغة الفرنكية التي لم يذكرها الرحالة العرب.

15- اختلف الرحالة العرب والأوروبيون في ذكر العادات والتقاليد التي كانت تسود مجتمع مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م، فإذا كان للرحالة العرب اهتمام بالعادات والتقاليد الدينية (مثل المولد النبوي الشريف) والاجتماعية (الختان والأعراس)، فإن اهتمام الرحالة الأوربيين كان باللباس والأكل وبعض العادات الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية أي كل ما هو غريب عنهم كما قدموا آراءهم بين الاستحسان والاستهجان.

16- إن تشابه الرحالة العرب والاوروبيون في ذكر وباء الطاعون لا يعني التطـابق فـي كيفية العلاج بل اختلفوا في هذا الشأن ، فقد أقدم الرحالة الأوروبيون على ذكر تـدهور الوضع الصحي لمجتمع المدينة، ولعلهم قارنوه بما وصلت إليه أوربا من تطور حينها، أما الرحالة العرب فتكلموا عن كيفية التعامل معه بالطرق التي يعرفون.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحـــــق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق:

ملحق رقم (1): عقد نكاح ابن حمادوش الثاني:

"... الحمد لله. تزوج على بركة الله تعالى وتوفيقه ، وعلى منهاج الشرع القويم وطريقه، المكرم الأجل الناسك الأجر الفقيه العالم النبيه السيد الحاج عبد الرزاق ابن السيد محمد ابن حمادوش، به شهر، مخطوبته وكريمته الولية زهرا بنت محمد، الثيب المتوفي عنها الحل للنكاح على صداق مبارك ميمون قدره مابين نقد محضر وكالي مؤخرا ربعمائة دينار كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة التاريخ وقفطان واحد كمنحة، نقدها من ذلك قبل البناء بها وإرخاء الستر عليها شطر الدنانير الموصوفة مع القفطان المذكور وباسم الكالي وحكمة الشطر الباقي من الدنانير المزبورة، يحل لها عليه المضي أربعة أعوام آتية من تاريخه لا براءة له من جميع الكالي المذكور إلا بالواجب شرعا. انكحها إياه بما سمي فيه شقيقها المكرم السيد احمد أمين جماعة الصفارية في التاريخ بتوكيلها له، وقبل الزوج المذكور النكاح المذكور وارتضاه، قبولا ورضا تامين، فتم النكاح بينهما على واجب الكتاب والسنة، والخير الشامل من الله والمنة، ألف الله بينهما باليمن والبركة، وخار لهما في حالتي السكون والحركة، وشهد عليهم بما فيه عنهم في أحوالهم بجائزة شرعا وعرفهم بتاريخ أوائل شوال من عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف. أحمد بن دحمان"

عبد الرزاق، بن حمادوش، المصدر السابق، ص ص242 – 243.

ملحق رقم (2): رحلة الزياني من المغرب الأقصى إلى الحجاز مارا بمدينة الجزائر.

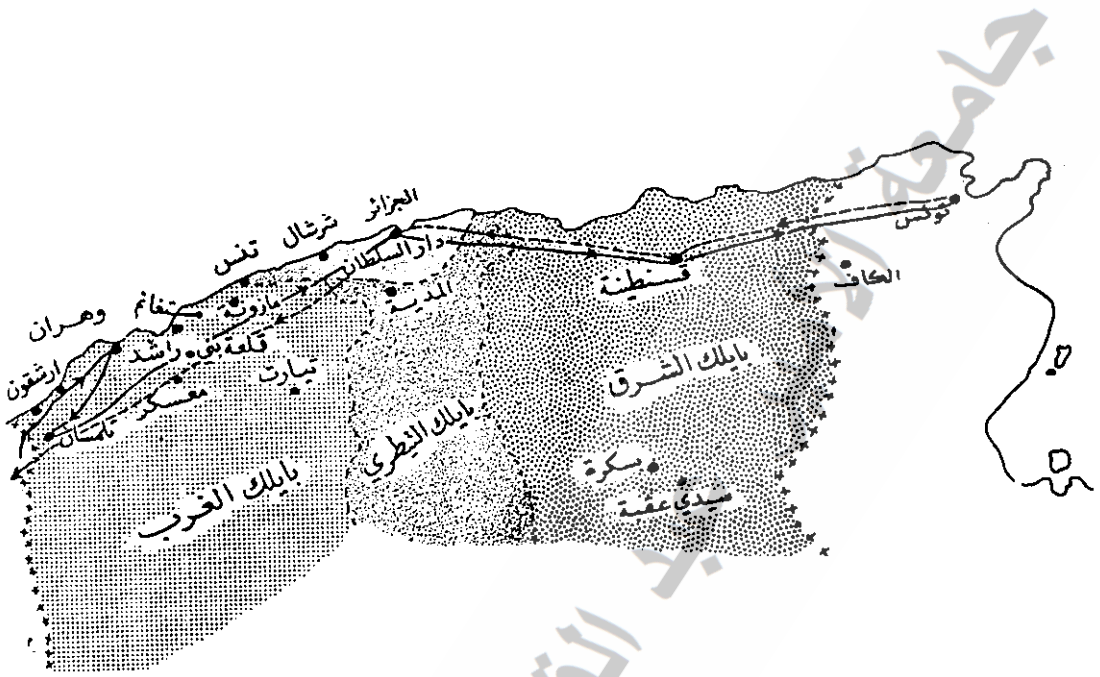

رحلة الزياني

——— طريق الذهاب

-.-.-.- طريق العودة

مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات...**، المرجع السابق ص 164.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (3): خريطة مدينة الجزائر.

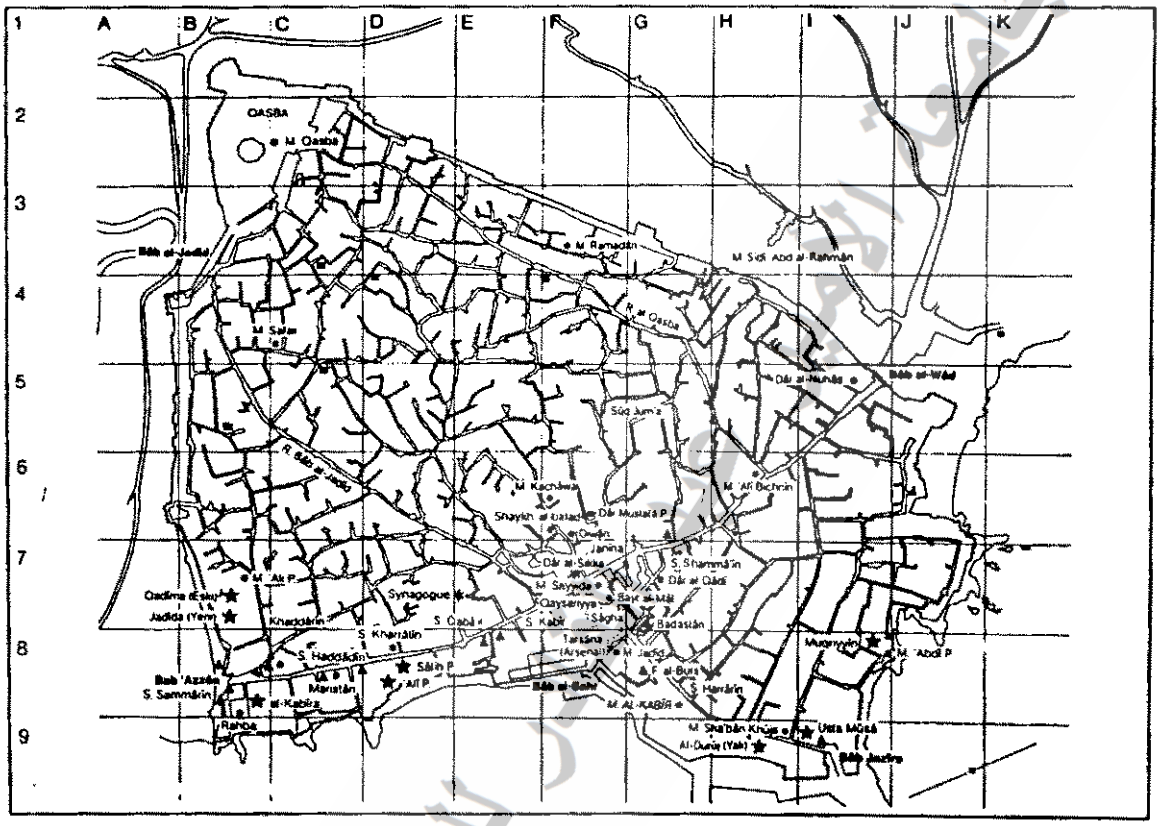

26. Plan d'Alger.

f. funduq (caravansérail)
h. hâra (quartier)
k. khân (caravansérail)
m. madrasa
M. mosquée
P. pacha
p. pont
Q. quartier
R. rue
s. souq
w. wakâla (caravansérail)

★ caserne
✝ église
▲ funduq
■ petit marché
✱ synagogue

André Raymond, op. cit, pp 232-233.

ملحق رقم (4): شارع باب الواد في مدينة الجزائر.

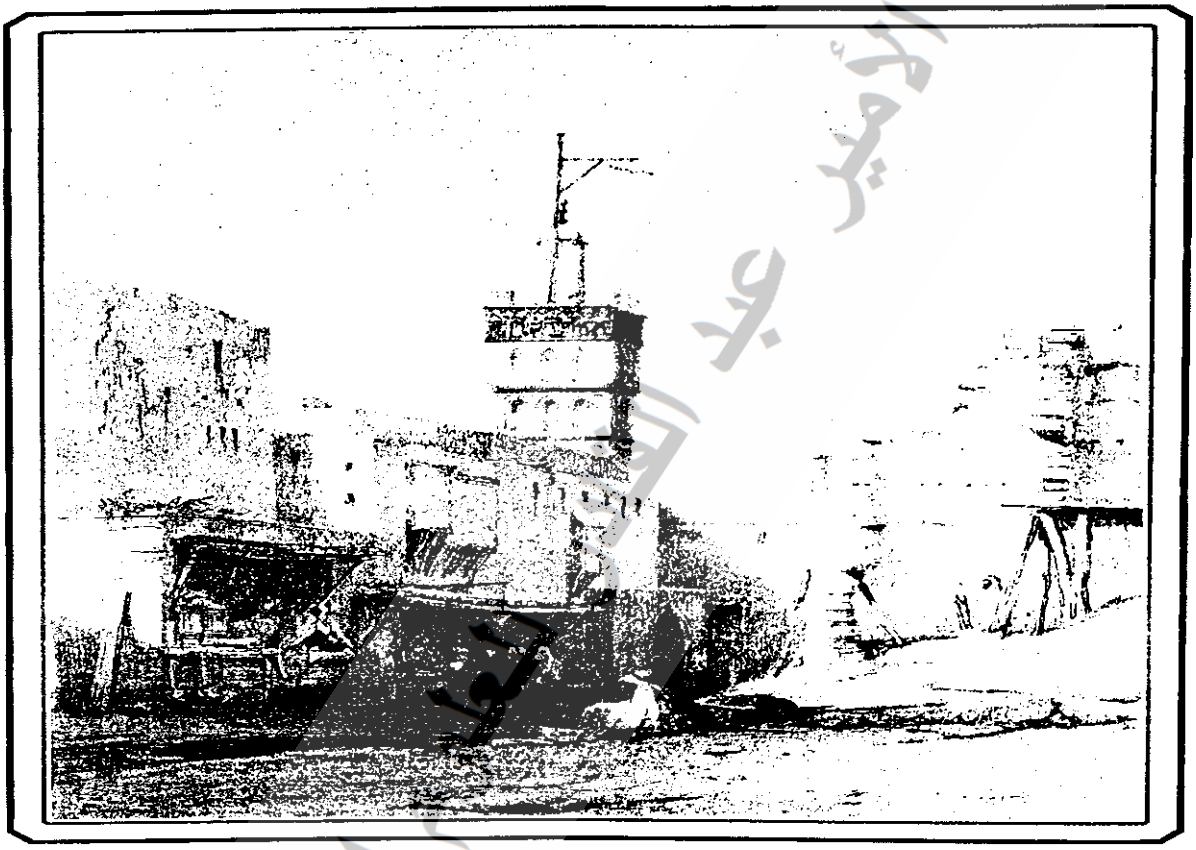

ليسور و ويلد، المصدر السابق،ص3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (5): شارع باب عزون في مدينة الجزائر.

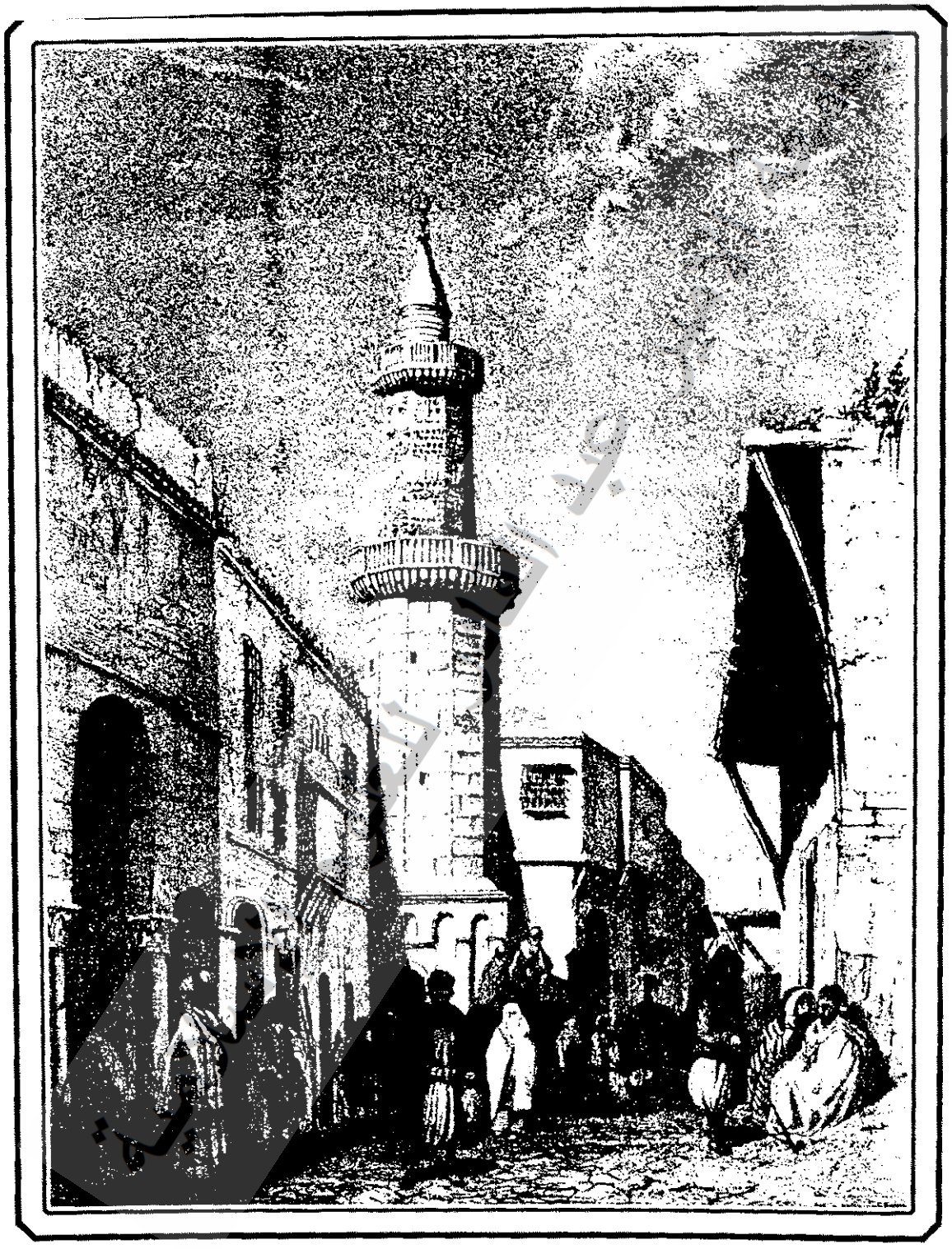

ليسور وويلد، المصدر السابق،ص4.

ملحق رقم (6): شارع باب الواد في مدينة الجزائر.

ليسور وويلد، المصدر السابق، ص 6.

الملحق رقم (7): شارع باب الجديد في مدينة الجزائر.

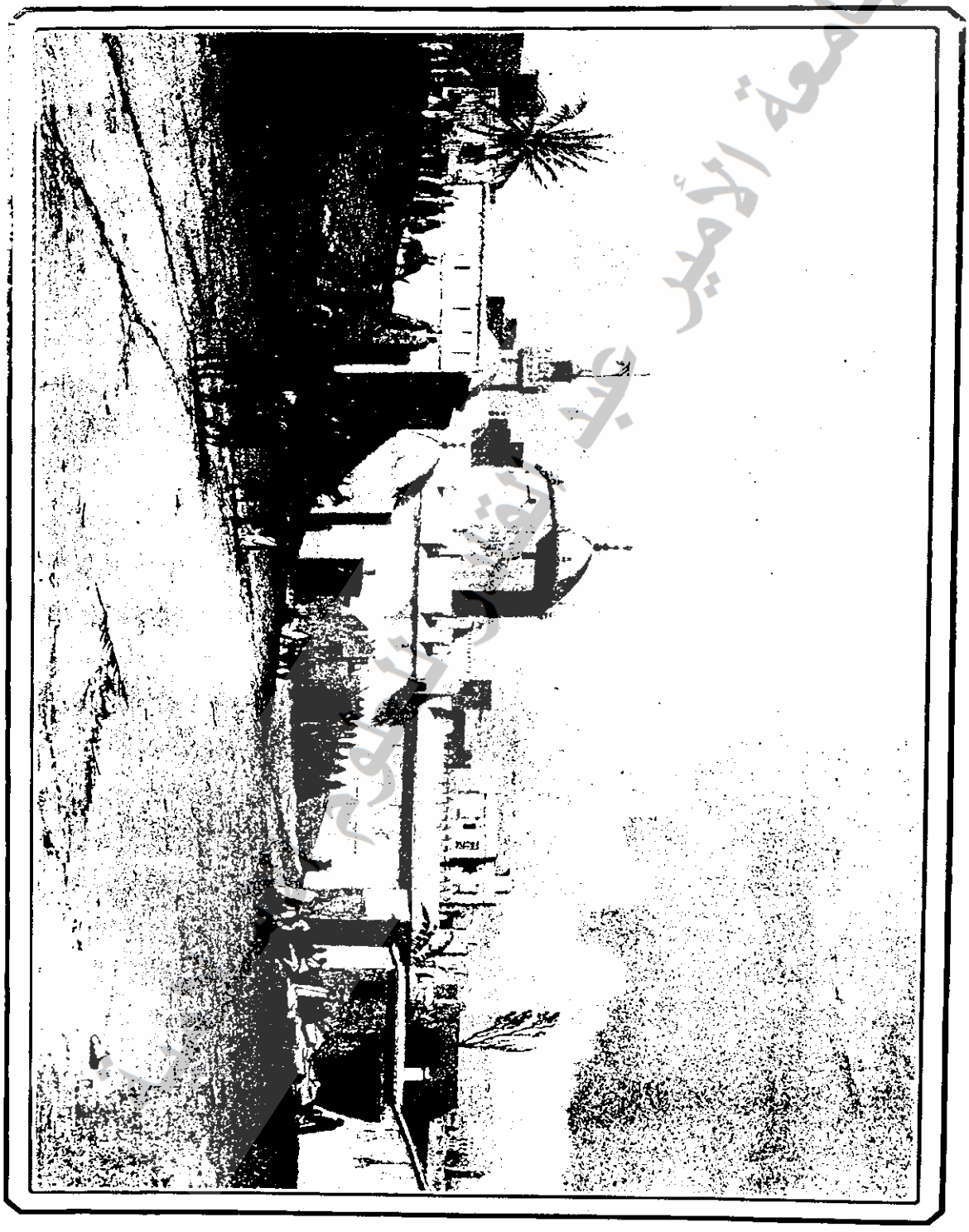

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 29.

الملحق رقم (08): منظر البحرية لمدينة الجزائر.

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 11.

الملحق رقم (09): منظر الخليج من الباب الجديد في مدينة الجزائر.

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 27.

ملحق رقم (10): شارع القصبة من شوارع مدينة الجزائر.

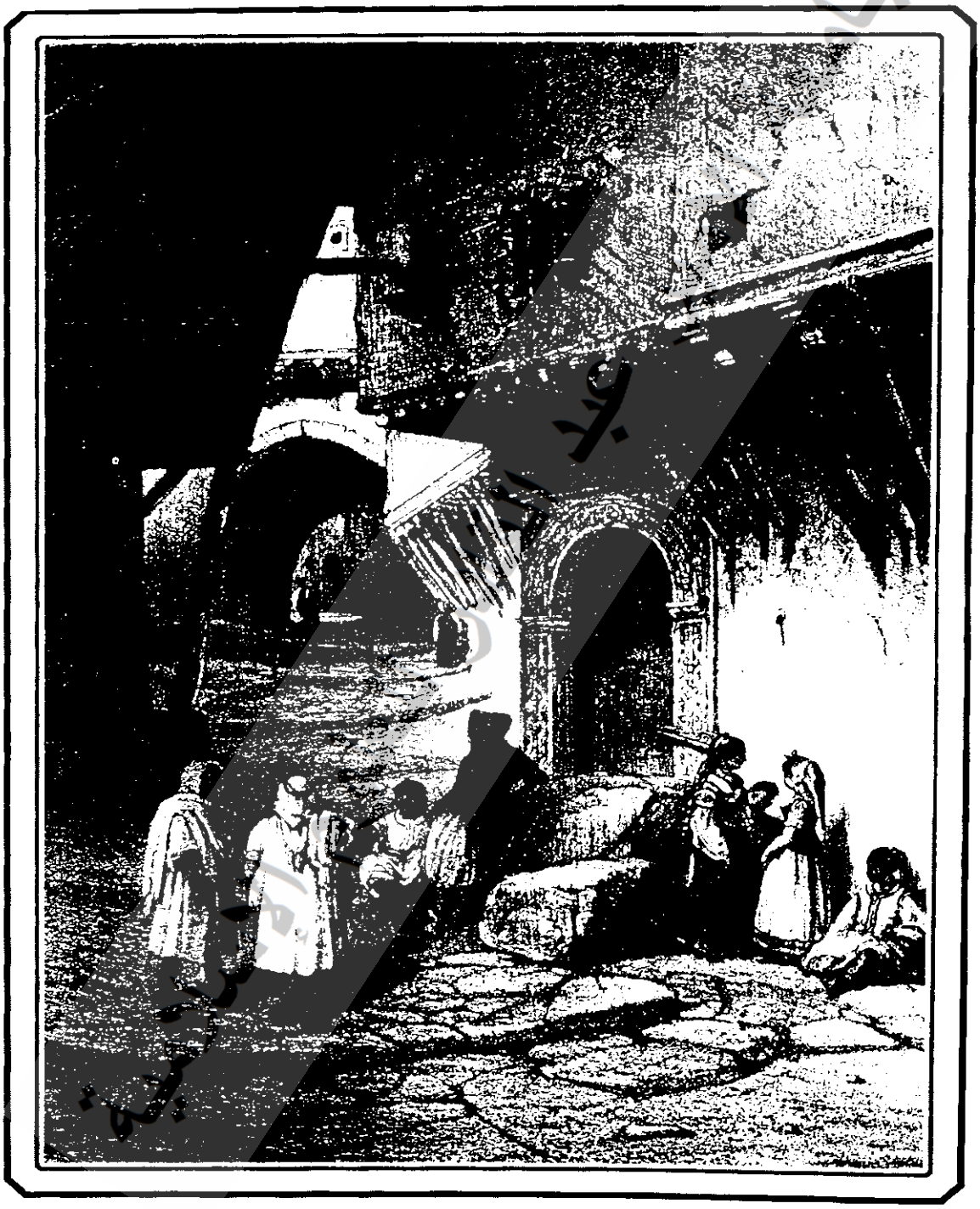

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 33.

الملحق رقم (11): تاجر في مدينة الجزائر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 7.

الملحق رقم (12): فندق البحرية من أهم فنادق مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

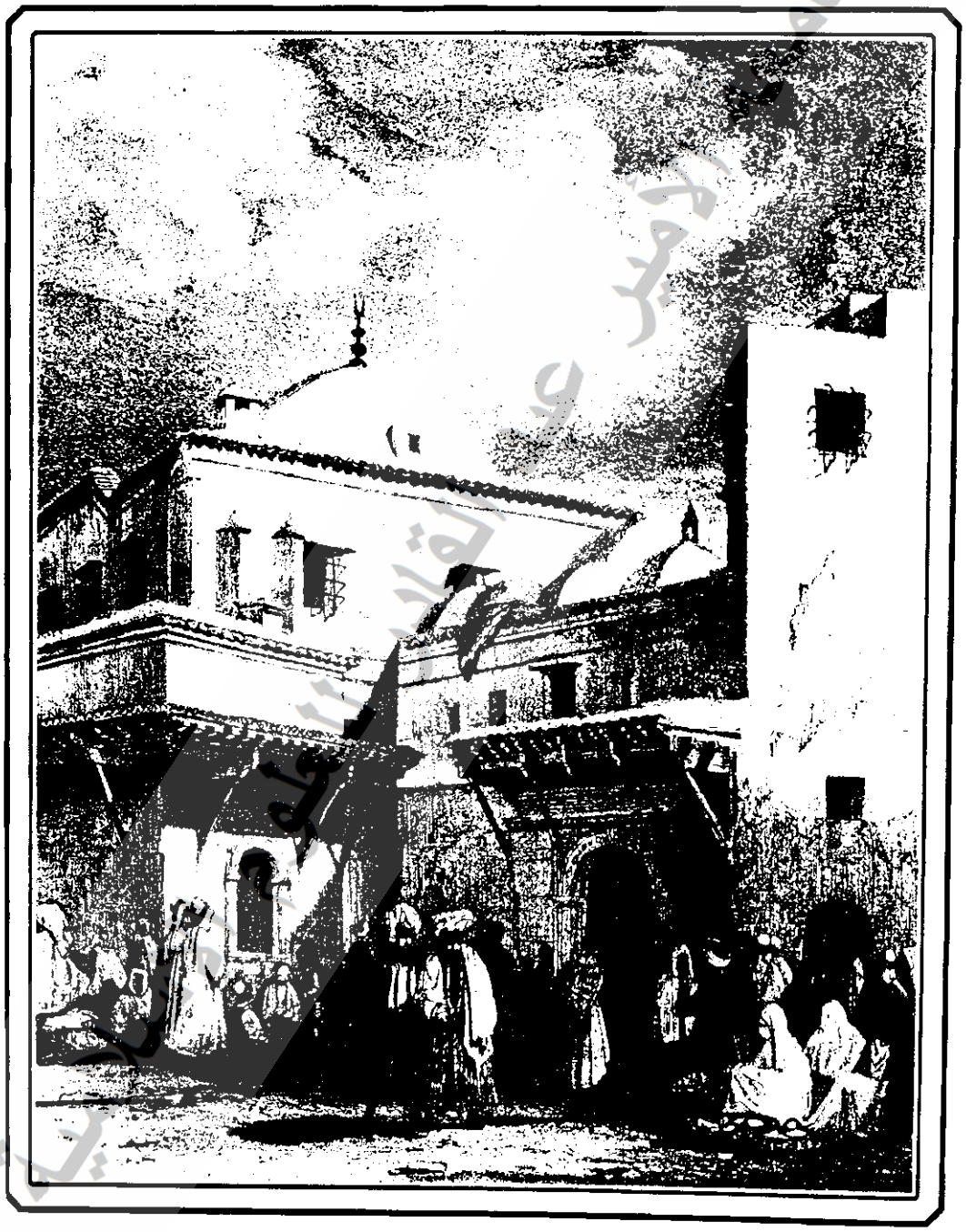

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 32.

الملحق رقم (13): حمام الداي في مدينة الجزائر.

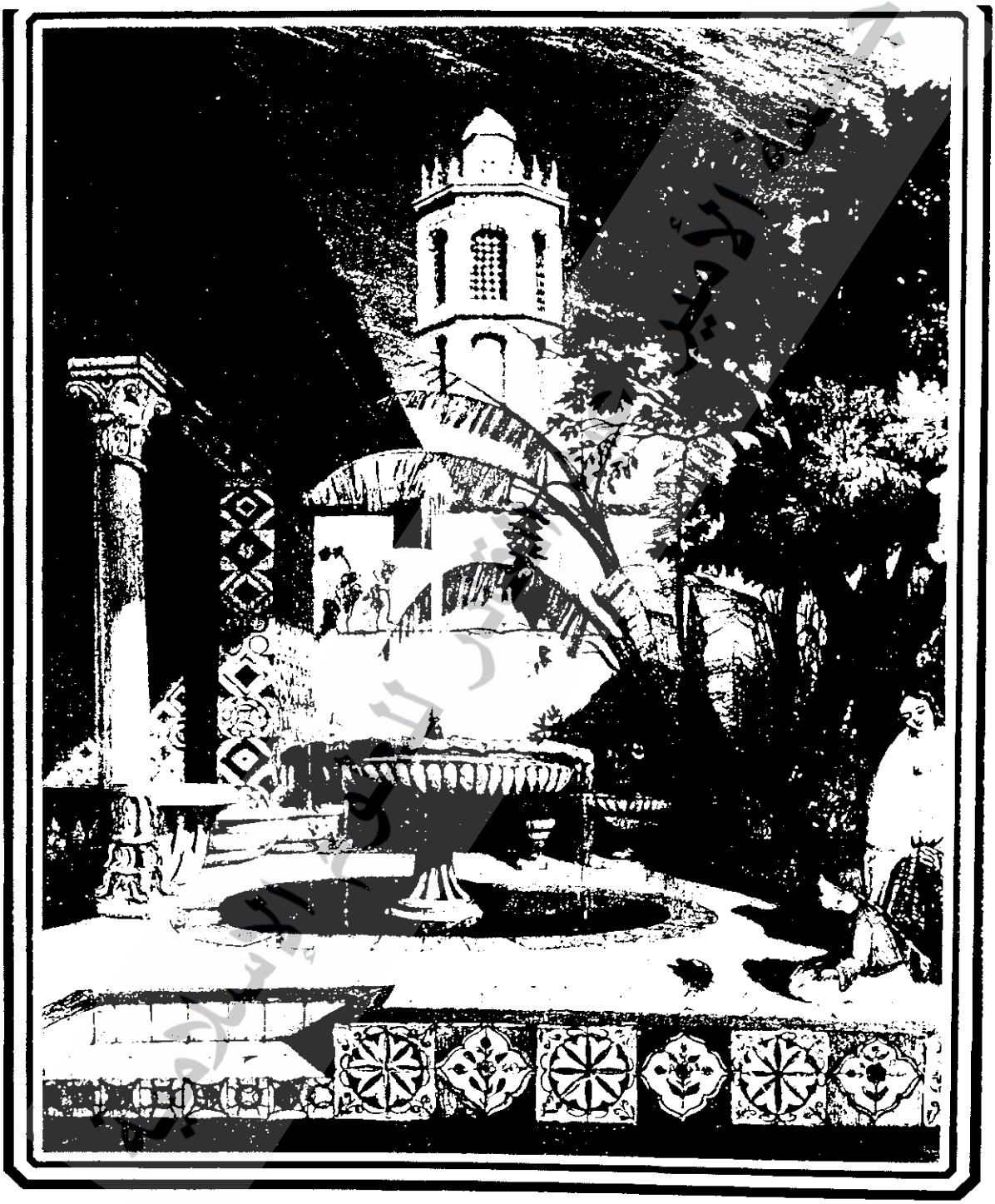

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 30.

الملحق رقم (14): مدرسة أو" كتاب" في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

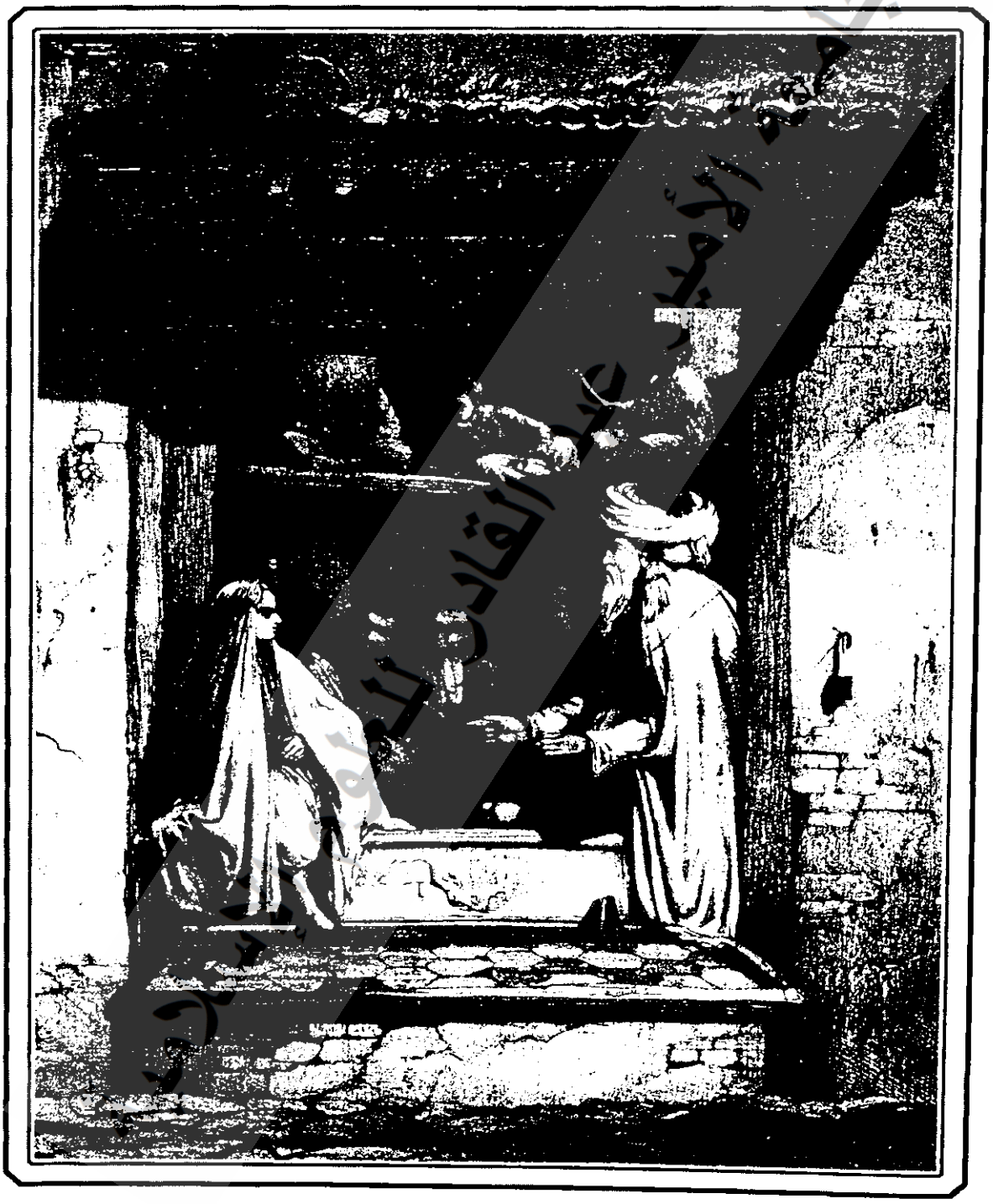

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 24.

الملحق رقم (15): المسجد الكبير الموجود في وسط مدينة الجزائر.

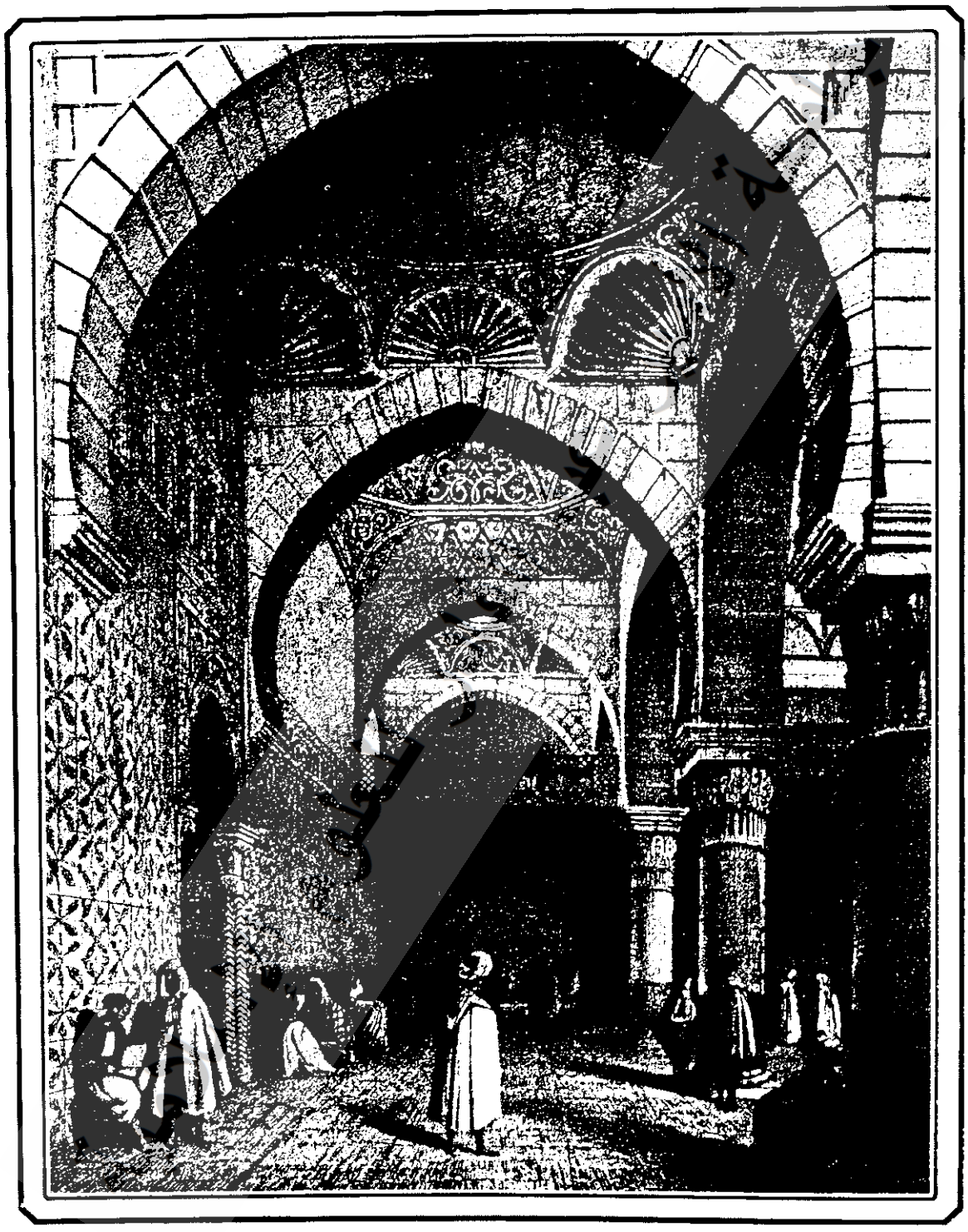

ليسور وويلد، المصدر السابق، ص 9.

الملحق رقم (16): منظر داخلي لمنزل في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

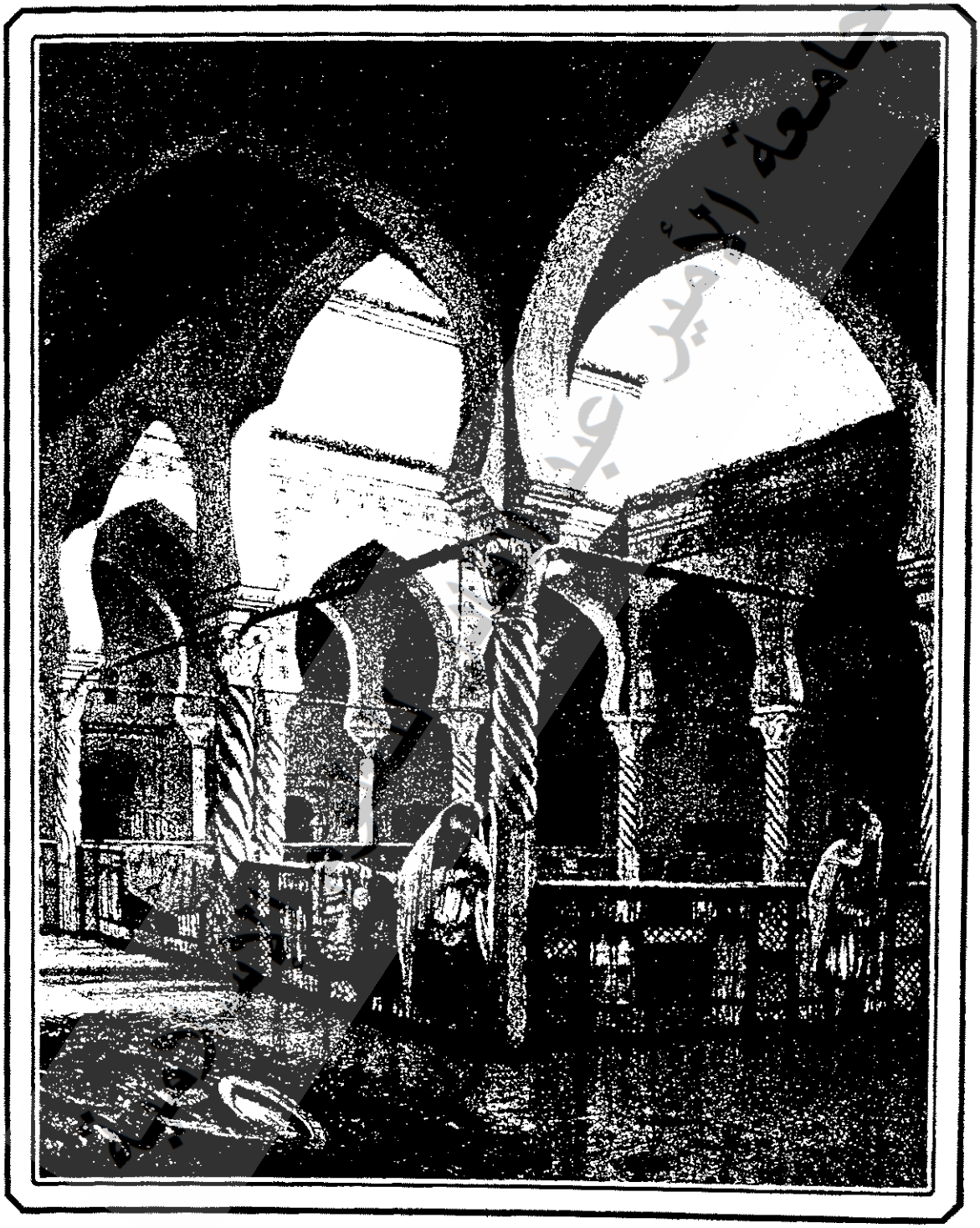

ليسور و ويلد، المصدر السابق، ص 40.

الملحق رقم (17): قناة باب الواد.

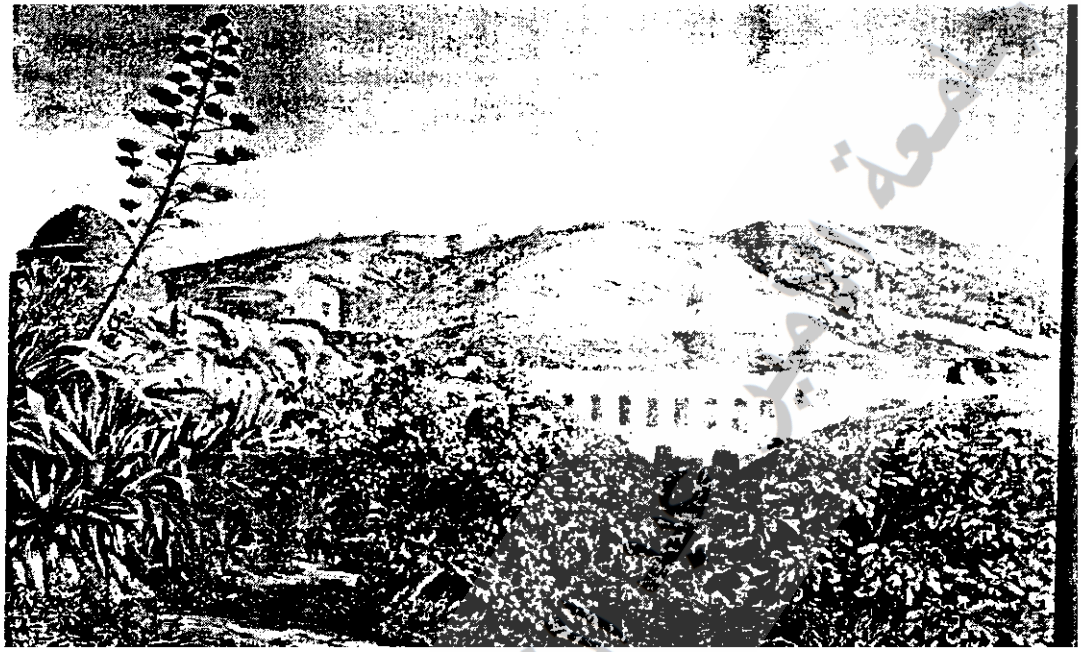

مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال...**، المرجع السابق، ص6.

ملحق رقم (18): قناة الحامة.

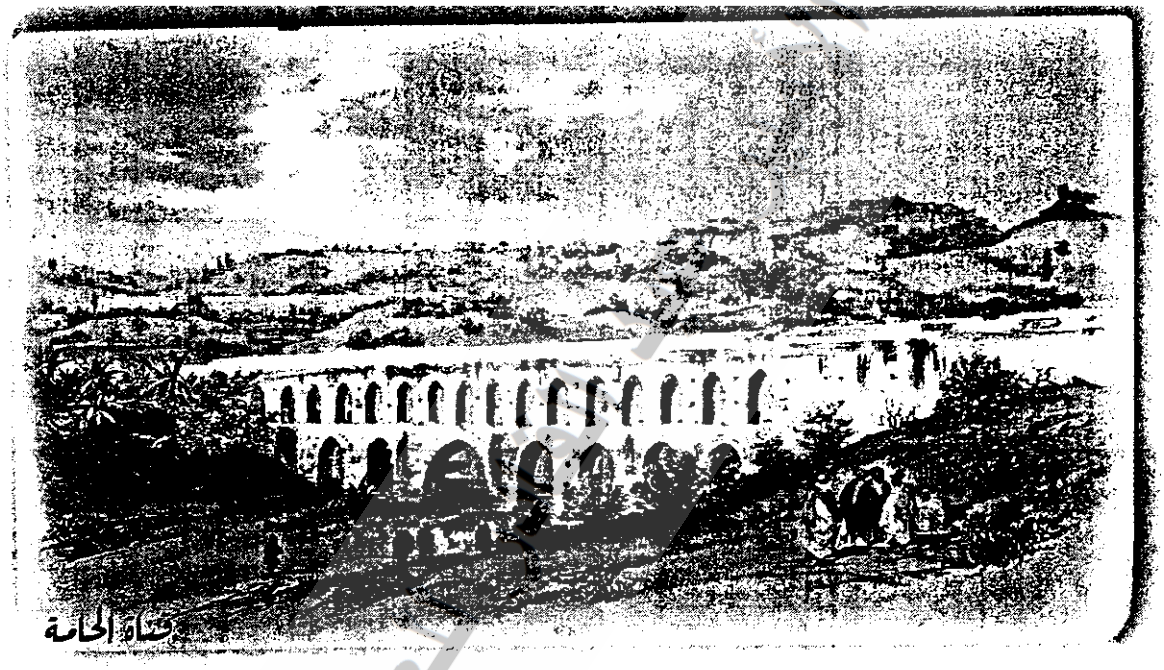

مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال...**، المرجع السابق، ص12.

الملحق رقم (19): آبار وعيون وأواني في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/ 18م.

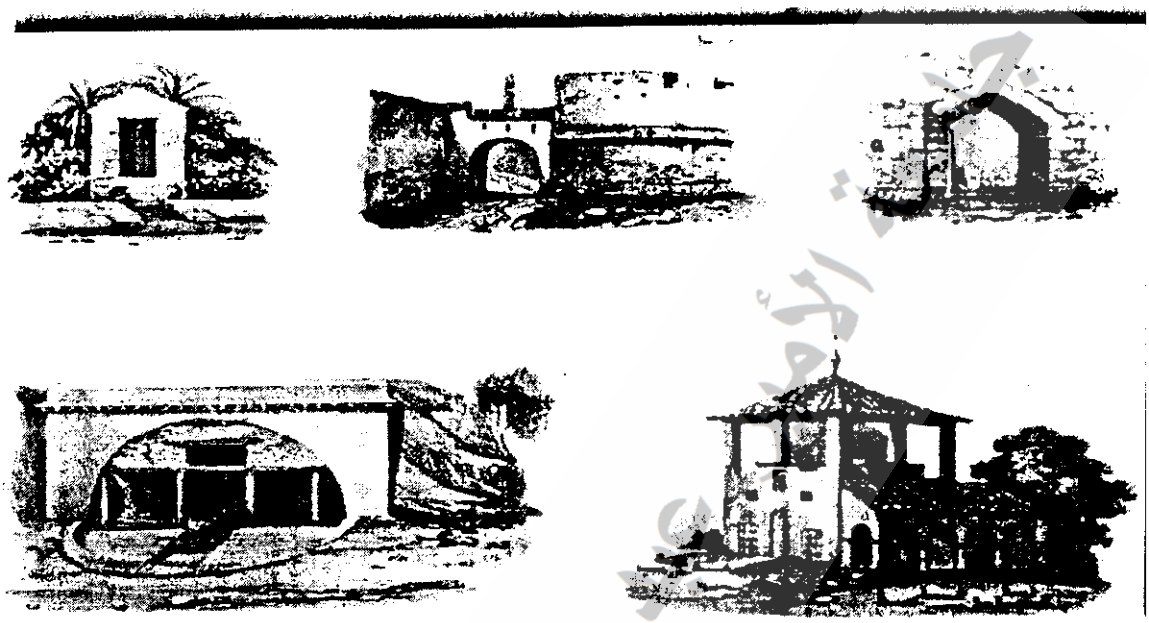

آبار و عيون وأواني

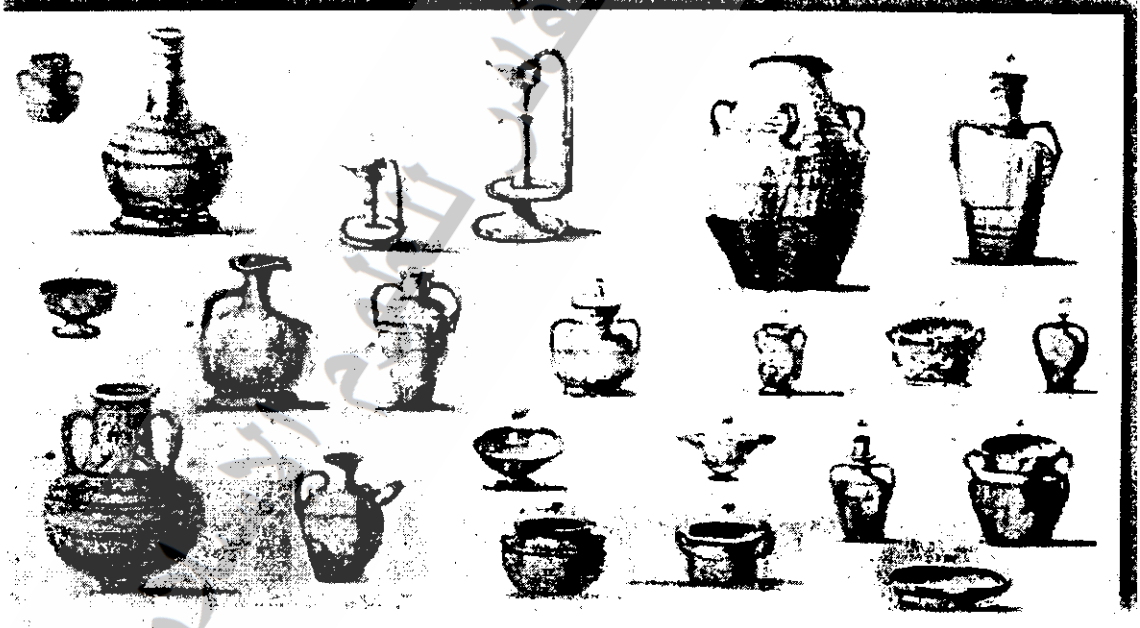

مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال...**، المرجع السابق، ص 9.

الملحق رقم (20): صهريج داخلي في مدينة الجزائر في القرن 12هـ/ 18م.

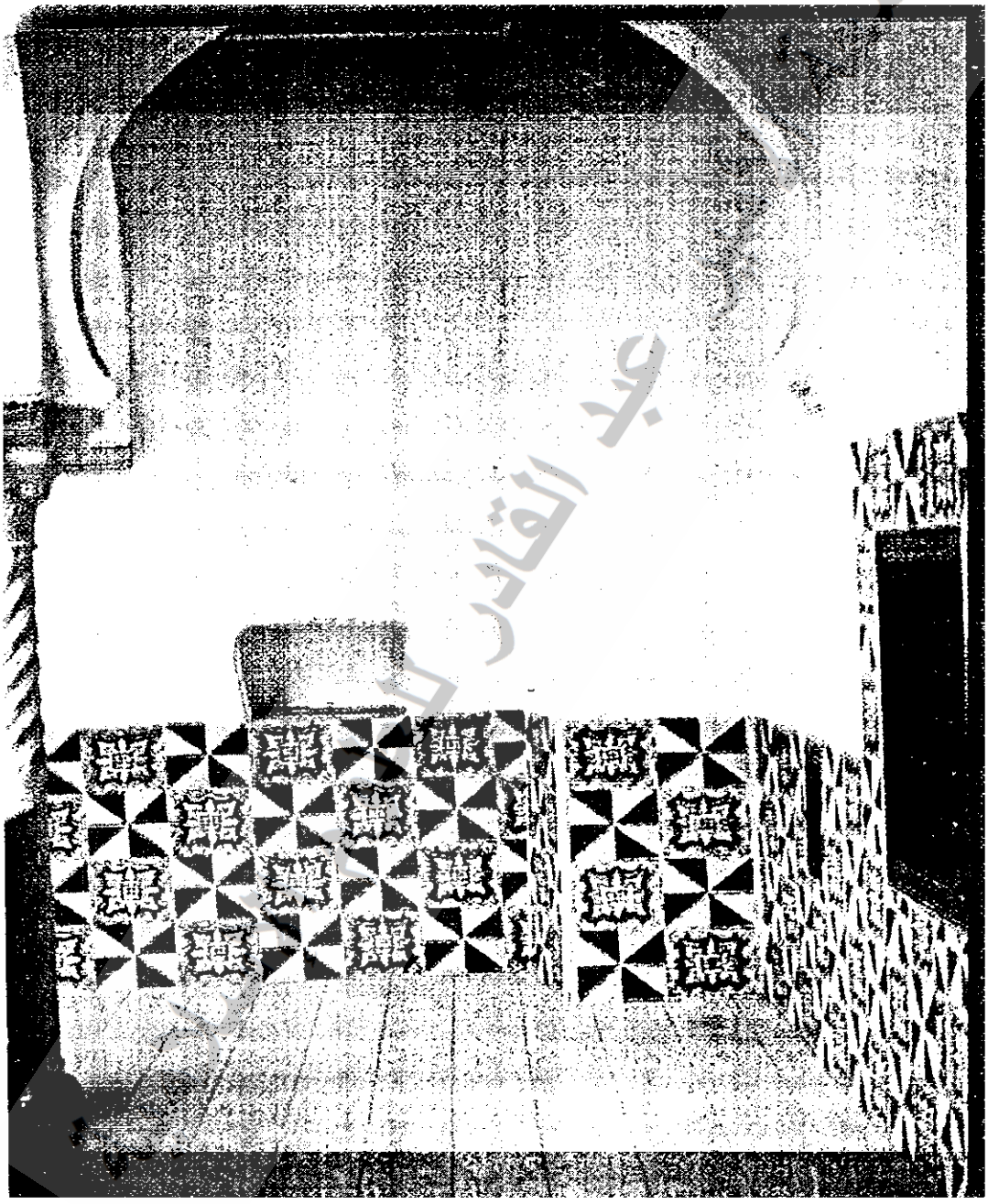

مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال...**، المرجع السابق، ص19

ملحق رقم (21):صورة لمدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م

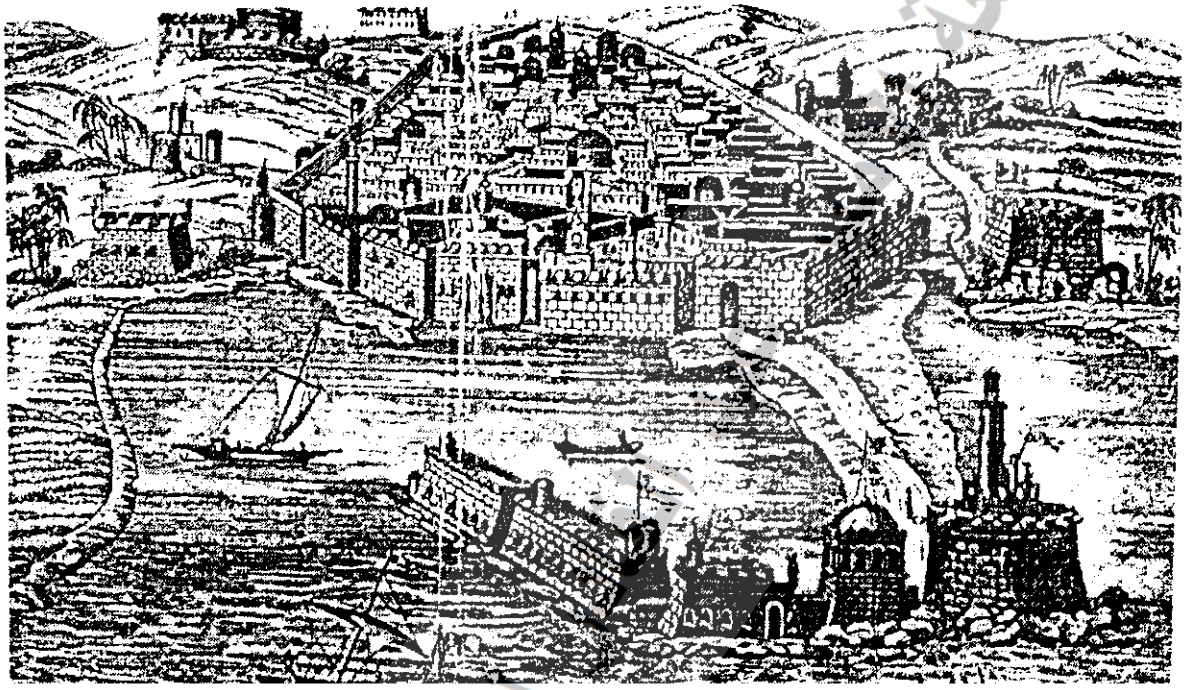

جامعة العلوم الإسلامية

الملحق رقم(22): قائمة الكتابات الفرنسية والرحلات إلى مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/ 18م من إنجاز الدكتور ناصر الدين سعيدوني.

1702. Le Chevalier Laurent d'Arvieux (1635-1702), *Mémoires (1646-1690)*, Pub. par R. P. Jean-Baptiste Labat, Paris, Ch. J. Delespine, 1735 (T. 5 : La Régence d'Alger).

1703. Le Père Philémon de la Motte, *États des Royaumes de Barbarie, Tripoli, Tunis et Alger contenant l'histoire naturelle et politique de ces pays...*, Rouen, G. Behourt, 1703, La Haye, G. de Voys, 1704 (Journal de voyage).

1720. Les Pères F. Camelin, J. Bernard et Ph. de la Motte de l'Ordre de la Sainte Trinité dit Mathurins, *Voyage pour la rédemption des captifs aux Royaumes d'Alger et Tunis fait en 1720*, Paris, Louis Anne Seveste et P. F. Giffart, 1721.

1725. Jean-André Peyssonnel, *Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger fait en 1724-1725*, Pub. par Dureau de la Malle, Paris, L. D. Guide, 1838 (1er Volume), Dernière édition, Paris, La Découverte, 1987 (268 p.).

1726. Le Père Jean-Baptiste de Lafaye, Denis Macker, Augustin d'Arcisas, Henri Le Roy, *Relation en forme de journal de voyage pour la rédemption des captifs aux Royaumes du Maroc et d'Alger pendant les années 1723-1724 et 1725*, Paris, L. Seveste, 1726 (Alger, Éd. Bouchène, 2000) (Éd. récente, présentation d'Ahmed Farouk, Paris, Éd. Bouchène, 19...).

1731. La Condamine, *Voyage au Levant – Alger en 1731*, Pub. par Marcel Emerit sous le titre : « Le voyage de la Condamine à Alger (1731) », in *Revue africaine*, T. 98/1954, pp. 354-381.

1731 Joseph.-A. Morgan, *A Complete History of Algiers to which is prefixed an Epitome of the General*, London, 1731, Trad. par Boyer de Primaudie sous le titre : *Histoire des États barbaresques qui exercent la piraterie (Alger, Tunis, Tripoli et Maroc)*, Paris, 1757 (2 Vols).

1732. J. E. Hebenstreit, *Lettres à Frédéric Auguste II Roi de Pologne*, Pub. par Bernouillies, Berlin-Leipzig, Trad. française par Eyriés sous le titre : « Voyage à Alger, Tunis et Tripoli en 1732 », in *Les nouvelles annales de voyages*, T. 16/1830, pp. 5-90.

1732. Jean-Baptiste Tollot, *Nouveau voyage fait au Levant (1731-1732) contenant les descriptions d'Alger, Tunis, Tripoli de Barbarie, etc.*, Paris, A. Cailleau, 1742 (Des passages sur Alger résumés par A. Berbrugger, in *Revue africaine*, 1867, pp. 417-434.

1738. Dr. Thomas Shaw (1692-1751), *Travels or Observations Relating to Several Parts of Barbary and the Levant*, Oxford, 1736-1738 (2nd ed., 1743). Trad. Française : *Voyage dans plusieurs provinces de la Barbarie et du Levant, contenant les observations sur les royaumes d'Alger et de Tunis, la Syrie, l'Egypte, l'Arabie petrée*, Oxford, 1738, 2ème Éd, London, 1757 (1ère Trad. française, La Haye, chez Jean Neaulme, 1743, 2 Vols ; 2ème Trad. française abrégée par J. Mac Carthy, Paris, 1830, 405 p.).

1777. M. G. Kokovtsov, *Journal de voyage et diverses avec diverses observations (1776-1777)*, Pub. par M. Canard sous le titre : « Une description de la côte barbaresque au XVIIIème siècle par un officier de la Marine russe M. G. Kokovtsov », in *Revue africaine*, T. 95/1951, pp. 121-186.

1784. Louis-René Desfontaines, *Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger (1783-1784)*, Pub. par Dureau de la Malle, Paris, Gide, 1838 (Vol. 2, 185 p.).

1785. James Leander Cathcart, *The Captives J. L. Cathcart (1785-1796)*, Pub. par J. B. Newkirk, Laporte, 1899, Trad. en arabe par Ismaïl Larabi, Alger, O.P.U., 1982.

1789. Venture de Paradis, « Mémoires et observations (1788-1790) », rassemblés et publiés par E. Fagnan, in *Revue africaine*, T. 39-41/1895-1897 (2ème Éd., Tunis, Bouslama, 1984, 3ème Éd. par J. Cuoq, Paris, Sindbad, 1983, 292 p.).

ج. أوهابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 132-134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (23): أعمدة بيانية لتعداد سكان مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م حسب بعض الرحلات الأوروبية (دي تاسي، شو ، دي بارادي).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (24): منحنى بياني لتعداد سكان مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م حسب بعض الرحلات الأوربية (دي تاسي، شو ، دي بارادي)

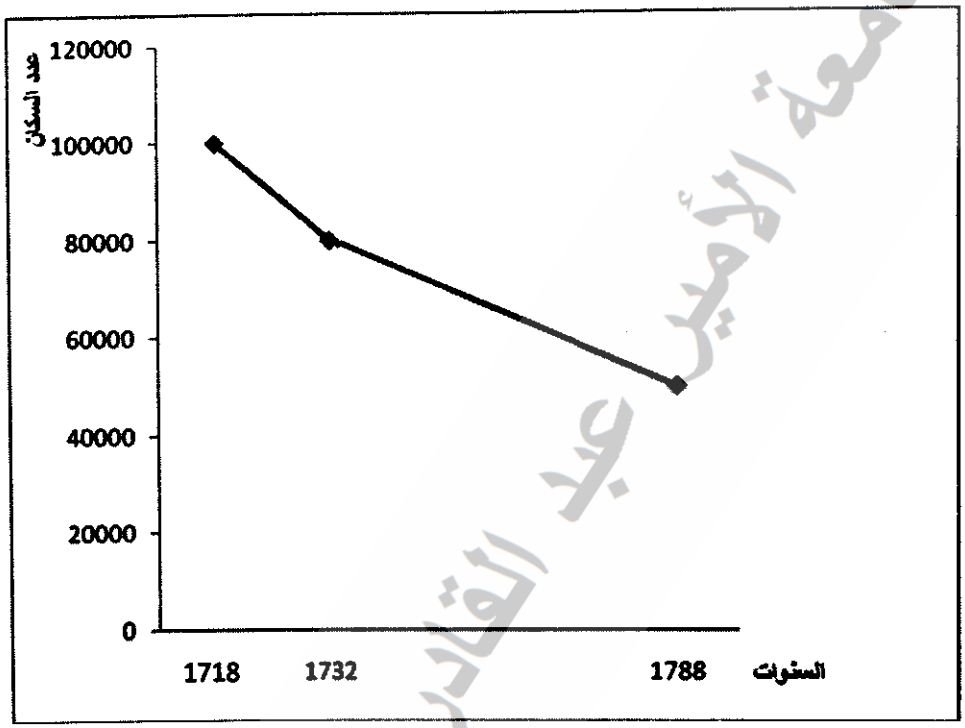

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (25): الفئات الإجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م (حسب إحصاء دي بارادي)

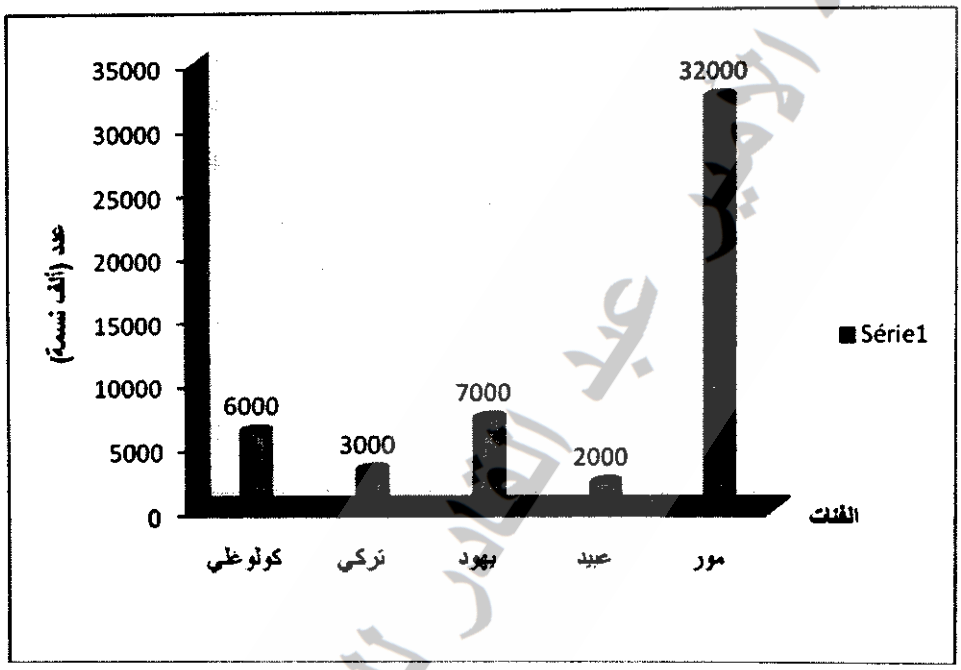

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم: (26): قائمة الدايات الدين حكموا الجزائر خلال القرن 12هـ/18م.

الرقم	الداي	سنة كونية
1	حاج مصطفى	1700
2	حسبن خوجة	1705
3	محمد بكداش	1707
4	دالي ابراهيم	1710
5	علي شاوش	1710
6	محمند افندي	1718
7	كور عبدي	1723
8	ارسلان محمد	1729
9	ابراهيم	1731
10	كوجوك إبراهيم	1745
11	محمد ابن بكير	1748
12	بابا علي	1754
13	محمد بن عصمان	1766
14	حسن باشا	1791
15	مصطفى باشا	1798

Mahfoud, Kaddache, **L'ALGERIE durant la période Ottomane**, office des publications Universitaires, Alger 1992, p100 et 117.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر العربية:

1- القرآن الكريم.

2- أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**، تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، نشر وزارة الأنباء المغربية،مطبعة فضالة، 1967.

3- أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

4- أحمد بن عبد الله القرطبي، آداب **الحسبة والمحتسب**، تحقيق فاطمة الإدريسي، إشراف مصطفى العمدي، ط1 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

5- أحمد بن عمار،**نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب**، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1906.

6- حسن الوزان (ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، ج2، ت محمد صبحي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.

7- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، ط 2، ترجمة وتقديم محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

8- حمدان بن عثمان خوجة، **إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء**، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1986.

9- ج. أو. هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.

10- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

11- عبد الرزاق بن حمادوش، **رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال**، تحقيق وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

12- عبد الله بن محمد الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر(1695/ 1705)** تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

13- عبد الوهاب المكناسي، **رحلة المكناسي**، ط 1، حققها وقدم لها محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2003.

14- علي بن محمد التمقروتي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تحقيق سليمان الصيد،د.م.ط،د.س.ط.

15- علي بن محمد الماوردي (أبو الحسن)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.س.ط.

16- محمد بن رقية الجديري التلمساني،" الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، نشر سليم بابا عمر، **مجلة تاريخ وحضارة المغرب**، عدد 3، كلية الآداب، الجزائر، 1967.

17- محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

18- محمد أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

19- محمد أبو راس الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج1، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران ،2005.

20-محمد أبو راس الناصر، **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**، تحقيق وتقديم أحمد أمين دلاي، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2007.

21-ليسور و ويلد، **رحلة طريفة في إيالة الجزائر**،ترجمة وتقديم وتعليق محمد جيجلي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

22-وليام كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمها وعلق عليها وقدم لها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

المصادر الأجنبية:

1-Deigo de Haédo, **Topographie et histoire générale d'Alger**, Traduction de l'espagnol note de A. Berbrugger et D. Monnerau, présentation de Abd-Rahmane Rebahi,3eme édition, Grand Alger livre,2007.

2-J A.Peysonnel,**Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger**, éditions la Découverte, Paris, 1987.

3- Laugier de Tassy , **Histoire du Royaume d'Alger,avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer, de ses revenus,Police,Justice,politique et commerce**, preface Noel laveau, Andri Noushi,éditions loysel.

4- Thomas Shaw, **Voyage dans la Régence d'Alger par Docteur Shaw**, Traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, 2eme édition, édition Bouslama, Tunis.1980.

5-Venture de Paradis, **Alger au XVIII siècle (1788-1790) Mémoire, notes et observation d'un diplomate et espion**, présentation et notes par Abd 'RAHMANE Rebahi, édition G.A.L 2006.

6- William Shaler, **Esquise de l Etat d'Alger**, présentation de Claude Bontems, édition Bouchene, Paris, 2001.

المراجع العربية:

1- أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830– 1855)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

2- أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، موفم للنشر، 1991.

3- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500– 1830**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998

4- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المجلد 1، ط5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

5- أبو القاسم سعد الله، **الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته وآثاره**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

6- أبو عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2000.

7- أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766– 1791) وأعمال نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

8- احميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجا)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

9- احميدة عميراوي، **علاقات الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، مطبعة البعث، قسنطينة، 2002.

10- بسام العسلي، **الجزائر والحملات الصليبية (1547– 1791)**، دار النفائس، بيروت، 1980.

11- ج. ب. وولف، **الجزائر وأوربا (1500– 1830)**، ترجمة وتعليق، أبوالقاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 .

12- جلال يحي، **المغرب الكبير**، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

13- جميل عبد القادر أكبر، **عمارة الأرض في الإسلام**، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992.

14- حسين نصار، **أدب الرحلة**، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1991.

15- سعيد بنسعيد العلوي، **أوربا في مرآة الرحلة**، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، 2006.

16- عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.

17- عبد الجليل التميمي، **وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**، منشورات المجلة التاريخية المغربية، العدد5، تونس، 1980.

18- عبد الجبار ناجي، **أهمية دراسة المدن العربية الإسلامية**، ط1، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، 2001.

19- عبد العال عبد المنعم، **جغرافية المدن عند العرب**، المجلد التاسع، العدد الأول، عالم الفكر، د.س.ط.

20- عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر، نشأتها، وتطورها قبل 1830** ، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر،1972 .

21- عبد القادر نور الدين، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، نشر كلية الآداب، جامعة الجزائر ، 1965.

22- عبد الله ركيبي، **الجزائر في عيون الرحالة الانجليز**، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 1999 .

23- عبد المجيد القدوري، **سفراء عرب في أوربا (1610– 1922) الوعي بالتفاوت**، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية، 2006.

24- عثمان الكعاك، **محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن16 إلى 19**، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية ، 1958.

25- عثمان عبد الستار، **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة رقم 128، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.س.ط.

26- عزيز التر سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ت محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989 .

27- علي خلاصي، **قصبة مدينة الجزائر**، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .

28- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ط4، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البالي وشركاؤه، 1964 .

29- فوزي سعد الله، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ج1، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005 .

30- ف. يستنفلد، **جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها**، تـرجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.س ط.

31- كوربين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)**، ترجمة جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

32- محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر،2000.

33- محمد بن عبد السلام الشافعي، **غزوة الأحزاب**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.س.ط.

34- مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

35-مولاي بلحميسي، **مدينة الجزائر من خلال مياهها من القرن 16 إلى القرن 19**، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1998.

36-مصطفى بن حموش، **المدينة والسلطة في الإسلام (نموذج الجزائر في العهد العثماني)**، ط1، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1999.

37-مصطفى عباس الموسوي، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية**، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية، بغداد (149)، 1982.

38- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

39- ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 – 1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

40- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س.ط.

41-وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

42-يحي بوعزيز، **موجز تاريخ الجزائر**، ج1، ط1، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، د.س.ط.

المراجع الأجنبية:

1- André Raymond, **Grandes villes arabes à l'époque ottomane**, la bibliothèque Arabe, édité par Pierre Bernard, éditions sindbad, Paris, 1985.

2- Denise Brahimi, **Opinions et regards des Européens sur le Magreb aux XVII$^{eme\ et}$ XVIII^{ème} siècle** , SNED, Alger, 1978.

3- Kaddour M'hamsadji, **el Quasba zaman, la quasbah d'Alger autrefois**, office des publications universitaires, 2007.

4- Mahfoud Kaddache, **L'Algérie durant la période ottomane**, office des publications universitaires, Alger, 1992.

5- Moulay Belhammissi, **Alger la ville aux mille canons**, entreprise nationale du livre, Alger, 1990.

الرسائل الجامعية:

1- الأمير بوغدادة، **المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء نموذجا)**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008.

2- خليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، (ج2)، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف أ. د فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري،قسنطينة، 1427هـ/ 2006.

3- زبيدة خليفي، **حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005.

4- زكريا العابد، **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوربية**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2007.

5- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 – 1830)**، منشورات "ANEP"، الجزائر، 2002.

6- فتيحة الوليش، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1994.

7- محفوظ رموم، **الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني (1519– 1830)، دراسة تاريخية انثروبولوجية**، شهادة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقالات العربية:

1- ابراهيم كافي دونمز، " نظرة جديدة إلى مكانة مفهوم العادة والعرف في الفقه الإسلامي"، **مجلة العلوم الإسلامية**، العدد الأول، أفريل 1986، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

2- ابن زيطة، " نظام السقي بفيلا عبد اللطيف في العاصمة يعود تاريخه إلى العهد العثماني" جريدة **الخبر**، الاثنين 14أفريل 2008 م الموافق لـــ 18ربيع الأول 1429هـــ.

3- أبو العيد دودو، " الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال" ، **الأصالة**، العدد 08 ماي/ جوان 1972.

4- أبو القاسم سعد الله، " أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائري"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، العدد 49 ، يناير، فبراير 1979.

5- تركي رابح عمارة،" رسالة المسجد في المجتمع الإسلامي وكيف يمكن بعثها حتى يؤدي دوره الفعال في نهضة المسلمين المعاصرة "، **حوليات جامعة الجزائر**، منشورات جامعة الجزائر، العدد 01،1987.

6- صالح بوتشيش، " المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني "، **مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية**، العدد 01،مخبر الشريعة، جامعة الجزائر، 2004.

7- عبد الرحمن الجيلالي، " الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا " ، **مجلة الأصالة**، العدد 08، ماي / جوان، 1972.

8- عبد الفتاح الزين، " النظرة للآخر مقارنة بين نظرة الرحالة المغاربة لأوربا والأوربيين للمغرب"، **منير الحوار**، مؤسسة الفلاح، العدد 38، لبنان، 1999.

9- عبد القادر حليمي، " أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر"، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي للشؤون الدينية، العدد 06، السنة الأولى، جانفي 1972.

10- عبد الله حمادي، " جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان"، **مجلة المصادر**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، العدد 06، الجزائر، 2002 .

11- عقيل نمير، " حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال مساجد الحنفية"، **مجلة دراسات إنسانية** (الوقف في الجزائر أثناء القرن 18 والقرن 19، أعمال ندوة الجزائر 29– 30 ماي 2001)"، جمع وتقديم ناصر الدين سعيدوني، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر.

12- محمد الطيب عقاب،" قصبة الجزائر(القلعة وقصر الداي)"، مجلة معهد التاريخ، جامعة الجزائر، د. س. ط.

13- محمد الطيب عقاب، " من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل، المربعات الخزفية"، **مجلة الدراسات الأثرية**، معهد الآثار، جامعة الجزائر، العدد 02، 1992 .

14- محمد حمام وآخرون" الرحلة بين الشرق والغرب"، **منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1**، مطبعة النجاح الجديدة، 2003 .

15- ناصر الدين سعيدوني، " مخطوط قانون أسواق الجزائر"، **حوليات جامعة الجزائر**، منشورات جامعة الجزائر، العدد 5، 1991.

المقالات الأجنبية:

1- A. Devoulx, " Les édifices religieux de l'ancien Alger" in **RA**, N 9, 1863 et N 14,1870.

2- A. Devoulx, " Etude archéologique et topographique" , in **RA**, N 19, 1875.

3- Arnaud (M.A)," Voyage extraordinaire et nouvelle agréables par Mouhamed (M.A) Bouras Ben Ahmed Ben Abdelkader Ennasr" , **RA**, N 22, 1878.

4- Fedirco Gresti, "Quelque observations et hypothèses sur la population et la structure sociale d'Alger a la période turque (XVIe – XVIII siècle" , in Revue de sciences humaines, les chaiers de Tunisie IXXXIV, N 137, 1986.

5- Mohmamed Ben abi Chanab, L'origine de mot Chachiyya, in RA, N 51, 1907

القواميس:

1 – المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ط7، بيروت، 1991.

2 – دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس، يصدرها بالعربية احمد الشناوي وآخرون، يراجعها من قبل دائرة المعارف د. محمد فهري علام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس

مقدمة

مدخل..... 01

الفصل الأول: التعريف بمصادر الرحلة العربية و الأوروبية.....

مدخـــــل 05

أولا)- لسان المقال في النبأ عن الحسب و النسب و الحال..... 06

التعريف بالمؤلف..... 06

التعريف برحلة ابن حمادوش..... 08

تقييم الرحلة..... 11

ثانيا)- الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا..... 12

التعريف بالزياني..... 12

التعريف برحلة الزياني..... 13

ثالثا)- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته..... 16

التعريف بأبي راس الناصر..... 16

رابعا)- تاريخ مملكة الجزائر لـــ: لوجي دي تاسي..... 20

خامسا)- رحلة في إيالة الجزائر لـــ: الدكتور شو..... 23

سادسا)- الجزائر في القرن الثامن عشر لـــ: فونتير دي بارادي..... 26

الفصل الثاني: مدينة الجزائر تحصيناتها، ومنشآتها العمرانية

مدخل..... 31

أولا)- أسوار المدينة..... 32

ثانيا)- خندق المدينة..... 36

ثالثا)- أبواب المدينة..... 39

رابعا)- قصبة مدينة الجزائر..... 43

خامسا)- قصور مدينة الجزائر ومنازلها..... 47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا)- أحياء مدينة الجزائر وأزقتها..... 52
الفصل الثالث: مرافق مدينة الجزائر في القرن 18م
مدخل..... 59
أولا) _ أسواق وفنادق مدينة الجزائر..... 60
ثانيا)- الفنادق..... 66
ثالثا)- حماماتها..... 69
رابعا)- مساجدها..... 74
خامسا)- مدارسها وزواياها..... 85
سادسا)- شبكة المياه في المدينة..... 91
الفصل الرابع: مجتمع مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م
مدخل..... 102
أولا)- عدد سكان مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م..... 103
ثانيا)- سكان مدينة الجزائر بين الأصول العرقية والفئات الاجتماعية..... 110
ثالثا)- اللغة المتداولة في مدينة الجزائر..... 119
رابعا)- عادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر (الاحتفالات، الزواج، الختان، الزيارات والألبسة...) 123
خامسا)- الأحوال الصحية لمجتمع مدينة الجزائر في القرن 12هـ/18م..... 129
خاتمة..... 138
الملاحق..... 143
قائمة المصادر و المراجع..... 171

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية